دكتور
مصطفى شاهين

النصرانية

تاريخاً وعقيدة .. وكتباً ومذاهب

دراسة وتحليل ومناقشة



دار الاعتصام


بسم الله الرحمن الرحيم

دكتور
مصطفى شاهين

النصرانية

تاريخا وعقيدة .. وكتبا ومذاهب
دراسة وتحليل ومناقشة

دار الاعتصام

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ويرى الذين أوتوا العلم الذى
أنزل إليك من ربك هو الحق ﴾

[قرآن كريم ـ سبأ : ٦]

إلى الراغبين فى معرفة الحق والحقيقة ، فى موضوع المسيح والمسيحية ، الجادين فى البحث عنهما ..

أقدم هذا الكتاب ليكون نبراساً لهم فى هذا الطريق .

« ... وهذه هى الحياة الأبدية : أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى ـ وحدك ـ ويسوع المسيح الذى أرسلته » .

[يوحنا : ١٧ : ٣]

« ... والأب نفسه الذى أرسلنى يشهد لى ، لم تسمعوا صوته قط ، ولا أبصرتم هيئته » .

[يوحنا : ٥ : ٣٧]

الإهداء

هذا كتاب عن المسيحية نشأة وعقيدة وكتباً ومذاهب استقيناه من مصادرها الأصلية وهى نصوص كتب المسيحية المعتمدة لدى أصحابها ، ولما كنا عقدنا العزم على أن هذا الكتاب للمشتغلين فى حقل الدعوة الإسلامية أولًا ، ثم لجمهور القارئين ثانياً .

لذلك كان لابد لنا من أن نعرض أيضاً لموقف الفكر الإسلامى من القضايا التى تعج بها المسيحية عقيدة وكتباً ، ومن هنا جاء كلامنا فى هذا الكتاب عن المسيحية مشفوعاً بعرض وجهة النظر الإسلامية فى كل قضية مع الاعتماد على النصوص الأصلية فى عرض وجهة النظر المسيحية كما سبق أن ذكرنا .

وكما قلنا فى كتابنا الأول الذى خصصناه للكلام عن اليهودية والذى سبق هذا مباشرة أننا نهديه للمجاهدين الأفغان ولأبنائهم أولًا ثم لسائر المهتمين بالتعرف على قضايا الأديان ، ثانياً : نقول هنا أيضاً أننا نهدى هذا الكتاب للمجاهدين الأفغان ولأبنائهم طلبة كلية أصول الدين ممن شرفت بأن أحاضرهم فى مادة مقارنة الأديان الفترة من عام ١٩٩٠/٨٧ م ، فكان ثمرة ذلك هذان العملان (اليهودية والنصرانية) ومن غيرهم أحق بأن يهدى إليه مثل هذين العملين ؟ وقد أحاط بهم المبشرون من كل جانب بعد أن تقاطروا عليهم من كل حدب وصوب ينفخون فيهم دعاياتهم ، إن عن طريق الكتب أو عن طريق تقديم معونات إنسانية طبية وغير طبية ومن هنا يستدرجونهم نحو اعتناق النصرانية وأحياناً يطلبون ذلك منهم صراحة ، وفى ذلك عدوان ما بعده عدوان على حرية الاعتقاد ، فكان ما كان من دق ناقوس الخطر وتدارك المسئولين على شئون جامعة الدعوة والجهاد الأفغانية المقامة (بصفة مؤقتة) على أرض بيشاور الباكستانية لخدمة طلبة المجاهدين الذين هم ضيوف على أرض باكستان الشقيقة حتى يعودوا إلى بلادهم .

والله تعالى أسأل أن يجعل هذا العمل لوجهه الكريم إنه سميع الدعاء وهو من وراء القصد .. آمين .

[إسلام آباد : أول مايو ١٩٩١ م]

مقدمة

إن الكلام عن المسيحية : عقيدة وكتباً وما يتعلق بكل منهما من تفاصيل يحتاج إلى مجلدات ضخمة ، ولكنا تمكنا بفضل الله من جمع أجزاء هذه الموضوعات فى هذا الكتاب ولم نترك منها إلا ما وجدناه تفاصيل تغرق القارىء فى أمور لا جدوى من معرفتها .

لذلك ركزنا كل جهدنا على استقصاء الأسس والأركان التى تعرف بالمسيحية تعريفاً جامعاً مانعاً بقدر الإمكان وعلى قدر استطاعتنا ، ومن شاء المزيد أو التبحر فليفعل .

وقد جاء كتابنا هذا فى تسعة أبواب وخاتمة ، بحثنا فى كل باب جملة من المسائل المتصلة بموضوعه رمزنا لكل مسألة منها برقم بدل أن نقسمه إلى فصول ، وذلك بقصد تسلسل المسائل ، ولم نحتج إلى ذكر كلمة (فصل) إلا فى النزر اليسير .

وقد جاءت الأبواب التسعة والخاتمة على هذا النحو التالى :

ذكر عصر المسيح (عليه السلام) أولًا لأننا من خلال هذا يمكننا الوقوف على جوانب كثيرة تسهل لنا مهمة الدخول فى تفاصيل حياته ودعوته من بدايتها إلى نهايتها . وهذا يقتضى منا بالطبع أن نلم بعصره عليه السلام من النواحى الآتية :

(١) ما هى الطوائف اليهودية التى كانت فى عصره .

(٢) وضع الهيكل اليهودى : وما كان يمثله فى نظر اليهود .

(٣) الحياة السياسية والاجتماعية فى فلسطين فى عصر المسيح .

(٤) الحياة الدينية فى عصر المسيح .

(٥) المنطقة التى عاش فيها المسيح (أرض الجليل) وعلاقتها بجيرانها .

(٦) متى ولد المسيح .

(٧) حظه من البيئة التى ولد فيها .

(٨) المسحاء فى بنى إسرائيل .

يلى هذا : الكلام عن نسب المسيح ، وحياته ، وأعماله إلى نهاية أمره : وما يتخلل ذلك من كلام على معجزاته ودعوى صلبه وقيامته ومناقشة ذلك بالاستناد إلى نصوص من كتب النصارى وهذا هو موضوع الباب الثانى .

أما الباب الثالث : فقد خصصناه للكلام عن العقيدة النصرانية ، وناقشنا فيه ما يقوله النصارى من تثليث وألوهية المسيح .. وحللنا جميع الألفاظ التى وردت فى هذا الصدد .. وناقشنا الموضوع من جميع نواحيه مستندين فى ذلك إلى النصوص .. مثبتين فى النهاية العقيدة الحقة التى جاء بها المسيح عليه السلام .

يلى ذلك الباب الرابع : وهو خاص بالشعائر المسيحية يجىء بعد الباب الثالث ليكون متمماً له .. وقد تكلمنا فيه عن العماد ـ العشاء الربانى ـ تقديس الصليب ، وما إلى ذلك .. وأثبتنا النصوص الواردة فى هذا .. ثم أرجعنا كل شعيرة إلى أصلها قبل أن يأخذ بها المسيحيون .

أما الباب الخامس : فهو خاص بالكلام عن كتب النصارى المعتمدة لديهم ـ ومجيئه عقب العقيدة والشعائر ليكون بمثابة البيان للمرجع الذى توجد فيه هذه الأشياء . وقد تكلمنا هنا عن كل ما يتصل بكل كتاب مقدس عند النصارى والأناجيل منها بالذات . فبينا موقف كل إنجيل بالضبط ومن هو صاحبه ومتى وأين كتب إنجيله وبأى لغة ولخصنا فى النهاية خلاصة ما قيل فى هذا الموضوع .

أما الباب السادس : فقد جعلناه خاصاً بالكلام عن المصادر الحقيقية للعقائد النصرانية ، عقيدة عقيدة وشعيرة شعيرة .

وأما الباب السابع : فيجيء متوجاً لهذه الأبواب وثمرة لها لأنه يتضمن الكلام عن الشريعة عند المسيحيين حين تكلمنا فيه عما يمكن أن نسميه شريعة عندهم ، ويتضمن هذا الباب أيضاً الكلام عن ثبوت النسخ عند المسيحيين وأمثلة عليه من كتبهم وما يعيبه النصارى على المسلمين والرد على ذلك .

يلي هذا الباب الثامن : وهو خاص بالكلام عن المذاهب فى المسيحية ، فصلنا فيه القول عن أصول الافتراق إلى مذاهب ، وأسس كل مذهب ، مع بيان ما يجمع الجميع من عقائد والمجامع المقدسة عندهم .

أما الباب التاسع : فقد خصصناه لمناقشة بعض الموضوعات : وللرد على بعض الشبهات . بعد هذا تجيء خاتمة الكتاب ، وفيها ذكرنا خلاصة أبحاث أساتذة الغرب من المسيحيين فى شأن المسيحية .

وما تؤدى إليه هذه الشهادات من نتائج ، جعلناها مسك الختام .

والله تعالى نسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يهدى به كل راغب فى العقيدة الحقة ، عقيدة الله الواحد الحق رب العالمين ــ آمين .

والآن إلى تفاصيل هذه الأبواب :

* * *

الباب الأول

عصر المسيح

أولًا : الطوائف اليهودية فى عصر الميلاد :

الطوائف اليهودية فى عصر المسيح خمس هى :

الصدوقيون ، والفريسيون ، والآسينيون ، والغلاة ،والسامرة ، ولكل منهم مذهبه فى انتظار المسيح المخلص الموعود ، فلنتكلم عنها واحدة واحدة بالتفصيل .

(١) الصدوقيون :

هم أتباع صدوق الذى كان يتولى الكهانة فى عهد سليمان عليه السلام .

ويتميزون بالمحافظة والاستقرار والوجاهة والثراء ، ولأنهم متشددون فى إنكار البدع والتفسيرات نتيجة تشبثهم بالقديم لذلك كانوا يؤيدون سلطان الهيكل والكهان ولا يعترفون إلا بأسفار موسى الخمسة ويرفضون ما عداها ، لا سيما التلمود .

ولأنهم يحافظون على نظام المجتمع لهذا فهم يحبون متاعه ونعيمه فقد كانوا يؤيدون أصحاب السلطان ، السياسى من اليونان والرومان ، يساعدهم على ذلك عدم وجود نص على الحياة الآخرة ، وهذا ما يخالفهم فيه الطوائف الأخرى التى تؤمن بالبعث والحساب (١) .

---

(١) عباس العقاد : حياة المسيح : دار الهلال القاهرة بدون تاريخ ص ٣٧ ـ شارل جينيز : المسيحية نشأتها وتطورها ـ ترجمة عربية للدكتور الشيخ عبد الحليم محمود . القاهرة دار المعارف ط ثالثة ص ٤٢ .

وكان حنانياً وقيافاً وهما من أشد أعداء المسيح من الصدوقيين والسبب فى ذلك أن الصدوقيين جميعاً يحافظون على سلطان الهيكل ويحافظون على النظام القائم .

وعلى قدر حرفيتهم فى مسائل الدين ، إلا أنهم متوسعون فى مسائل المعيشة . فهم يعاشرون الأجانب ولا يعتزلونهم لأن أعمالهم ومراكزهم متصلة بذوى السلطان (١) .

* * *

(٢) الفريسيون

هم الطائفة المقابلة للصدوقيين ، وهم أقوى من الصدوقيين بكثرة العدد وشيوع المبادىء والآراء وحسن السمعة بين سواد الشعب وعلية القوم ، وهم لا يخالطون الأجانب ، ولم يكن بين أفرادها من هم فى مرتبة الرؤساء والوجهاء .

واسم الفريسيين مأخوذ من كلمة عبرانية تقارب كلمة (الفرز) العربية فى لفظها ومعناها فهم المفروزون أو المتميزون وخصومهم يطلقون عليهم هذا الاسم تهكماً وتحقيراً لهم على معنى أنهم فرزوا أنفسهم عن الجماعة واعتزلوا طريقة السلف ، أما هم فكانوا يرون غير ذلك إذ يقولون إن الاسم يعنى أنهم المميزون المفضلون ، استناداً إلى خطاب الله لبنى إسرائيل جميعاً فى الإصحاح العشرين من سفر اللاويين الذى يقول :

(وقد ميزتكم من الشعوب لتكونوا لى) .

ومن ثم كان عندهم نزعة التعالى والكبرياء مما كان هدفاً لحملات المسيح وكانوا يثورون على السلطان الرسمى حيث كان ، أى سواء كان فى الهيكل أو فى المراجع الأجنبية ، وكان من نتيجة ذلك إنكارهم على الكهان استبدادهم بالشعائر والمراسم إلى جانب إنكارهم للمتشبهين بعادات الأجانب .

---

(١) العقاد مصدر سابق ص ٣٩ .

ومن أشهر ثوراتهم على البدع ثورتهم على الملك أنطيوخس عندما أمر كاهن الهيكل أن يضحى فى مذبحه بالخنازير سنة ١٦٨ ق . م .

وبسبب ثورتهم على استبداد الهيكل دعوا إلى إقامة الشعائر فى البيوت بغير حاجة إلى الكهان المرسومين . لكن هذا أدى بهم إلى جعل كل بيت هيكلًا مقدساً . فكانوا بذلك أشد من المتشددين مع أنهم فى الأصل يميلون إلى السماحة ومقاومة الاستبداد .

هم أقرب إلى تحكيم العقل فى مسائل النصوص والتقاليد يقبلون الدية على عكس الصدوقيين الذى يتمسكون بضرورة تطبيق شريعة العين بالعين والسن بالسن ولا يقبلون الدية ، وإذا كان الصدوقيون أقرب إلى المادية والقواعد العملية فقد كان الفريسيون أقرب إلى الروحانية والآداب النظرية أو آداب التأمل والتفكير .

وهم يؤمنون بالبعث على عكس الصدوقيين وينتظرون المسيح المخلص فى عالم الروح ، أى مسيحاً ليس له سلطة الدولة والصولجان . وإذا كان الصدوقيون يوصفون بأنهم طبقة الارستقراطيين فإن الفريسيين هم طبقة الديمقراطيين .

وقد كانوا فى عصر الميلاد ينقسمون إلى فريقين : فريق يتبع الحكيم (هلل) الذى قدم إلى فلسطين من بابل وهو الفريق المتسامح الودود فى معاملة الأجانب ، والفريق الآخر يتبع الحكيم (شماى) وهو أقرب إلى التطبيق والتحرج لدرجة رفض الراغبين فى دخول الدين من غير اليهود ، وإذا كان شعار هلل الاعتدال ، فقد كان شعار (شماى) محاربة الاعتدال كما كانت غيرته على القديم تفوق إقباله على التجديد ، والأرجح أن معلمى المسيح فى صباه كانوا من الفريسيين (١) .

* * *

---

(١) العقاد ـ مصدر سابق ص ٤٠ ، وأيضاً عبد المجيد الشرفى : الفكر الإسلامى فى الرد على النصارى تونس سنة ٩٨٦ ص ٣٣ .

(٣) طائفة الآسينيين

هى أقل الطائفتين المتقدم ذكرهما فى العدد كثيراً ، لكنها تساويهما أو تفوقهما فى الأثر ، وكان عددهم فى عصر يوسيفوس المؤرخ اليهودى (وقد عاش فى عصر المسيح أو قريباً منه) يقدر بأربعة آلاف ويعيش أكثرهم فى جنوب فلسطين .

وكان مصدر قوتهم صرامة العقيدة وتنظيم الخطة وبسبب كونها طائفة من صميم الأمة الإسرائيلية . فقد كانت دلالة هذا أقوى من قوتها ، وهذا ما جعلها توشك أن تستقل عن الهيكل كله فى علاقتها بالدين وبالقومية ، ولولا أنها تعترف بتقريب القرابين فى هيكل لما حسبت من طوائف اليهود ، ولكنها مع ذلك تنكر ذبح الحيوان ولا تقرب القرابين إلا من النبات .

ومصدر اشتقاق هذا الاسم على الأرجح أنه مأخوذ من كلمة (آسى) بمعنى الطبيب أو النطاسى فى اللغة الأرامية ، وفى العربية أيضاً وهذا المعنى معقول لأن هؤلاء كانوا يهتمون بطب الروح إذ يدعون إلى إبراء المرضى بالصلوات والأوراد كما يدعون العلم بخصائص العقاقير .

وقد نشأت هذه الطائفة على الأغلب فى القرن الثانى قبل الميلاد واقتبست من مدارس الأسكندرية كثيراً من أنظمة العبادات السرية وبعض المذاهب الفلسفية كمذهب فيثاغورث الذى يحرم ذبح الحيوان ويدعو إلى التقشف والقناعة بالقليل .

* * *

عقـــائدهم :

حرام فى هذه الطائفة امتلاك ثوبين أو زوجين من النعال أو ادخار الأمتعة والأقوات ، ويغلب عليهم الرهبانية إلا من أذن له بالزواج .

والمادة عندهم هى مصدر الشر كله .

ـ ويغلب عليهم وجوم الصمت والندم ، وكل ما يباح لهم من السرور هو سرور الروح أو سرور الاتصال بعلم الأرواح وهو عالم سماوى فى أعلى الأثير يرتفع إليه المؤمن بالعبادة والرياضة والقنوت .

ـ يتآخون اثنين فى رحلاتهم وقلما كانوا يشاهدون فى المدن الآهلة بالسكان .

ـ يؤمنون بالقيامة والبعث ورسالة المسيح المخلص ، والخلاص عندهم بعث روحانى يهدى الشعب إلى حياة الاستقامة والصلاح .

ـ رائدهم فى طلب الرضا من الله هو عاموس صاحب مبدأ أن التقرب من الله بالعدل والرحمة خير من التقرب إليه بالذبائح والهدايا .

ـ يتطهرون من الحدث ويصلون عند الفجر ، ويحافظون على الراحة فى يوم السبت ليس بينهم رئاسة ولا سيادة ، والرق عندهم حرام وعملهم المفضل الزراعة والصناعة اليدوية وأما التجارة فحرام وأخبث منها حمل السلاح للقتال .

* * *

نظامهم ودرجاتهم :

كانوا ينتظمون فى النحلة على ثلاث درجات :

(١) درجة التلمذة ، ويقبلون فيها الصبيان فيما دون الحلم .

(٢) درجة المُقْسمين ، وهم الذين يُقْسِمون اليمين ويقضون سنة فى الرياضة والتدرب على العبادة ، والاطلاع على الأسرار ، ثم ينقل المريد إلى درجة الواصلين ويقضى فيها سنتين ثم يلبس شعار الطائفة وهو ثوب أزرق وزنار ويحمل الفأس فى يده كناية عن العمل الشاق .

ولهم بين المرحلة الأولى ، والمرحلة الثانية شعائر متواترة يقوم بها الأساتذة ، منها الاغتسال وتلاوة بعض العهود ويقسم أحدهم يمين الأمانة والمحافظة على سر الجماعة ويحرم عليه القسم بالحق أو بالباطل مدى الحياة .

يجوز فصل العضو إذا حنث فى يمينه واتفق مئة من الإخوان على إدانته ، بل يجوز الحكم عليه بالموت إذا بلغ الحنث حد الخيانة والكفر بقواعد الإيمان .

* * *

(٤) الغـــلاة

لا يبعد أن يكون الغلاة أو الجليليون أتباع الجليلي فرقة متطرفة من فرق الآسينيين لأنهم يسلكون مسلكهم فى التقشف والقناعة ويزيدون عليهم بالحض على العمل لتحقيق النبوءات وتقريب يوم الخلاص .

هؤلاء الغلاة هم الذين ثاروا فى السنة السادسة أو السابعة قبل الميلاد تمرداً على أمر الإحصاء الذى صدر من (كرينياس) حاكم سورية وبموجبه أصبح اليهود معدودين من رعايا قيصر الأمر الذى رفضوه بشدة واعتبروه مروقاً من الدين وقد مات فى هذه الثورة يهوذا الجليلى هو وأبناؤه وعائلته (١) .

* * *

(٥) السامرة

هم خليط من اليهود والآشوريين وكانوا يسكنون فى مملكة إسرائيل القديمة ، وقد اختلط بهم الآشوريون بعد حادثة سبى بابل ، حيث ترك بختنصر بعض اليهود فى فلسطين ممن لا يؤبه لهم من المزارعين والعمال ، ومعهم قبائل من آشور ، فاختلطوا بهم فى السكن والنسب والعادات والعبادات .

وبعد رجوع اليهود المسبيين من بابل أنكروا على السامريين شعائرهم المخالفة لتقاليدهم واتهموهم بعبادة الأوثان ، ورفضوا أن يشاركوهم فى بناء الهيكل الجديد الذى أذن لهم قورش ملك الفرس أن يقيموه مكان الهيكل الذى دمره نَبوخذ نصر وقد كانوا تابعين للفرس بعد أن هزم هؤلاء البابليين .

عندئذ رفض اليهود القادمون من بابل أن يشاركهم السامريون لما أنهم غيروا وبدلوا . فعمد هؤلاء (السامريون) إلى بناء هيكل خاص بهم فى جبل جرزيم ، وجعلوا يتعمدون تدنيس هيكل بيت المقدس ، ويحصرون القبلة فى هيكلهم الذى بقى منافساً لهيكل بيت المقدس زهاء مئتى سنة حتى

---

(١) العقاد : مصدر سابق ص ٤١ ـ ٤٤ .

هدمه رئيس كهان بيت المقدس حناهير كانوس قبل الميلاد بأكثر من مائة سنة ، ولكنهم أعادوا بناءه وظل قائماً حتى هدمه الرومان بعد ثورة السامريين فى القرن الخامس للميلاد .

وهدم فسباسيان مدينتهم وأقام على أنقاضها مدينة سماها المدينة الجديدة (نيو بولس) أو نابلس المعروفة اليوم .

* * *

عقـــائدهم :

لا تزال بقايا السامريين تحتفظ بتقاليدها حتى اليوم إذ يوجد منهم أعداد قليلة فى فلسطين ، وهم لا يقرون بالتوراة الموجودة فى أيدى غيرهم من اليهود المسمين بالعبرانيين ، لأن لهم توراة خاصة بهم مكتوبة بلغتهم وهى تحتوى على كتب موسى الخمسة فقط .

أما ما زاد على ذلك من كتب أخرى ، فلا يسلمون بها ما عدا سفرى يشوع والقضاة فإنهما يعتمدونهما من كتب التاريخ وليس من التوراة .

ولا تدين بعاصمة مقدسة سوى موطن هيكلها المهدوم فوق جبل جرزيم .

وقد استحكم العداء بين أصحاب الهيكلين فى عصر الميلاد حتى بطل الأمان والسفر بين السامرة والبلاد الأخرى ، وتعرض للإهانة والنكال كل من غامر بالسفر إلى السامرة من يهود الجنوب أو الشمال (١) .

وكانوا يؤمنون بالخلاص الروحانى على يد المسيح المنتظر أو الرسول الموعود . بينما اعتقد أصحاب مملكة يهوذا فى الجنوب أن عاصمتهم أورشاليم هى مقر الملك المنتظر من بيت داود الذى سيكون الخلاص على يديه ، الأمر الذى ينكره السامرة الذين يعتقدون أنهم وحدهم الجديرون باسم الإسرائيليين إذ هم الذين ينتسبون إلى يعقوب .

---

(١) العقاد (عباس) : حياة المسيح ـ دار الهلال ـ القاهرة بدون تاريخ ص ٤٤ ، وانظر أيضاً شارل جنيير ـ المصدر السابق ص ٤٣ .

وإلى جانب هذه الطوائف كان يوجد أفراد من الناس يئسوا من الجميع وعاشوا فى الصوامع بمعزل عن العمران ، وارتفع شأنهم فى أعين الشعب لسوء ظنه بالدعاة المغامسين للدنيا فى بيئات الساسة والكهان ومن هؤلاء (بانوس) الذى تتلمذ عليه يوسيفوس المؤرخ الكبير ثلاث سنوات ، وكان هذا الناسك يعيش فى عزلة ويأكل مما يتفق له بغير مسألة ، ويكثر من التطهر بالماء ، والتزكى بالرياضة والتلاوة ، وكان على مثال (بانوس) نساك متعددون يشبهونه فى شعائر الاعتزال والاغتسال . ومن أشهرهم (يحيى المغتسل) المعروف فى الأناجيل باسم يوحنا المعمدان [1] .

* * *

ثانياً : الهيكل فى عصر المسيح :

قدمنا عند كلامنا على اليهودية أن الذى بنى الهيكل هو سليمان الحكيم (عليه السلام) ليكون مقر العبادة ومسكن الرب يهوه . وأن ذلك حل محل الخيمة والمعبد الخشبى ثم جاء البابليون بعد حوالى أربعة قرون وهدموه ، ثم أمر كورش الفارسى بإعادة بنائه فى السنة ٥٣٦ ، وجاء الملك هيرود (الرومانى) بعد خمسة قرون فجدد بناءه وأضاف إليه وتم ذلك أو كاد فى عصر الميلاد .

* * *

الكهنـــة :

ولما جاء عصر الميلاد كان سلطان الكهنة يتداعى إذ كثر عددهم حتى لقد وجد منهم ألوف بغير علم وبغير عمل يتعاطون صناعة الكهانة ويقتسمون النذور ولا يشتركون فى تعليم الشعب ولا فى إقامة الصلوات .

* * *

---

(١) العقاد : حياة المسيح ص ٤٥ .

الكتبـــة :

وقد وجد إلى جانبهم أناس يعرفون الكتابة ويسجلون الأسفار الدينية لطالبيها ولا نصيب لهم من وظائف الهيكل ولا من نذوره وأوقافه وهؤلاء هم جماعة (الكتبة) أو فقهاء الدين ، وكانوا جميعاً من الفريسيين إذ هم الذين يعترفون بالأسفار الحديثة ويعتمدون عليها فى العبادات والمعاملات (عكس الصدوقيين) الذين قدمنا ذكرهم .

فلما جاء عصر الميلاد : كان كثير من الكهان يشتركون فى صناعة الكهانة ولكنهم لا يعملون فى الهيكل وكان كثير من الكتبة والفقهاء يشتركون فى العلوم الدينية ولكنهم لا يحسبون من رؤساء الدين الوراثيين وشاع بين الناس إهمال الكهان الوراثيين فى المسائل الدينية التى تحتاج إلى تعليم وإفتاء على الخصوص كما شاع بينهم كذلك الإقبال على العلماء غير الوراثيين أو غير الرسميين هؤلاء لسؤالهم فى المعضلات الدينية والاقتداء بهم فى مسالك الحياة ، فأصيبت الكهانة (التقليدية) والشعائر الهيكلية على الخصوص .

السنهدرين :

ولما ولد السيد المسيح كانت وظائف الهيكل محصورة فى المجتمع المقدس المسمى (السنهدرين) وعدد أعضائه واحد وسبعون عضواً ، منهم ثلاثة وعشرون يتألف منهم المجلس المخصوص وتغلب عليه الصبغة الرسمية التقليدية ويتصل أعضاه برجال الدولة فى الشؤون العامة ، وما يرجع منها إلى تنفيذ الأحكام والمحافظة على الشريعة .

هذا المجلس كان قد سلب فى عصر المسيح حق الحكم فى الجرائم الكبرى قبل هدم الهيكل الثانى بنحو أربعين سنة ، وكانت أحكامه الكبرى ، فى أيام المسيح معلقة على إقرار الحاكم الرومانى يبرمها أو ينقصها حيث يشاء ، وكان موقف هذه الهيئة من بشرى (المسيح المنتظر) هو عدم الترحيب بها لما فى ذلك من الاعتراف بفساد الزمن كله واليأس من صلاحه وفى هذا اتهام لهم بالفساد (١) .

---

(١) العقاد : مرجع سابق ص : ٤٧/٤٨ ، وأيضاً : شارل جنيبر المصدر السابق ص ٤٤ ـ عبد المجيد الشرفى : الفكر الإسلامى فى الرد على النصارى ، تونس السنة ٩٨٦ ، ص ٣٣/٣٤ .

النــــذريون :

النذريون أو المنذورون هم طائفة وهبوا أنفسهم أو وهبهم أهلوهم لحياة القداسة وخدمة الله والتبشير باليوم الموعود . يوم الخلاص من الظلم ولم يكونوا طائفة منظمة مثل أصحاب النحل بل كانوا آحاداً متفرقين ينذر كل منهم نفسه أو ينذره أهله على حدة ولا ينتسبون إلا للأمة بأسرها ولا يشترط فى المنذور أن يهجر العالم ويعتزل الناس فى الصوامع ، ولكنه لا يشرب الخمر ولا يدنس جسده بملامسة الموتى .

وقد تكاثر هؤلاء النذريون قبيل مولد المسيح لأنه وافق نهاية الألف الرابعة من بدء الخليقة على حساب التقويم العبرى ، وهو الموعد الذى كان منتظراً لبعثـة المسيح الموعود ، وكان النبى يحيى (يوحنا المعمدان) عليه السلام يعتبر علماً من أعلامهم المعدودين وهو الذى اعتمد على يديه السيد المسيح وأخذ العهد عليه .

ولما كان هؤلاء النذريون فتياناً معمورة قلوبهم بالأمل معقودة نياتهم على الإصلاح فقد كانوا قوة ذات بال فى عصر الميلاد خاصة وأنهم يؤمنون بأنهم رواد الدعوة إلى المسيح الذى يترقبون ظهوره للترحيب به والإصغاء إليه دون أن تحيط بهم طائفة معينة أو مذهب محدود .

* * *

ثالثاً : الحياة السياسية والاجتماعية فى فلسطين فى عصر المسيح :

فتحت سوريا وفلسطين للدولة الرومانية على يد القائد الكبير « بومباى » .

وقد ولد السيد المسيح فى عصر أغسطس المجيد امبراطور روما ـ إلا أن مجده كان قائماً على قوة السيف التى اعتمدت عليها روما اعتماداً كبيراً لدرجة أنها ألغت الجمهورية فى سبيل القيصرية المطلقة ، بل رفعت القيصر إلى مقام الإله ، وقررت عبادته مع الآلهة ورصدت له شهراً فى السنة لا يزال معروفاً حتى اليوم وجاء بعده تراجان وهادريان وغيرهما .

وبسبب السلطة المطلقة التى كانت بيد الحكام ضاع النظام مع القانون

فحدث تفاوت بعيد بين الحكام والمحكومين ، فكانت الثروة والترف والطغيان فى ناحية ، والفقر والضنك والهوان فى ناحية أخرى .

وفى فلسطين لم يستقر الأمر للدولة الرومانية دفعة واحدة على أثر افتتاحها بل كانت الخصومات شديدة بين أنصار الروم وأنصار الفرس لدرجة أن أنصار الفرس تغلبوا على أنصار الرومان فى بيت المقدس ، حتى فى رئاسة الكهنة نفسها التى كان التنافس عليها شديداً فحدث أن تغلب (انتيجوس) مرشح أنصار الفرس لهذه الوظيفة على منافسه (هيروكانوس) مرشح أنصار الرومان .. باستعمال الأول حيلة ماكرة .

لكن كفة الرومان هى التى رجحت فى النهاية .. ولما عرف (هيرود) زعيم قبائل الآدوميين وهم يهود ـ أن الرومان استتب لهم الأمر فى فلسطين وكان هو زعيماً مشهوراً فى البادية الجنوبية من فلسطين مالأ الرومان ، فنصبوه ملكاً على اليهودية والسامرة والجليل حيث ولد المسيح عيسى ابن مريم ، فتمادى هو فى محاكاة المدنية الرومانية ، وداهن فى الوقت نفسه السلطة الدينية اليهودية التى منها قبيلته والسلطة الدنيوية بالتمادى فى محاكاة الرومان والإغريق فى الأزياء والمساكن ـ كما تكفل بإتمام بناء الهيكل على نفقته وتكفل فى الوقت نفسه بترشيح رؤساء الهيكل من بين أعوانه .. لكنه رغم هذا كله فى محاولة التقريب بين الطرفين مات مغضوباً عليه أشد الغضب من أبناء دينه .

فخلفه أبناؤه الثلاثة على حكم فلسطين معتمدين من قبل الحكومة الرومانية فى روما .

فكانت الجليل ـ حيث ولد المسيح ـ فى حصة هيرود الثانى انطيباس ـ وكانت اليهودية فى حصة أخيلاوس ، ووقعت مشارف الشام فى حصة فيليب .

وكانت الحالة السياسية فى فلسطين على عصر المسيح من أسوأ ما يكون .. وفوقها فى السوء الحالة الاجتماعية التى تستطيع أن تتبينها بسهولة حينما تعرف عدد العجزة والمرضى الميئوس من علاجهم .. والمشلولين والمفلوجين والمجانين والمصابين بالخرس والصمم والعمى ، ويبس المفاصل والأطراف . بل أن هناك من كان يقال إن جسده تسكنه الشياطين

أو يتناوبون سكناه ليلًا ونهاراً .. وكان بعض هؤلاء أطفالًا .. وبعضهم شباباً .. وكهولًا .. هذا إلى جانب أمراض البرص والنزيف .. كل هذا كان موجوداً فى عصر الميلاد .

ولهذا فشى فى المجتمع طوائف شتى من الأطباء يعالجون بالعلاج الروحانى عن طريق قوة الإيمان وطهارة المعيشة .. وما إلى ذلك من وسائل السكينة وثقة الإيمان فكان الجو لذلك مهيئاً لمجىء من يأخذ بيد هؤلاء جميعاً ، وأصبح عمل المشتغلين بتطمين النفوس وتهدئتها بمثابة عمل الرواد لمن يأتى بالعلاج الناجع والحاسم مثل المسيح ، وكان يوحنا المغتسل أو يوحنا المعمدان أقوى هؤلاء الرواد ، وقد جعل للتطهير رمزاً هو الاغتسال بالماء ، وقد أثار حملة شعواء على بلاط الملك هيرود الذى أراد الزواج من امرأة أخيه واسمها هيروديا ــ فأثار يوحنا ضده حملة شعواء . كانت سبباً فى أن يدفع (يوحنا) حياته فى النهاية ثمناً لها .. إذ قتله الملك .. إرضاء لنزوة المرأة وابنتها (سالومى) التى رقصت على قدميه .. فوعدها بأن يعطيها كل ما تطلب فطلبت رأس يوحنا بإيعاز من أمها .. لأنه كان يعارض فى زواجها .. فتم لها ما أرادت وقتل يوحنا (سيدنا يحيى عليه السلام) وكانت هذه الحادثة .. فى عصر المسيح عيسى نفسه (عليه السلام) وشهدها وبعدها مباشرة أعلن دعوته وقام بها وذلك على النحو الذى سيأتى تفصيله فيما بعد [1] .

ويضيف إلى ذلك مؤلف تاريخ الكنيسة موضحاً بأن هيرودوس قد اتخذ هيروديا زوجة بعد أن طلق زوجته السابقة الشرعية ابنة ارتياس ملكة ميثرا وفصل هيروديا عن زوجها وهو لا يزال حياً .

* * *

---

(١) العقاد : حياة المسيح ص ٥٢ ــ ٥٩ ، انظر أيضاً : تاريخ الكنيسة : تاليف يوسابيوس القيصرى ترجمة القس مرقص داود ــ القاهرة ص ٤٩ بدون تاريخ .

رابعاً : الحياة الدينية فى عصر المسيح :

بلغت الدولة الرومانية فى عصر المسيح أقصى اتساع لها ودخل فى حوزتها اسم العالم المعمور كله ما عدا الشرق الأقصى وأصبح من رعاياها أناس مختلفون فى الجنس واللغة والعقيدة فشوهدت فى روما والأسكندرية ونابلس وبيت المقدس كل عبادة يدين بها البشر .

وغلبت عقائد الشرق على عقيدة روما وأتباعها وجاءت المسيحية بعد ذلك فلم تكن استثناء من هذه القاعدة بل كانت تطبيقاً جديداً .

والسبب فى ذلك أن كهان المعابد فى الشرق كانوا يعلنون حلول الألوهية فى أجسام الملوك ويرشحونهم للعبادة .

والقياصرة يحبون ذلك بالطبع ، فنادت مصر بأن الأسكندر ابن للإله (أمون) حتى أن الملك انطيوخس خليفة الإسكندر ـ طلب الربوبية وسمى نفسه الإله أو صاحب الشارة الإلهية وكان ذلك فى فلسطين نفسها إذ كان حاكماً عليها .

وزحف على العالم الرومانى نحلة (مثرا) ونحلة (إيزيس) ونحلة المتنطسين كما زحفت عليه نحلة أورفيوس اليونانية من آسيا الصغرى ومرجعها هى أيضاً إلى الشرق القديم .

ونحلة مثرا فارسية ، بينما نحلة ـ ايزيس مصرية .

و (مثرا) كان شخصية مزدوجة تجمع بين صفتين محبوبتين :

أحدهما : صفة النور الذى يبدد الظلام والأخرى صفة المناضل رب الجنود فهو إله محبوب عند الجنود بل وعند غير الجنود كالرعاة والعاملين بالليل . ويعتقدون أنه يولد فى الجسد الآدمى كما يولد الفقراء فى كهف مهجور ومن شعائر عبادته تتناول الخبز والخمر سراً أو جهراً .

وقد شوهدت آثار العبادة الميثرية فى أقصى الدولة الرومانية من المغرب حيث شوهدت فى آثار السور الرومانى بالبلاد الإنجليزية كما شوهدت فى غيرها ، وشاعت عبادته بين شبان الجيش لأنه كان يوصف فى (الأفستا) كتاب المجوس بأنه إله منتصر ومن أتباع الإله أهورا مزدا إله الخير ويقابله

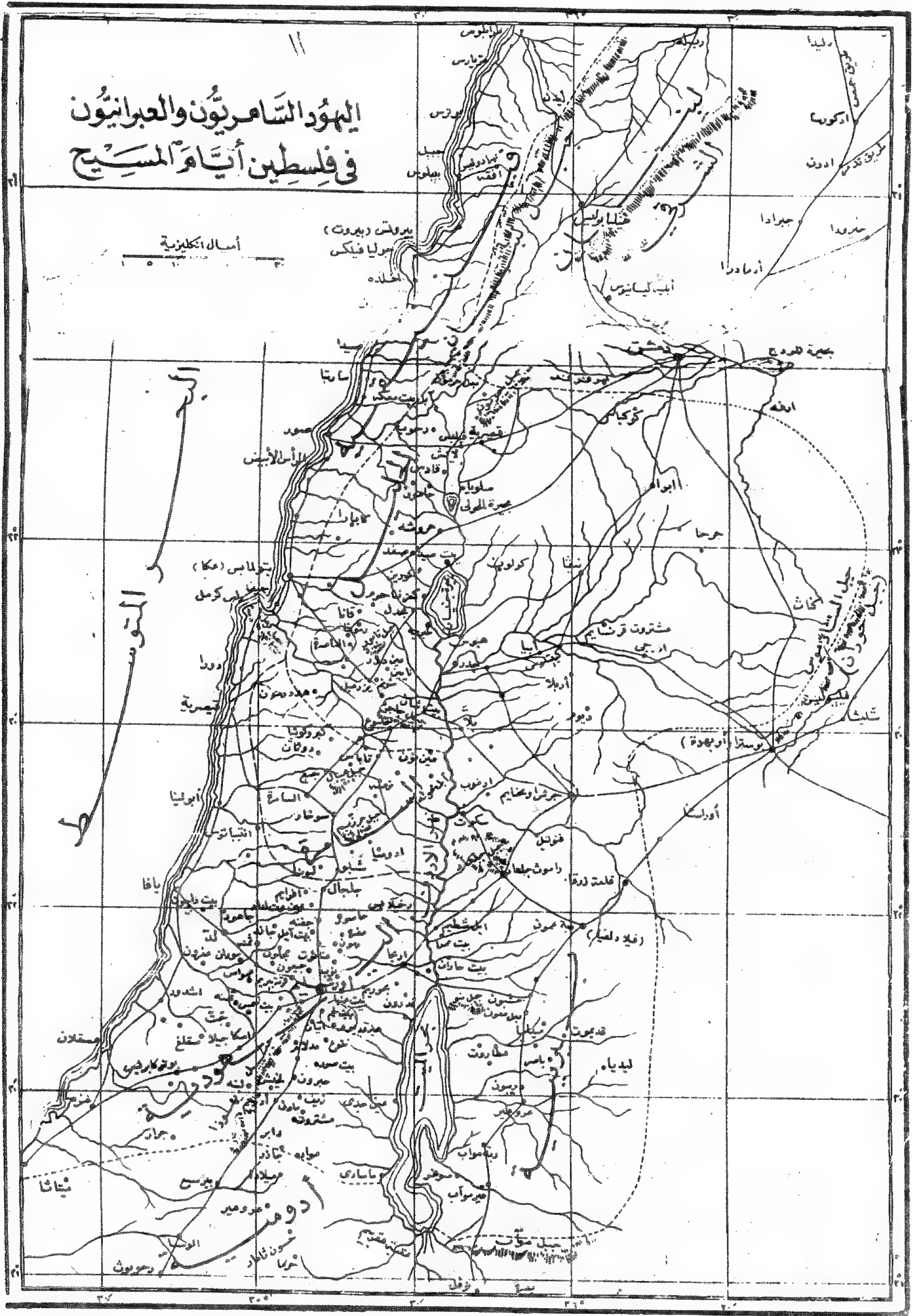
أهريمان إله الشر كذلك اقترنت نحلة (إيزيس) المصرية بنحلة (ميثرا) الفارسية فى غزو بلاد الرومان واليونان فسماها اليونان (ديمتر) ونحلوها صفتها المصرية وهى صفة الأمومة الكبرى أو صفة الطبيعة الأم وكان عبادها يوحدون بينها وبين القمر ويعتبرونها من ثم ربة الملاحة والبحر ، ويرسمون لها صوراً جميلة تنم عن الطهارة والحنان وفى حضنها طفل رضيع يشع النور من وجهه رمزاً للأمومة والبر والبراءة وكان كهانها يحلقون رؤوسهم فى الغرب محاكاة للكهنة المصريين ، وكان لها بينهم عابدون وعابدات يسمونها حامية البيت والأسرة ، ومن ثم شاعت عبادتها بين الرومان الذين اشتهروا بتقاليد الأسرة وتقديس حقوق الآباء ، وقد كان للمراسم السرية التى تلازم كلًا من نحلة (إيزيس ، ومثيرا) أثر كبير فى تشويق الناس إلى انتحالهما .

وإلى جانب ذلك خرج من مصر أيضاً نحلة قوية ــ مع قلة عدد المنتسبين إليها وهى نحلة المتنطسين التى ذكرها الفيلسوف فيلون الأسكندرى وكانوا يعيشون فى صوامع على مقربة من الأسكندرية حول مريوط القديمة ، ويظن بعض المؤرخين أن هؤلاء المتنطسين هم أساتذة النساك اليهود الذين يسمون الآسين أوالآسينيين .

يضاف إلى ذلك وجود النحلة الأورفية . فى ذلك العصر . وهى فى الأصل نحلة يونانية لكنها لم تلبث أن اصطبغت بالصبغة الشرقية فى التقشف والأخوة الروحية وتحريم اللحم ولبس الثياب البيضاء وعدم شرب الخمر إلا فى مواسم القربان . هكذا كان أشياعها فى عصر ميلاد المسيح .

وقد كان أتباع هذه النحلة يزعمون أن (أورفيوس) زعيم النحلة يزور عالم الموتى ويعود منه . وجعلوا لهم موعداً يحزنون فيه على موته وموعداً يحتفلون فيه ببعثه ، وهذا ما يشبه الاحتفالات الخاصة بموت وبعث أدونيس إله الربيع .. ومن هنا لاحظ علماء مقارنة الأديان أن (أتون) الإله المصرى و « أدونيس » الإله اليونانى ، و « أدونا» ، بمعنى السيد ، أو الرب .. باللغة العبرية وهواسم للإله عند اليهود ، كل هذه الأسماء ترجع إلى مصدرها المصرى القديم .

* * *



(رسم خريطة)
اليهود السامريون والعبرانيون
فى فلسطين أيام المسيح

خامساً : أرض الجليل :

ولد السيد المسيح بأرض الجليل ـ أو جليل الأمم ـ كما كان يسميها الإسرائيليون لأنها كانت إقليماً مفتوحاً لجميع الأمم الشرقية والغربية ولم تكن خالصة السكن للإسرائيليين وحدهم فى زمن من الأزمان .

ومعنى الجليل بالعبرية الدائرة ـ يعنون بها الإحاطة ، لأنها اتسعت لكثيرين ممن يحال بينهم وبين الإقامة فى بلاد أخرى من فلسطين ولا سيما الجنوب حيث يوجد اليهودية . (انظر الخريطة ص ٢٥) .

وكانت الجليل جزءاً من أقاليم الشاطىء الشمالية التى عرفت فى التاريخ القديم باسم كنعان . ثم أطلق عليها اليونان اسم (فينيقية) بمعنى اللون الأحمر على ما يظهر ، وهو لون الصخور والجبال .

وكانت العلاقة بين الجليل واليهودية على الدوام علاقة حذر وجفاء على الدوام إن لم تكن علاقة حرب وعداء . (على الرغم من دخول بعض بلاد الجليل ـ أو كنعان فى مملكة داود بعد إنشائها) .

وكان من أثر السيطرة اليهودية على بلاد الكنعانيين أن اليهود أخذوا من الكنعانيين معالم حضارتهم وعولوا عليهم فى الصناعة والتجارة ، والخبراء فى تشييد الهياكل والقصور . (اقرأ فى ذلك الإصحاح السابع فى سفر الملوك الأول) ، والإصحاح السابع والعشرين من سفر حزقيال .

كما اعتمد اليهود على الكنعانيين فى شئون الثقافة والفن ، وبسبب امتزاج سكان الجليل والسامرة (وهما فى شمال فلسطين) بالأجانب وأخذهم عنهم كثيراً من عاداتهم وتقاليدهم ولغاتهم حدث أن كرههم يهود الجنوب فى منطقة اليهودية .

مع أن الجميع يهود .. لدرجة أنهم فى سكان المنطقة اليهودية فى الجنوب كانوا يغيرون عليهم .. ويجبرون الأجانب المقيمين فى الشمال إما على قبول اليهودية أو الهجرة من البلاد . وكانت جمهرة كبيرة من أهل الجليل عرباً ، يتكلمون الآرامية ويلفظون العبرية بلهجة أجنبية .

وكان المتعصبون من اليهود القاطنين فى إقليم اليهودية فى الجنوب لا ينتظرون أى خير يأتيهم من الجليل حتى لقد كان لهم فى ذلك أمثال

مثل : (لا خير يأتى من الجليل) فلما ظهر المسيح (عليه السلام) فى الجليل . قالوا عنه متهكمين أنه لم يقم نبى قط من الجليل .

وعلى العكس من تشدد أهل اليهودية ـ سكان الجنوب ـ كانت السماحة الدينية من سمات سكان الجليل .

وبعد ميلاد المسيح ببضع سنوات خرجت الجليل من سلطان ملك اليهودية على أثر وفاة هيرود الكبير ، ودخلت هى والبادية المجاورة لها فى نصيب ابنه هيرود انطيباس .. وكانت عاصمتها طبرية على مقربة من الناصرة حيث نشأ عليه السلام (١) .

* * *

سادساً متى ولد المسيح ؟

يفهم من رقم التقويم الميلادى أن السيد المسيح ولد فى السنة الأولى للميلاد وعلى هذا الحساب يجرى العمل بين الأمم الأوربية منذ سنة ٥٣٢ وهى السنة التى دعا فيها الراهب دينوسيس الصغير إلى تأريخ الأيام من السنة الأولى للميلاد ولكن ثبت الآن بطلان اعتبار التاريخ الحالى ، لأن الصحيح أن المسيح عليه السلام قد ولد قبل هذا التاريخ بأربع سنوات وذلك أخذاً من مقارنات عدة بين أسماء حكام فلسطين الذين سبقوا مولده والذين عاصروه والقياصرة فى روما . ومن ثم صار من الصواب القول بأنه عليه السلام ولد حوالى سنة ٧٤٩ رومانية وأنه قد بدأ فى الدعوة وسنه ثلاثون سنة أى ٧٧٩ رومانية وأن سنة ميلاده تسبق السنة المعروفة التى يجرى عليه التقويم الآن ـ بأربع سنوات ـ نعم هناك من يقول أيضاً بأن السيد المسيح ولد فى نحو السنة الخامسة أو السادسة قبل الميلاد (٢) .

---

(١) العقاد : حياة المسيح ص ٧٨ ـ ٨١ .

(٢) العقاد : حياة المسيح ص ٨٢ ـ ٨٥ ـ هذا ويقرر ابن البطريق أن المسيح ولد فى السنة الثانية والأربعين من ملك أوغسطس قيصر وهى السنة الثالثة والثلاثون من ملك هيرودوس فى أرض فلسطين . (التاريخ المجموع ص ٨٩) .

ويحدد بعض مؤرخي الكنيسة القبطية يوم الميلاد بأنه تم فى يوم ٢٥ كانون الأول (ديسمبر) الموافق ٢٨ كيهك (الخريدة النفسية ص ١٦ نقلًا عن : تاريخ الكنيسة ـ يوسابيوس القيصرى ترجمة القمص مرقس داود ـ القاهرة بدون تاريخ) .

ولكن باحثاً مصرياً مسلماً هو الأستاذ المستشار محمد عزت الطهطاوى قد أثبت فى كتابه « النصرانية والإسلام » أن ميلاد السيد المسيح عليه السلام كان فى فصل الصيف ولم يكن أبداً فى فصل الشتاء (أنه كان فى شهر أغسطس أو سبتمبر وليس فى ٢٥ ديسمبر كما يقول النصارى الأوربيون أو فى يناير كما يقول النصارى الشرقيون ، واستدل على رأيه هذا بعدة أدلة أخذها من أقوال علماء نصارى يعتد بقولهم وهاك خلاصة ما قال وقالوا :

أورد لوقا فى إنجيله حكاية عن ميلاد المسيح وهو أنه كان فى تلك الجهة التى ولد فيها المسيح رعاة بدو يحرسون حراسات الليل على رعيتهم وإذا ملاك الرب قد وقف بهم ومجد الرب حولهم وبشرهم بأنه قد ولد الليلة ـ مخلص هو المسيح .

ومعنى وجود رعاة وليلًا أن الوقت كان يسمح بالرعى وهذا لا يحدث إلا صيفاً لأن الشتاء فى تلك المناطق فصل تنخفض فيه درجة الحرارة وخصوصاً بالليل بل وتغطى الثلوج تلال أرض فلسطين ، فهو من ثم فصل لا رعى فيه .

ولكن ما هو السبب فى جعل ميلاد المسيح فى فصل الشتاء ؟.

الجواب هو مجرد مصادفة إذ حدث ، كما يقول الأسقف بارنز أن هذا التاريخ ٢٥ ديسمبر قد صادف يوم احتفال كبير بعيد وثنى قومى فى روما ، ولم تستطع الكنيسة أن تلغى هذا العيد ـ بل باركته كعيد قومى لشمس البر فصار ذلك تقليداً منذ هذا الوقت .

وقد تم الاتفاق على الاحتفال بعيد الميلاد فى ديسمبر بالنسبة للغربيين بعد مناقشات طويلة حوالى عام ٣٠٠ م .

وهذا الرأى الذى ذهب إليه الأسقف بارنز أخذت به دائرة المعارف البريطانية ودائرة معارف شامبرز (انظر ذلك فى ص ٦٤٢ ، ص ٦٤٣ من دائرة المعارف البريطانية ط ١٥ مجلد ٥) .

حينما صمم آباء الكنيسة فى عام ٣٤٠ بعد الميلاد أن يحتفلوا بالعيد اختاروا بحكمة يوم الانقلاب الشمسى فى الشتاء لأنه كما سبق القول أعظم أعياد الناس أهمية .

وقد أخذ بهذا الرأى أيضاً ـ وهو أن ميلاد المسيح كان فى شهر أغسطس أو سبتمبر دائرة المعارف (**champers**) .

كما أخذ به أيضاً الدكتور جون د . أفير فى كتابه قاموس الكتاب المقدس تحت كلمة سنة .

وكذلك الأستاذ (بيك) من علماء تفسير الكتاب المقدس رفض هو الآخر ميقات ولادة المسيح على أنه ٢٥ ديسمبر والذين جعلوا تاريخ الميلاد أغسطس أو سبتمبر مثل الدكتور بيك ـ جعلوا ذلك سنة ٨ قبل الميلاد ، وحددوا وقت الصلب بأنه كان يوم الأربعاء عام ٣٤ ميلادية (١) .

وهذا ما قاله القرآن الكريم حيث ذكر أن مريم بعد ولادة المسيح أمرها هو بأن تهز بجذع النخلة ـ تساقط رطباً جنياً .

وبأن تشرب من جدول صغير . قريب من النخلة .

وهذه كلها لا توجد إلا فى فصل الصيف لأن الشتاء كما سبق القول يختفى فيه البلح وجداول الماء (٢) .

* * *

سابعاً ـ البيئة التى عاش فيها المسيح :

المسيح قد ولد يهودياً .. ثم نشأ فى بيئة يهودية استعار منها وحدها ـ حسب ما نعلم ـ عناصر ثقافته الفكرية والدينية ، ولقد انتشرت المسيحية أول ما انتشرت خارج فلسطين على أيدى اليهود أنفسهم .

---

(١) محمد عزت الطهطاوى (المستشار) : النصرانية والإسلام ـ القاهرة ١٤٠٧ ـ ١٩٨٧ ص ٢٤١ ـ ٢٤٤ .

(٢) المرجع السابق .

وإذن فقد ولد عيسى (عليه السلام) ونشأ فى بلد يهتم معظم الناس فيه بالمسائل الدينية أولا .. وخرج من بيئة شعبية يترقب أفرادها حدوث معجزة باهرة تجعلهم ملوكاً فى الأرض . ولم يكن للأنبياء من أقليم الجليل فى ذلك العصر سوى التبشير . بقرب تحقيق الآمال ويبدو فى الواقع ، أن هذا الوضع كان مبدأ لقيام عيسى (عليه السلام) بالدعوة . وهو عندما قام بها إنما كان يجدد تلك السلسلة من أنبياء بنى إسرائيل التى انقطعت بعد عودة اليهود من المنفى البابلى والتى حاول أن يصل حلقاتها من قبله أنبياء قبله منهم المعمدان (١) .

* * *

ثامناً ـ المسحاء فى بنى إسرائيل :

لم يكن المسيح عيسى بن مريم (عليه السلام) هو أول المسحاء ، بل قد تقدمه مسحاء كثيرون . وإن كان هو أعظمهم وأخطرهم ، ذلك أن فكرة المسيح معناها أن يمسح أحد الأنبياء شخصاً بالزيت المقدس (وقد وردت الإشارة إلى ذلك فى كتب اليهود .. عندما أمر الله موسى عليه السلام أن يمسح أخاه هارون) ، وهكذا فعل صاموئيل (نبى من بنى إسرائيل) مع شاول (صاموئيل أول ٩ : ١٥ ـ ١٦ ، ٢٤ : ٢٦) .

كذلك مسح صاموئيل أيضاً : سيدنا داود (عليه السلام) انظر صاموئيل أول ١٦ : ١٢ ـ ١٣ .

وقبل أن يصعد إلياس (عليه السلام) إلى السماء فإنه مسح تلميذه اليشع نبياً من بعده .

بل لقد مسح قورش ملك الفرس . بواسطة اليهود عندما اتصلوا به وهم فى الأسر البابلى . وأعانوه على هزيمة بابل ـ فحفظ لهم الجميل

---

(١) شارك جنيبير : المسيحية نشأتها وتطورها ـ ترجمة عبد الحليم محمود دار المعارف ـ القاهرة ـ بدون تاريخ ص ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٧ ، ٤٨ .

وأعادهم لفلسطين بعد انتصاره فحفظوا له هذا الجميل .. واعتبروه مسيحاً .. بمعنى أنه صار فى نظرهم محل تقدير واحترام على نحو ما يفعلون ذلك مع أنبيائهم أو شيئاً قريباً من هذا .

وأخيراً جاء المسيح عيسى بن مريم (عليه السلام) أعظم مسيح ظهر فى بنى إسرائيل وإن كان اليهود ينكرونه ولا يعترفون به حتى الآن إنما ينتظرون مسيحاً ملكاً يقيم لهم دولة ويحكمها وهو قد أعلن أنه ليس بملك .. ولكن لنترك ذلك الآن لحديث آخر يجىء فى محله فى هذا الكتاب ولندخل فى حياة المسيح عليه السلام .

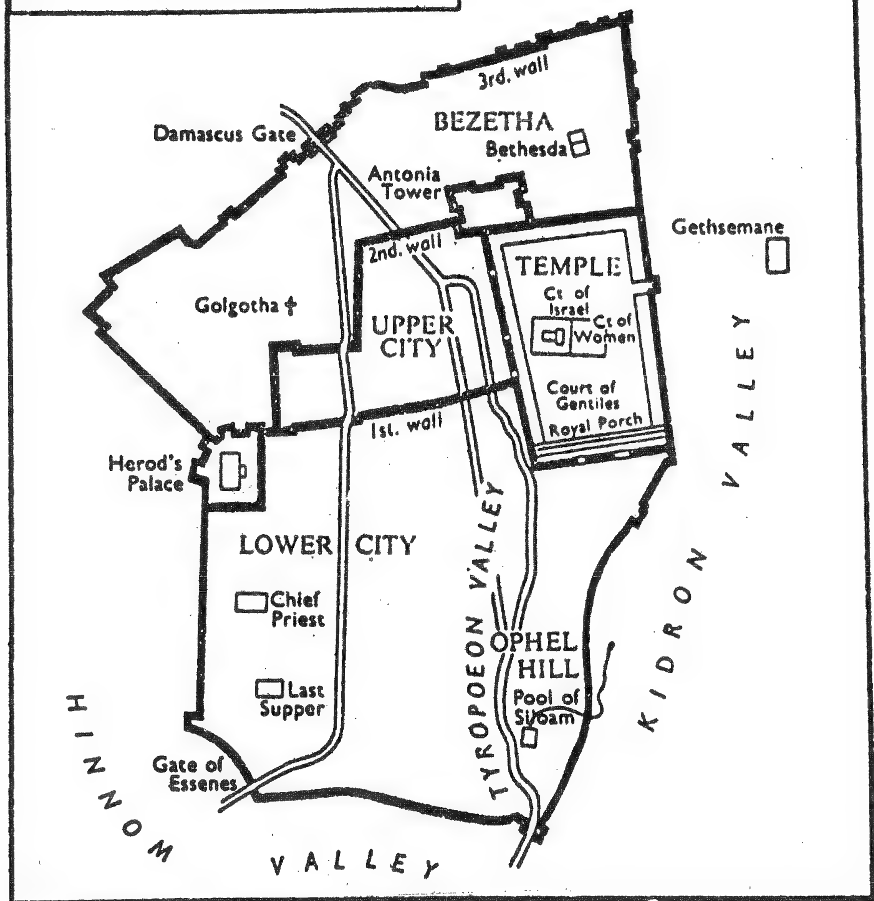
* * *

تواريخ هـــامة
فى التاريخ المسيحى

- أغسطس القيصر : ٢٧ ق . م ـ ١٤ م .
- هيرودس الكبير ٣٧ ق . م ـ ٤ ق . م .
- مولد المسيح ٨ ـ ٦ ق . م .
- موت هيرودس الكبير ٤ . ق . م .
- هيرودس انطيباس حكم منطقة الجليل ٤ ق . م ـ ٣٩ م .
- هيرودس فيليب حكم باطنيا ٤ ق . م ـ ٣٤ م .
- هيرودس أرخيلاوس حكم اليهودية والسامرة وايـــدوم ٤ ق . م ـ ٦ م .
- قياف الكاهن اليهودى الأكبر ١٨ ـ ٣٦ م .
- سيدنا يحيى (عليه السلام) ابن سيدنا زكريا (عليه السلام) بدأ التعميد ٢٨ .
- بونتيوس بيلاطس ٢٦ ـ ٣٦ م .
- صلب المسيح (كما يعتقدون) : ٢٩ أو ٣٣ م .
- تحول بولس إلى النصرانية سنة ٣٤ أو سنة ٣٥ م .
- بدء عمل بولس فى التبشير سنة ٣٥ ؟ .
- هيرودس أجريبا الأول : ملك اليهودية ٤١ ـ ٤٤ .
- وفاة هيرودس أجريبا الأول ٤٤ .
- المجاعة فى فلسطين ٤٦ ـ ٤٨ م .
- الرحلة الأولى لبولس للتبشير بالمسيحية ٤٧ م .
- مجلسِ (مجمع) الكنيسة فى أورشاليم ٤٩ ؟ وهو المجمع الأول .

- طيباريوس اسكندر حكم اليهودية ٤٦ ـ ٤٨ م .
- انطونيوس فيلكس ٥٢ حاكماً على اليهودية .
- سجن بولس فى قيسارية (قيصرية بفلسطين) ٥٩ ـ ٦١ .
- رحلة بولس لروما ٦١ ـ ٦٢ .
- موت يعقوب أخو المسيح ويسمى أخو الرب ٦٢ م .
- موت بطرس وبولس فى روما ٦٤ ـ ٦٥ .
- ثورة اليهود ضد الرومان ٦٦ ـ ٧٠ م .
- سقوط أورشاليم على يد الرومان (خراب أورشاليم) سنة ٧٠ م .
- تدمير أورشاليم وإعادة بنائها تحت اسم (إيليا كابيتولينا) سنة ١٣٥ م .

* * *


MAP 10
JERUSALEM in the TIME of CHRIST
0 Yards 1000
3rd. wall
BEZETHA
Bethesda
Damascus Gate
Antonia Tower
Gethsemane
2nd. wall
TEMPLE
Ct of Israel
Ct of Women
Golgotha
UPPER CITY
Court of Gentiles
Royal Porch
1st. wall
Herod's Palace
LOWER CITY
TYROPOEON VALLEY
KIDRON VALLEY
Chief Priest
OPHEL HILL
Last Supper
Pool of Siloam
HINNOM VALLEY
Gate of Essenes

الباب الثانى

سيرة المسيح

١ ـ المسيح ونسبه

كان من المفروض عندما يتعرض كتبة الأناجيل لكتابة سيرة المسيح الذى يعتقدون أنه إله وابن إله ، كان من المفروض أن لا يتعرضوا لذكر شيء اسمه نسب المسيح ، لأن الإله الحقيقى لا نسب له ، هكذا يقول المنطق السليم والحق والواقع ، نعم : يقول المنطق السليم : إن الإله ليس مثل البشر ـ أى أنه يكون دائماً أسمى وأسمى من مخلوقاته ، وأجلّ وأعلى من أن يشبههم فى شيء ، والواقع التاريخى فى كل كتب الأنبياء الصحيحة لا يمكن أن ينطق أبداً بأن للإله نسباً ، وأنا أذكر كلمة الواقع التاريخى لا لأنها ذات أهمية هنا ، بل لمجرد استيفاء أوجه الاحتمالات كلها ، المنطق (أى حكم العقل) والواقع التاريخى كلاهما يرفض أن يكون للإله الحقيقى نسب .

لكن الآلهة المزيفة .. ما هكذا يكونون .. أعنى هم على العكس من ذلك : أى يكون لهم نسب وآباء وأجداد ، وهذا أيضاً ما يسمح به المنطق العقلى والواقع التاريخى .. كلاهما .

إذ لا ضير أبداً على المنطق والواقع أن يكون الإله المزيف سواء كان كسرى أو قيصر أو اللات وهبل .. لكل منها آباء وأجداد ، وأسرات كل ذلك لا ضير فيه عقلًا ، وهو ما قيل به أيضاً فى الواقع التاريخى .

ومن أجل هذا جاءت قريش تسأل رسول الإسلام نبينا محمداً صلوات الله وسلامه عليه قائلة : « أنسب لنا ربك » أى أذكر لنا نسبه ، لأنهم كما تعودوا ـ يعتقدون أن الإله له نسب ، فماذا كان رد الرسول عليهم ؟ لم يرد الرسول عليهم بنفسه ، بل الذى تولى الرد عليهم إنما هو المولى نفسه ـ جل جلاله ـ فأنزل فى ذلك قرآناً يتلى هو قوله عز وجل : ﴿ **قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد** ﴾

[صدق الله العظيم] .

فالله تعالى لم يلد ولم يولد ، ولا يوجد له نظير ولا أحد كفؤ له ، هذا هو الإله الحق ، أما الآلهة الباطلة فغير ذلك ، وقد كانوا فى زمن المسيح كثيرين ، كان لدى الرومان آلهة كثيرة ، وكثيرة أيضاً كانوا لدى اليونان ، وكلاهما كان له وجود واضح فى عصر المسيح : الرومان هم أصحاب السلطان والدولة على فلسطين وغيرها من بلاد المشرق ، حيث كانت الامبراطورية الرومانية الفسيحة تبسط سلطانها حتى على مصر ، وكذلك كانت الثقافة اليونانية وما تمثله هى الأخرى من فلسفة ووثنية لها وجود قوى فى فلسطين وغير فلسطين يتمثل فى الثقافة واللغة والتراث الذى تركه الهيلينيون واختلط بتراث الشرق الروحى ، فصار يسمى الهيلينستية ، أى اليونانية الممزوجة بتراث الشرق ، والهيلينية ، وثنية ، وتراث الشرق الروحى اليهودية والمذاهب الأخرى تسرب إليها شىء غير قليل من الوثنية أيضاً ، وهكذا ينطبق الأمر على فارس ، إذ فيها إله النور وإله الظلمة ، وما إلى ذلك ، وهو نفس الشىء بالنسبة إلى بابل وبلاد ما بين النهرين ومصر ، الكل فيه آلهة والكل فيه شرك ووثنية .

وكتَّاب الأناجيل كانوا بالطبع على علم بهذا المحيط كله ، وعلى علم تام بالتالى بأن للآلهة أنساباً ، من أجل ذلك كله كانوا متأثرين بهذا التراث وهم يكتبون عن المسيح سيرته ، حتى تسرب فى كلامهم من الوثنية وعاداتها شىء غير قليل ، من أجل ذلك كتبوا للمسيح نسباً ، وكان الأجدر بهم ألا يتكلموا على ذلك ما داموا يعتبرونه إلهاً .

أما وقد فعلوا أو فعل بعضهم على الأقل مثل متى ولوقا حيث أنهما الوحيدان اللذان كتبا نسب المسيح ، وماذلك إلا لاعتقادهما الدفين بأنه بشر وليس إلهاً .

أما من عداهما مثل مرقص ويوحنا فلم يتعرضا لذكر هذا النسب ، وهذا ما سنشرحه عند كلامنا على إنجيل كل منهما بالتفصيل .

لكن ما نود إثباته هنا هو أن متى ولوقا لما تعرضا لذكر نسب المسيح وقع كل منهما فى أخطاء خطيرة تدل إما على الجهل الفاضح بطبيعة ما يكتبان عنه وإما على الغفلة ، والغفلة والجهل هنا فى هذا المقام بالذات شيئان لا مسامحة فيهما أبداً .

وبيان ذلك أن نسب الإنسان أى إنسان حقيقى يجب أن يكون مسألة صادقة لا خلاف فيها أو عليها ، فيقال مثلًا : فلان ابن فلان ابن فلان ابن فلان وهكذا إلى ما شاء الله .

لكن القديس متى أو من ينسب إليه إنجيل بهذا الاسم وكذلك القديس لوقا أو من ينسب إليه إنجيل بهذا الاسم اختلفا وتضاربا تضارباً شنيعاً عندما ذكرا نسب المسيح ، فماذا قالا :

افتتح متى إنجيله بقوله : « كتاب ميلاد يسوع المسيح بن داود بن إبراهيم إبراهيم ولد إسحق وإسحق ولد يعقوب ويعقوب ولد يهوذا وإخوته » ، وهكذا يستمر حتى يصل إلى القول فى نهاية النسب (ويعقوب [1] ولد يوسف رجل مريم التى ولد منها يسوع الذى يدعى المسيح ، فجميع الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلاً ، ومن داود إلى سبى بابل أربعة عشر جيلًا ، ومن سبى بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلًا) .

لكن لوقا : ترك ذكر نسب المسيح فى بدء إنجيله وذكره فى الإصحاح الثالث بعد أن ذكر قصة (مريم) ووصل إلى ذكر أن يسوع (أى عيسى) اعتمد من يوحنا المعمدان (أى سيدنا يحيى) فى نهر الأردن وبعدها ، بدأ يسوع دعوته ، هنا فقط ذكر لوقا نسبه فقال :

(وهو كان على ما يظن ابن يوسف بن هالى بن منثان بن لاوى) ، ويستمر هكذا حتى يصل بالنسب إلى سيدنا إبراهيم الخليل ـ عليه السلام .

لكن المقارنة بين ما ذكره (متى) و (لوقا) تسفر عن عدد من الملاحظات والأخطاء التى لا تخفى على أحد ، حتى ولو كان قارئـاً عادياً من غير المتخصصين :

---

(١) المقصود بيعقوب هذا ـ يعقوب آخر غير سيدنا يعقوب والد سيدنا يوسف الصديق ـ عليهما السلام ـ لأن يعقوب هنا المقصود منه والد يوسف النجار رجل مريم أم المسيح .

ـ تسلسل النسب فى لوقا يسير إلى ابن آخر لداود وهو ناثان ، خلافاً لما فى (متى) الذى يسير بالنسب إلى سليمان بن داود .

ـ متى يقول : إن يوسف النجار هو ابن يعقوب ، بينما لوقا يقول هو ابن هالى .

ـ متى يقول أن آباء المسيح من داود إلى جلاء بابل سلاطين مشهورون ، ولوقا يخالفه ، ويذكر أنهم ليسوا سلاطين ولا مشهورين غير داود وناثان .

ـ ذكر متى : أن شلتائيل بن يكنيا (اسم رجل ورد فى نسب المسيح) ولوقا يقول : إنه ابن نيرى .

ـ متى يقول : إن ابن زربابل أبيهود ـ بينما لوقا يقول : إن اسمه ريسا ، مع أن أسماء بنى زربابل مكتوبة فى الإصحاح الثالث عشر من السفر الأول من أخبار الأيام (من كتب اليهود) وليس فى أسمائهم أبيهود ولا ريساً .

ـ متى يقول : إن بين داود والمسيح ستة عشر جيلًا .

ولوقا يقول : إن بينهما واحداً وأربعين جيلًا .

بقى بعد ذلك أن نقول : إن الشخص الذى ذكرا نسبه إنما هو يوسف النجار فى الحقيقة وليس المسيح وهذا خطأ آخر وقعا فيه . وهو من أفحش الأخطاء وأشنعها ، وذلك لأن البداية كانت بذكر نسب المسيح فإذا به فى النهاية يوسف النجار ـ رجل مريم ، فأى تخبط أسوأ من هذا ؟ ولا عبرة بكلام من يقول : إن ذلك كان لإخفاء اسم مريم لأن من العيب ذكره ـ كيف واليهود جميعاً يعرفونها بل ويعيرونها بالمسيح فأى عيب بعد هذا فى ذكر اسمها ونسبها ؟! .

وللمزيد من الملاحظات ننصح بالرجوع إلى قراءة سفر أخبار الأيام الأول من كتب اليهود المطبوعة ضمن العهد القديم ، فهناك ملاحظات أخرى .

ومما سبق يتبين أنه لا يمكن الأخذ برواية أى من متى أو لوقا عن نسب المسيح ، إذا لو اعتبرنا أحدهما صحيحاً لكان الآخر مخطئاً ولاشك [1] .

فماذا عن مريم أمه ؟.

هى مريم بنت عمران : كان أبوها رجلًا عظيماً من علماء بنى إسرائيل ، وقد توفى وابنته صغيرة تحتاج إلى من يكفلها فكفلها زكريا ، لأنه زوج خالة مريم واسمها (اليصابات) ، وكان يجد عند مريم ـ كلما دخل عليها المحراب فى الهيكل ـ رزقاً ، لأنها كانت تقيه بارة ، والقرآن الكريم قد أشار إلى ذلك فى سورة آل عمران : ﴿ **إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين** ﴾إلى قوله تعالى : ﴿ **إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهَّرك واصطفاك على نساء العالمين ...** ﴾[الآيات ٣٣ ـ ٤٤] .

* * *

٢ ـ تبشير مريم بعيسى

تم ذلك بواسطة الملك جبريل (عليه السلام) الذى نفخ فى جيب قميصها ، فإذا هى حامل بالمسيح عيسى ، كما ذكر الملاك لها ذلك وأنه يكون ﴿ **وجيهاً فى الدنيا والآخرة ومن المقربين * ويكلم الناس فى المهد وكهلًا ومن الصالحين * ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل** ﴾أى البشارة وأنه سيكون آية للناس دالة على قدرة الله تعالى ورحمته .

لكن النصارى يقولون فى كتبهم : إن الملاك لما بشَّر مريم بأنها ستحبل فى المسيح قال لها : إن اسمه سيكون يسوع ، وأنه يدعى ابن العلى ، وأن الرب سيعطيه كرسى أبيه داود وأنه يملك على بيت يعقوب ،ولا يكون لملكه نهاية وأن المولود منها يدعى ابن الله ، كما ذكر لها الملاك أيضاً أن اليصابات زوج زكريا (عليه السلام) هى حامل الآن (أى فى ذلك الوقت) فى الشهر السادس .

---

(١) ننصح بالرجوع أيضاً إلى كتاب (المسيح فى مصادر العقائد المسيحية) للمهندس أحمد عبد الوهاب ـ طبع القاهرة سنة ١٩٧٨ ـ ص ٧٨ ـ ٨٣) ، وكتاب « قصص الأنبياء » : تأليف المرحوم عبد الوهاب النجار ـ طبع القاهرة سنة ١٤٥٦ ـ ص ٣٧٤ .

ومن الملاحظ هنا أن لوقا قد تفرد بذكر ألقاب للمسيح لم يذكرها غيره مثل (وابن العلى يدعى) و (المولود منك يدعى ابن الله) وقوله : (ويعطيه كرسى داود) [1] .

ومن الملاحظ أيضاً أن لوقا هذا ليس تلميذاً للمسيح ولا هو من الاثنى عشر حوارياً ، بل هو رجل دخل فى الدين متأخراً وصار تلميذاً لبولس الذى لم ير المسيح هو الآخر ، وإذن فهذه العبارات من لوقا ـ إنما كانت ليزين بها أمر المسيح وهو ليس فى حاجة إلى ذلك ، كذلك أورد المؤرخون لحياة المسيح ملاحظاتهم على هذه الألقاب ، فقالوا : إن المسيح لا يصلح لأن يجلس على عرش داود ، لأن أرمياء النبى (من أنبياء بنى إسرائيل وله سفر باسمه ضمن الأسفار التى يقدسها اليهود) والنصارى معاً ذكر أن الرب قال له : إن يواقيم ملك يهوذا لا يكون منه جالس على كرسى داود ، ويواقيم هذا ورد اسمه عند لوقا على أنه (الياقيم) ، ثانياً : المسيح فعلًا لم يجلس على كرسى داود ، بل العكس هو الصحيح ، أعنى أنه أهين وضرب عندما سلمه بيلاخاس لليهود .

وأما قوله : (وابن العلى يدعى) فهذه الجملة منتزعة من قول زكريا (عليه السلام) فى ابنه يوحنا (يحيى) : (وأنت أيها الصبى نبى العلى) فحرفها لوقا لتكون فى حق المسيح ولتكون أيضاً (وابن العلى) ليوهم الناس أن المسيح إله ابن إله .

ويلاحظ من كلام يوحنا أن المسيح كان هارباً من قومه عندما أرادوا أن يجعلوه ملكاً ، فكيف يهرب من أمر بعثه الله لأجله على حسب ما تذكر الرواية السابقة ، ومعلوم أنه لم يملك ساعة واحدة فضلًا عن أن يملك إلى الأبد .

---

(١) وهناك من تلقب بلقب المسيح قبله كثيرون تذكرهم كتب اليهود منهم شاول الذى مسحه صاموئيل بالزيت المقدس وداود ، واليشع .. (انظر : صموئيل الأول : ٢٤ : ٦ ، ٩ : ١٥ ـ ١٦ ، ١٦ : ١٢ ـ ١٣ ، الملوك الأول ١٩ : ١٥ ـ ١٧) كما سبق أن أشرنا عند الكلام عن عصر المسيح فى صفحة ٣٠ .

والذين تكلموا عن الحمل والولادة من أصحاب الأناجيل هما اثنان : (متى) و (لوقا) .

والذى نلاحظه هنا أيضاً هو سكوت كتب النصارى عن أمر تكليم عيسى الناس فى المهد – وعن أمر النخلة وعن تكذيب الناس لمريم ، سكتت الأناجيل عن ذلك ، وتكلم القرآن ، فلماذا ؟ هنا يأتى الجواب من قوله تعالى : ﴿ **فنسوا حظاً مما ذكروا به** ﴾ كما أن قذف اليهود لمريم بالزنى قد أشار إليه القرآن فى قوله : ﴿ **وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً** ﴾، والأناجيل قد سكتت عن ذلك ، فلماذا ؟ هل لأن اليهود مؤدبون أم هل هم صدَّقوا مريم فى قولها أنها جاءت بالمسيح من الروح القدس ؟.

● ومع ذلك فقد أوردت الأناجيل المقدسة عند النصارى قصة ترد على إنكارهم معجزة تكليم المسيح الناس وهو فى المهد والتى أوردها القرآن ، ولم يوردها كتبة الأناجيل .. هذه القصة تقول بأن المسيح لما ولدته أمه صعدت به بعد انتهاء مدة النفاس ومعها يوسف النجار إلى أورشاليم لتقديم ذبيحة فى المعبد ، فرآه الكاهن سمعان الذى كان ممتلئاً من الروح القدس وكان قد أوحى إليه أنه لا يرى الموت قبل رؤية المسيح .. هذا الرجل لما رأى المسيح وهو طفل .. عند قدوم أمه أخذه على ذراعيه فى الهيكل وبيَّن أوصافه ، وكذلك حنَّة النبية . [انظر إنجيل لوقا – الإصحاح الثانى] .

والسؤال هنا هو إذا كان الأمر كذلك ، فلماذا لم يخبر سمعان اليهود (وهو منهم بالطبع) بأن المسيح المنتظر قد ولد حتى إذا ما كبر اتبعوه وآمنوا به ؟ .

إن فى هذا رداً على تكذيب النصارى للقرآن فى حديثه عن كلام المسيح وهو فى المهد .. إذ قالوا : ولماذا لم يؤمن به اليهود ، أو حتى لماذا لم يشهدوا به .. فالجواب هنا هو كالجواب هناك .

وقد ورد فى إنجيل لوقا : أن المسيح قد ختن فى اليوم الثامن من ولادته حسب شريعة اليهود .

* * *

٣ ـ المجـــوس ويسوع

حكاية المجوس ويسوع انفرد بها (متى) من بين الأربعة .

وهى حكاية ملخصها : أن ثلاثة من المجوس ـ من المشرق ـ كانوا يرقبون نجوم السماء وأنهم رأوا نجماً لامعاً جداً .. يتحرك فتبعوه ، فهداهم إلى أورشاليم ، وهناك سألوا أين ملك اليهود ؟ فلما سمع (هيرودس) بذلك خاف وسأل الكهنة عن ذلك فأخبروه بأن ملك اليهود يولد (فى بيت لحم) فأحضر هيرودس المجوس وسألهم عن سبب مجيئهم فأخبروه ، وقالوا : إن معهم هدايا يريدون تقديمها لهذا الملك الصغير الذى ولد ، فأمرهم أن يذهبوا إلى بيت لحم ويبحثوا عن الطفل وأن يعلموه به ، وفعـلًا خرجوا من عنده وتوجهوا إلى بيت لحم ، وعرفوا مكان الطفل وسجدوا له وقدموا الهدايا ، ولأنهم خافوا على الطفل من هيرودس لذلك لم يرجعوا إليه ، بل ذهبوا إلى بلادهم ، ولما عرف هيرودس بذلك علم أنهم قد سخروا منه ، فأمر بقتل كل طفل ولد فى بيت لحم ، ويحدد ابن البطريق أن قدومهم كان بعد ميلاد المسيح بسنتين ، لأنهم جاءوا فى سنة خمس وثلاثين من ملك هيرودس . وقد ولد المسيح فى السنة الثالثة والثلاثين من ملكه (١) .

ومن الواضح أنها قصة مصطنعة ، لأن المجوس ، ما شأنهم بالمسيح ؟ ثم هذا هو لوقا الذى يزعم أنه كتب إنجيله بتدقيق شديد ، لماذا لم يشر إلى ذلك ؟ واليهود أيضاً ماذا كان موقفهم من هذا الملك الصغير الذى كانوا ينتظرونه ؟! ولماذا لم يذهبوا مع المجوس ما داموا ينتظرونه ؟ .

ثم المسيح لم يرسل إلى المجوس . ثم إن اليهود الذين كانوا يكتبون جرائم هيرودس لم يشيروا إلى قتله الأطفال (الفرق بين المخلوق والخالق ص ٣٠) .

* * *

---

(١) ابن البطريق : (افتيشيوس المكنى بسعيد ابن البطريق) : كتاب المجموع : ص : ٨٩ : ٩٠ .

٤ ـ ذهاب يوسف ومريم بالمسيح إلى مصر

هذه المسألة انفرد بها أيضاً (متى) .

وتلخص فى أن هيرودس لما أمر بقتل كل طفل فى بيت لحم أُمِرَ يوسف النجار فى منامه بأن يذهب بالطفل وأمه إلى مصر ، ولما هلك هيرودس أُمِرَ يوسف النجار فى نومه مرة أخرى بالعودة بالطفل وأمه إلى بلادهما ، لكن صاحب كتاب (الفارق بين المخلوق والخالق) يزيف هذه الحكاية ، فارجع إليه فى ص ٢٩ جـ ١ .

* * *

٥ ـ يسوع يحاجّ العلماء بعد رجوعه إلى (اليهودية) وبلوغه اثنى عشر عاماً من العمر

لما مات هيرودس ظهر ملاك الرب فى حلم ليوسف قائلًا : عد إلى اليهودية ، لأنه قد مات الذين كانوا يريدون موت الصبى ، فأخذ يوسف الطفل ومريم ، وكان الطفل بالغاً سبع سنين من العمر ، وجاء إلى اليهودية حيث سمع أن أرخيلاوس بن هيرودس كان حاكماً فى اليهودية ، فذهب إلى الجليل لأنه خاف أن يبقى فى اليهودية ، فذهبوا ليسكنوا فى الناصرة ، ولما بلغ اثنتى عشرة سنة من العمر صعد يوسف مع مريم والمسيح إلى (أورشاليم) ليسجد هناك حسب شريعة الرب المكتوبة فى كتاب موسى ، ولما تمت صلواته انصرفوا بعد أن فقدوا يسوع (أى لم يجدوه معهم) فظنوا أنه عاد إلى الجليل مع أقربائهم ، لكنهم لما رجعوا إلى الجليل لم يجدوه ، فعادوا مرة أخرى إلى أورشاليم ليبحثوا عنه ويسألوا الجيران ، وبعد أيام ثلاثة وجدوه فى الهيكل مع العلماء يناقشهم فى أمر الناموس ، وكان الناس يتعجبون منه ، كيف يسأل هذه الأسئلة مع أنه صغير ولم يتعلم القراءة ، فعنّفته أمه على بقائه فى أورشاليم دون إذن منها هى ويوسف النجار .

بعد ذلك نزلوا إلى الناصرة وكان مطيعاً لهما بتواضع واحترام .

وهنا نلاحظ أن ذهابهم إلى أورشاليم بعد أن رأى يوسف فى الحلم أمراً بذلك ، ثم لما علموا بأن أرخيلاوس بن هيرودس كان حاكماً عليها تركوا

أورشاليم وتوجهوا إلى الناصرة .. إلخ ما تقدم .

السؤال هنا هو : كيف يجوز أن يخبرهم الملاك فى حلم يوسف النجار بأن يتوجهوا إلى اليهودية (يعنى أورشاليم) مع أن أرخيلاوس كان هناك حاكماً وهم يخافون منه ؟ فلماذا إذن لم يأمرهم الملاك بالتوجه إلى الناصرة مباشرة ؟.

بعد ذلك سكتت الأناجيل ولم تخبرنا عن شيء من سيرة المسيح ، إلى أن بلغ ٢٩ تسعاً وعشرين عاماً ، فأين كان يسوع فى هذه المدة وهى سبع عشرة سنة ؟ .

بعض الأوربيين يقول : إنه ذهب أثناء هذه المدة إلى الهند وتعلم البوذية ، ولما عاد إلى وطنه أخذ فى التعليم والوعظ ، وذلك لأن تعاليمه محاذية تماماً (أى مساوية) تماماً لتعاليم بوذا فى الزهد وتنقية النفس من الشرور والمعاصى ، وإن كان المسيح يزيد عنه بشيء فهو الحث على البذل والعطاء وفعل الخير للأعداء والأصدقاء ، هذا ما يقوله الأوربيون عن هذه الفترة التى هى ١٧ سبع عشرة سنة .

* * *

٦ ـ كيف ابتدأت نبوة المسيح

لم يذكر القرآن كيف ابتدأ ولا متى ابتدأ المسيح دعوته ، لكن أصحاب الأناجيل قد ذكروا فى ذلك أن يوحنا المعمدان (وهو سيدنا يحيى عليه السلام) كان يعيش فى البرية زمناً زاهداً متقشفاً ثم ظهر فى ناحية نهر الأردن ينذر الناس بالتوبة ، وكان يعمدهم فى النهر باقتراب ملكوت السموات وقد أرسل إليه الكهنة يسألون : هل هو إيليا ؟ فأجاب : لا ، هل هو المسيح ؟ فأجاب : لا ، هل هو النبى ؟ فأجاب : لا ، فقالوا له : فلم تعمد إذن إذا لم تكن إيليا ، ولا المسيح ولا النبى ؟ وطلبوا أن يقول لهم من هو ؟ قال : (أنا صوت صارخ فى البرية ، أعدوا طريق الرب واصنعوا

سبله مستقيمة ، لأنه قد اقترب ملكوت السموات) ، (وهذه الجملة مقتبسة من الآية ٣ ص ٤٠ أشعيا) (١) .

جاء المسيح إلى يوحنا ـ كما تذكر الأناجيل ـ واعتمد منه فى الأردن ، وبعد أن خرج من الماء نزل عليه الروح القدس مثل حمامة قائلًا : هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت ، بعد ذلك صام فى البرية أربعين يوماً لا يأكل ولا يشرب ، ثم جرب من الشيطان على أثر صومه عندما أحس بالجوع ، فأتاه الشيطان وقال له : إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً ، فقال له : مكتوب ، ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان ، بل بكل كلمة تخرج من فم الله ، فأوقفه على الهيكل ، وقال له : إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل ، لأنه مكتوب أن يوصى ملائكته بك ، فقال له : مكتوب أيضاً لا تجرب الرب إلهك ، فأخذه إبليس على جبل عال وأراه ممالك الأرض ومجدها ، وقال له : أعطيك هذه جميعاً إن خررت وسجدت لى ، فقال له المسيح : اذهب يا شيطان ، لأنه مكتوب ، للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد ، فذهب عنه الشيطان وجاءته الملائكة وعلم المسيح عقب ذلك أن يوحنا قتل ، فجاء إلى الجليل وترك الناصرة وسكن (كفرناحوم) وكان يكرز ببشارة ملكوت الله ، وكانت سنة آنذاك ٣٠ ثلاثين سنة .

[انظر : إصحاح ٤ متى ، ص ١ مرقص ، ص ٣ ، ٤ لوقا ، ص ١ يوحنا]

وهنا يذكر برنابا فى إنجيله : أن يسوع لما بلغ ثلاثين من العمر صعد إلى جبل الزيتون مع أمه ليجنى زيتوناً ، وبينما كان يصلى فى الظهيرة جاءه الملاك جبريل وقدم إليه كتاباً ، أكله يسوع ، وعلى الفور عرف به كل شيء ، ومن ذلك اليوم انصرف يسوع عن أمه ليمارس وظيفته النبوية .

والقصة التى رواها كتاب الأناجيل من تجريب الشيطان له ، وقوله له : إن كنت ابن الله إلخ ، تجعلنا نتساءل : هل كان يسوع قد قال قبل

---

(١) يجب أن نلاحظ هنا : أن أسئلة اليهود ليوحنا كانت عن ثلاثة أشخاص هم : إيليا والمسيح وذلك النبى ؟ فمن هو ذلك النبى ؟ نحن نقول : إنه نبينا محمد ﷺ .

ذلك أنه ابن الله ؟ ومتى وكيف و ثم لماذا يجرب من الشيطان مع أنه إله على زعمهم ؟! ثم لماذا سكت يسوع عن إعلامهم إبليس بأنه إله وقادر على كذا وكذا ؟! .

* * *

٧ ـ دعوته بالإنجيل

الإنجيل كلمة يونانية معناها : البشارة بالخبر السار ، والأدلة متوافرة على أن الله تعالى أعطى المسيح الإنجيل وأنه تضمن الهدى والنور وأنه تضمن كذلك دعوة بنى إسرائيل أن يرجعوا إلى الله ويعبدوه ، كما أنبأهم بأحداث مستقبلة وبشرهم باقتراب زمن النبى الذى وعد بنو إسرائيل بأن يبعثه الله ، وعلى يديه يكون بعث شريعة جديدة ، وأنه يكون كموسى صاحب شريعة مستقلة ، وفيه وصفه ووصف أتباعه .

فأين يوجد اليوم إنجيل المسيح الذى ذكره القرآن الكريم فى آيات كثيرة ، منها : ﴿ **الم الله لا إله إلا هو الحى القيوم * نزّل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل * من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان** ﴾[آل عمران الآيات من : ١ ـ ٤] .

ومنها أيضاً : ﴿ **ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل** ﴾(أى المسيح)[آل عمران : ٤٨] .

ومنها : كذلك : ﴿ **يا أهل الكتاب لم تحاجون فى إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون** ﴾[آل عمران : ٦٥] .

وانظر كذلك ما ورد بشأنه فى سورة المائدة : (آيات ٤٦ ، ٤٧ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ١١٠) .

وفى سورة الأعراف : آية : ١٥٧ .

وفى سورة التوبة آية : ١١١ .

وفى سورة الفتح آية : ٢٩ .

وفى سورة الحديد آية : ٢٧ .

فأين يوجد اليوم إنجيل المسيح الذى ذكره القران الكريم ؟! إن الإنجيل الذى أتى به المسيح وسلمه إلى تلاميذه وأمرهم أن يبشروا به لا يوجد الآن ، وإنما توجد قصص ألفها التلاميذ وغير التلاميذ لم تسلم من المسخ والتحريف والزيادة والحذف .

والدليل على أن المسيح أتاهم بإنجيل وأن الأناجيل الأخرى لم يكن لها وجود ما ترونه من الشواهد التى أوردها الأستاذ عبد الوهاب النجار أخذا من رسائل (بولس) ومن الكتب القانونية التى تسلم بها الكنيسة ، فاقرأوا ما يلى :

١ ـ بولس فى رسالته إلى رومية ص ٩٠١ (فإن الله الذى أعبده بروحى ـ فى إنجيل ابنه ـ شاهد لى كيف بلا انقطاع أذكرهم) والمراد بقوله ابنه (يسوع) فهذه الجملة تدل على أن المسيح له إنجيل (١) .

٢ ـ كورنشيوس ص (٢) : ٢ : ٣ (ولكن إن كان إنجيلنا مكتوماً فإنما هو مكتوم فى الهالكين) .

٣ ـ كورنثيوس ص : ٨ : ٨ (وأرسلنا معه الأخ الذى مدحه فى الإنجيل فى جميع الكنائس) .

٤ ـ غلاطية ص : ١ : ٦ (إنى أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذى دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر ، ليس هو آخر غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحولوه) أى يغيروه .

٥ ـ غلاطية ص : ٢ : ١٤ (ولكن لما رأيت أنهم لا يسلكون باستقامة حسب حق الإنجيل . إلى آخره) .

٦ ـ فيلبى : ص ١ : ١٢ (ثم أريد أن تعلموا أيها الإخوة أن أمورى قد آلت أكثر إلى تقدم الإنجيل ، وأولئك عن محبة عالمين أنى موضوع لحماية الإنجيل) .

---

(١) بولس هذا داعية للمسيحية جاء بعد المسيح وأرسل رسائل كثيرة إلى أناس كثيرين منها رسائله إلى : كورنثيوس ، وإلى غلاطية ، وإلى فيلبى ، وإلى تسالونيكى ، وإلى تيموثاوس ، وسيرد فيما بعد بيان واف عن بولس وعن رسائله هذه .

(٢) الرمز (ص) اختصار لكلمة إصحاح ـ وهى تعنى سورة صغيرة داخل أى كلام مقدس عندهم .

فهذه الجملة تدل على أنه كان هناك إنجيل ، وأن بولس وضع لحمايته وبالطبع ذلك الإنجيل الذى يتحدث عنه ليس واحداً من هذه الأربعة ، وأيضاً فإن الإنجيل كان مهدداً ، وفى حاجة إلى حمايته ، وقد أوصاهم بعد ذلك قائلاً فى العدد : ٢٧ (فقط عيشوا كما يحق لإنجيل المسيح) .

٧ - وكذلك جاء فى تسالونيكى ص ٢ : ٨ (إذ كنا حانين إليكم كنا نرضى أن نعطيكم لا إنجيل الله فقط ، بل أنفسنا أيضاً) . ص ٣ : ٢ (فأرسلنا تيموثاوس خادم الله والعامل معنا فى إنجيل المسيح) .

٨ - تسالونيكى : ص ١ : (فى نار لهب معطياً نقمة للذين لا يعرفون الله ، ولا يطيعون إنجيل ربنا يسوع المسيح) .

٩ - تيموثاوس ص ١ : ١١ (حسب إنجيل مجد الله المبارك الذى أوتمنت عليه) .

١٠ - تيموثاوس ص ٢ : ٨ (واذكر يسوع المسيح المقام من الأموات من نسل داود حسب إنجيلى) .

يتبين من ذلك كله : أن المسيح عيسى بن مريم جاء إلى أصحابه بكتاب هو الإنجيل ، ولكن الناس على مر الزمن تركوا ذلك الإنجيل ، وترتب على ذلك ضياعه واستمساكهم بكتب ألف بعضها تلاميذ المسيح ، وبعضها ألفها تلاميذ تلاميذه أو من بعدهم ، وقد كثرت الأناجيل كثرة فاحشة حتى زادت على المائة ، وفيما تقدم من كلام بولس عرفنا أن المغيرين أخذوا يحولون الإنجيل عن مجراه ، ومعلوم أن الكنيسة رفضت ما يخالف رغبتها ، وأقرت الأناجيل الأربعة المعروفة اليوم على ما هى عليه من :

(١) انقطاع السند .

(٢) وعدم العلم التام بالمؤلف الحقيقى أو المترجم ومبلغ أمانته على الدين وحرصه على الصدق ، وعلى ما بينها من الاختلاف الحقيقى المقضى إلى أن أحد الأقوال صادق وما عداه كاذب (١) .

---

(١) عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء - القاهرة - طبعة رابعة ، سنة ١٩٥٦ - ص ٣٩١ .

٨ ـ المهمة أو الرسالة التى جاء بها المسيح

تتلخص فى : رد اليهود عن فعل المنكرات والآثام وتعطيلهم لشريعة الله ، وانصرافهم عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إلى الوقوع فى المعاصى وإسرافهم فى ذلك على أنفسهم وإنكارهم للروح والروحانيات ، فمن ذلك مثلاً : تحريمهم العمل فى يوم السبت حتى ولو كان ذلك عملاً صالحاً ، فأثبت لهم المسيح أن ذلك ليس مراداً ، ومن ذلك أيضاً : أخذهم أموال الناس بالباطل بحجة النذور ، فأبطل لهم المسيح ذلك ، ومن ذلك أيضاً : تجاسرهم على البيع والشراء داخل الهيكل وتحويلهم المكان المقدس إلى محل تجارة فزجرهم عن ذلك ، وقلب موائد الصرافة التى كانوا يضعونها فى مدخل الهيكل لتجارة النقود ، ومن ذلك أيضاً أخذهم ظاهر الشريعة الموسوية بألفاظها وليس بروحها ، وتمسكهم بذلك تغليظاً على العامة ، مع أن الكهنة والكتبة والفريسيين ما كانوا يلتزمون بذلك ، إلى غير ذلك من المعاصى .

وأشد هذه الأشياء المنكرة : هى عدم اعتراف اليهود بالروح ولا بالروحانيات واستغراقهم فى حب المال وتقديسه لدرجة أنهم لا يبالون فى سبيل الحصول عليه بأية حرمة أو إثم .

فأراد المسيح أن يعيدهم إلى دائرة الصواب مبيناً لهم بطلان ذلك ومثبتاً لهم فى الوقت نفسه أن هناك آخرة وبعثاً وروحاً ، بما قدمه لهم من أدلة مادية عن طريق المعجزات التى جاء بها ، وأيضاً عن طريق المناقشات التى جرت بينهم وبينه ، وكان الصدوقيون أشدهم جرأة فى إنكار البعث مع أنهم كانوا يكلمونه فى هدوء ، عكس الفريسيين الذين كانو يكلمونه فى جرأة ووقاحة ، ويتحدونه فى الأسئلة التى يوجهونها إليه (عليه السلام) .

كذلك كان هناك الكتبة والكهنة والأولون كونوا ثروات هائلة من كتابة الشريعة لمن يطلبها ، والآخرون بحكم أنهم خدمة الهيكل قد صاروا إلى حال رديئة بحيث يحرفون الكلم عن مواضعه ويتهالكون على حطام الدنيا .

---

(١) انظر مثلاً : إنجيل متى ص ٢٢ ، ص ٣٣ .

هذا فضلًا عن مخالفة أعمالهم لأقوالهم ـ بحسب ما ترويه الأناجيل عنهم ـ فضلًا عن حبهم المتكأ الأول فى المجالس والمجامع والتحيات فى الأسواق وإغلاقهم باب التوبة قدام الناس ، وفعلهم الرياء ودخولهم بيوت الأرامل وتعمدهم إطالة الصلاة لعلة يريدونها من وراء ذلك ، إلى غير ذلك .

كذلك من الأغراض السامية التى جاء المسيح لتقريرها وإذاعتها بين اليهود وغيرهم البشارة باقتراب ملكوت السموات ، والمراد بذلك الشريعة الإلهية التى يرسل الله تعالى بها النبى الأمى المذكور فى آية ١٥ أو ما بعدها من سفر التثنية ، وسنعود إلى هذا الموضوع بتوسع فيما بعد :

* * *

٩ ـ معجزات عيسى عليه السلام

المعجزات التى ذكرها القرآن الكريم للمسيح (عليه السلام) هى :

١ ـ التكلم فى المهد وكهلًا : اقرأ فى ذلك قوله : ﴿ **ويكلم الناس فى المهد وكهلًا ومن الصالحين** ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ **فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبياً قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبياً ..** ﴾ (٢) .

٢ ـ أن يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فيكون طيراً بإذن الله .

٣ ـ أن يبرىء الأكمه وهو من خرج أعمى من بطن أمه .

٤ ـ كذلك أن يبرىء أى يشفى المريض بالبرص ، وقد كان هذا المرض منتشراً بين اليهود ويسبب لهم كثيراً من المشاكل سبق الإشارة إليها عند كلامنا على أحكام الشريعة فى اليهودية .

---

(١) سورة آل عمران : ٤٦ .
(٢) سورة مريم آية رقم : ٣٠ .

وهذه المعجزات ذكرها القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ **إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلًا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذنى وتبرىء الأكمه والأبرص بإذنى وإذ تخرج الموتى بإذنى ...** ﴾ (١) .

٥ ــ وأن ينبىء الناس بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم .

وهذا مشار إليه فى قوله تعالى : ﴿ **وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم** ﴾ (٢) .

٦ ــ إنزال مائدة من السماء يأكل منها هو وأصحابه ، وهذا مشار إليه فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ **قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين** ﴾ (٣) .

أما معجزاته المذكورة فى كتب النصارى فهى :

١ ــ إبراء الأكمه والأبرص .

٢ ــ إحياء الموتى .

٣ ــ إخراج الشياطين من الناس .

٤ ــ الاختفاء عن الأعين .

٥ ــ تهدئة اضطراب أمواج البحر الثائرة عندما ركب السفينة ومعه بعض أصحابه فوق بحيرة طبرية .

٦ ــ المشى على الماء .

٧ ــ تكثير الطعام القليل كى يكفى أصحابه .

---

(١) سورة المائدة آية : ١١٠ .
(٢) سورة آل عمران آية رقم : ٤٩ .
(٣) سورة المائدة آية رقم : ١١٤ .

٨ ـ تحويل الماء إلى خمر وهى أولى معجزاته .

والموتى الذين أحياهم عليه السلام ثلاثة هم :

١ ـ ميت محمول على النعش فى قريايين ، وكان الميت وحيداً لأرملة . [لوقا : ٧ : ١١ ـ ١٦] .

٢ ـ ابنة رئيس مجمع اليهود ، وقبل أن يحييها قال إنها نائمة .. [مرقص ٥ : ٢١ ـ ٤٣ ، متى : ٩ : ٢٤] .

٣ ـ لعازر أخو مريم المجدلية ومرثا وقد كانوا جميعاً أصدقاءه ، ولعازر كان صديقاً حميماً له عليه السلام [يوحنا ١١ : ١ ـ ٤٤] .

هذه المعجزات جميعاً مسبوقة بكونه قد ولد من أم فقط أى وليس من أب ويسمون ذلك بـ (الميلاد العذراوى) وبذلك يتلخص لنا أن معجزاته عليه السلام يمكن تقسيمها إلى قسمين هما :

١ ـ الميلاد العذراوى أى من عذراء .

٢ ـ معجزات أخرى .

٣ ـ هذا إلى جانب بعض الكلمات والألفاظ التى وردت فى أناجيل المسيحيين منسوبة إلى المسيح عليه السلام مثل : (أبى الذى فى السماء) وأشباه ذلك .

هذه الأشياء الثلاثة هى معتمد المسيحيين فى القول بألوهية المسيح ، ولكن هذا كله باطل .. (سنناقشه فى مناسبات كثيرة ستأتى فيما بعد) .

* * *

أما الآن فإليك بياناً بالمناسبات التى حدثت فيها هذه المعجزات .

والمعجزات التى يعتد بها النصارى فى ألوهيته مثل إحياء الموتى والمشى على الماء هو مسبوق بها عند إيليا واليشع وهما من أنبياء بنى إسرائيل ، وقصصهما مذكورة عند اليهود فى كتبهم ويؤمن بها النصارى ، وسنعود لمناقشة هذا الأمر فيما بعد :

اقرأ قصة شفاء الأبرص فى متى ص ٨ عدد ٢ ، وفى لوقا ص ٥ ـ ١٢ .

واقرأ قصة شفاء مفلوج فى متى ص ٨ عدد (٥) وهذه الحالة قد رواها لوقا بطريقة مختلفة ، إذ هى عنده أن الذى سأل المسيح الشفاء إنما هو شيوخ بنى إسرائيل ، عكس متى الذى ذكر أن الذى سأله إنما هو قائد مائة ، بينما ذكر يوحنا نفس هذه الحادثة على أن المريض كان ابن خادم الملك .

ـ وقد روى قصة تهدئة اضطراب ماء البحر متى (ص ٨ ، عدد ١٣) .

ـ وإخراج الشياطين من المجانين : اقرأها فى (متى ص ٨ ، عدد ٢٧) ولكن متى ذكر أن المسيح استقبله مجنونان وهو فى كورة الجرجسيين بينما مرقص ولوقا ذكرا أنها كورة الجدريين وأن المريض كان مجنوناً واحداً .

ـ وقصة شفاء المفلوج وردت فى متى ص ٩ ، عدد ١ ، وقد ورد فيها أن المفلوج أنزله أهله من سقف البيت وهو مطروح على سريره بسبب أن الجموع كانت كثيرة فى مدخل البيت .

بينما ذكر هذه الحادثة كل من مرقص ولوقا على أن المدينة هى كفر ناحوم كما قال مرقص ، ولم يذكر اسمها كل من متى ولوقا ، ومتى ذكر أن المريض قدم للمسيح مطروحاً على فراش ، ولوقا قال : دلّى على سريره ، ومرقص قال : إنهم نقبوا السقف ودلوه .

ـ واقرأ قصة إحياء البنت التى قد ماتت فى : (متى ص ٩ ، عدد ١٨ ـ ٢٦) ، وفيها أن البنت كانت ابنة أحد الرؤساء ، وأن المسيح عندما

وصل إلى البيت الذى فيه البنت ونحى المجتمعين على البنت قال : إن الصبية لم تمت ولكنها نائمة ، فضحكوا عليه ، فأخرجهم وأمسك بيدها فقامت .

وقد حكى مرقص هذه القصة بتغيير ، فلم يذكر أن الصبية قد ماتت ولكن قال : إنها على آخر نسمة ، والخبر جاء بموتها والمسيح فى المجمع ، ولوقا ذكر نفس كلام مرقص .

● ـ واقرأ عن شفاء الأعمى ما ذكره متى فى الإصحاح ، عدد ٢٨ ، وفيه أن المسيح شفى أعميين ، بينما ذكر مرقص القصة وقال : إن المسيح كان خارجاً من أريحا وأن الأعمى كان واحداً لا اثنين وأن اسمه (باتيماوس) ووافق لوقا مرقص فى هذه القصة بعض الموافقة ، (ص ١٠ ، عدد ٤٦) وأوردها لوقا فى إصحاح ١٨ ، عدد ٣٥ موافقاً مرقص فى أنه أعمى أبصر ، وذكر أن المسيح تفل على الأرض وصنع من التفلة طيناً وطلى به عين الأعمى وقال له : اغتسل فى بركة (سلوان) فمضى واغتسل وأتى بصيراً .

ـ وعن قصة تكثير الأرغفة والسمكتين بحيث أكل خمسة آلاف عدا النساء والأولاد ، اقرأ إصحاح ١٤ من متى ، وقد ذكرها باقى أصحاب الأناجيل مع بعض المخالفة .

ـ وعن مشى المسيح على الماء : اقرأ القصة فى (متى إصحاح ١٤ عدد ٢٢) ، وقد ذكر هذه الحكاية كل من مرقص ويوحنا مع اختلاف مع متى فى بعض تفاصيلها ، وأهملها لوقا .

ـ وعن المحاورة التى دارت بين المسيح وامرأة كنعانية خرجت إليه من تخوم كنعان وهو منصرف إلى نواحى صور وصيدا ، وناشدته أن يرحم ابنتها متوسلة إليه فى ضراعة باسم أبيه داود ، فلم يجبها بحجة أنه لم يرسل إلا لخراف بنى إسرائيل الضالة ، وأخيراً وبعد طول مناقشة رقّ قلبه لها لما قالته من كلام طيب ، وقال لها إيمانك قد شفى ابنتك ، والكلام الطيب الذى قالته المرأة هو أنها قالت له يا سيد أعنى فقال : ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب ، فقالت ، نعم يا سيد ، والكلاب أيضاً تأكل من الفتات الذى يسقط من مائدة أربابها ، حينئذ أجاب يسوع وقال لها : يا امرأة عظيم إيمانك ، ليكن لك كما تريدين ، فشفيت ابنتها من ساعتها .

والقصة رواها متى أصحاح ١٧ ، عدد ١٤ .

وهكذا تروى الأناجيل مزيداً من شفاء العمى وإبراء البرص وشفاء المرضى .

لكن هناك حادثتين تستحقان منا الوقوف عندهما قليلًا ، بالذات لما لهما من دلالة ذات شأن خطير على دعوى ألوهيته كما يزعم أتباعه ، وهاتان القصتان هما : (١) قصة مروره بشجرة تين على الطريق وأنه جاء إليها ومد يده ليأخذ من ثمرها ، لأنه كان جوعاناً ، فلم يجد فيها شيئاً من الثمر وإن كان الورق موجوداً ، فقال لها : لا يكن منك ثمر إلى الأبد ، فيبست التينة فى الحال .

ذكر هذه الحادثة فى الأناجيل الأربعة مع الاختلاف فى التفاصيل ، واقرأها فى (متى إصحاح ٢١ ، فقرة ١٨) .

والمناقشة هنا هى : كيف لم يعلم ـ وهو الإله ـ أن شجرة التين هذه ليس فيها ثمر ؟ .

• ثانياً : كيف لم يجعلها هو تثمر بمعجزة إلهية منه ما دام إلهاً كما يزعمون ؟ ثم ثالثاً : وما ذنبها هى أن جاءها هو والأوان (أى الوقت) ليس أوان التين ؟ فبأى جانب من هذه الجوانب أخذت يلزمهم هم (أعنى أصحابه) العور بأى العينين شاءوا .

٢ ـ الحادثة الثانية ذات الدلالة والشأن الخطير : هى حادثة إحيائه (لعازر) صديقه وصفية ، بعد أن مات ودفن ومضى على دفنه فى القبر أربعة أيام ، وكان المسيح وقتها خارجاً من القرية التى مات فيها (لعازر) وهى قرية بيت عنيا ، القريبة من أورشاليم ، وكان المسيح (عليه السلام) قد خرج من هذه القرية للوعظ فى القرى المجاورة ، وحينئذ مات لعازر صديقه ، وكان له (أى لعازر) أختان هما : مرثا ومريم المجدلية وكان يحبهما كما كان يحب أخاهما لعازر وهم يحبونه جداً ، عندئذ لما اقترب من القرية (بيت عنيا) جاءته بسرعة مرثا وتضرعت إليه هى وأختها مريم التى حضرت بعد ذلك وقالتا له : لو كنت ها هنا لم يمت أخونا ، وعندئذ أخذتا فى البكاء الشديد ، فتأثر هو أيضاً وبكى (انزعج بالروح واضطرب)

ومضى معهما إلى القبر ، ووقف بين جموع اليهود ، وبالطبع كانت مريم ومرثا فى مقدمة هذه الجموع ، عندئذ (رفع يسوع عينيه إلى فوق وقال : أيها الأب : أشكرك لأنك سمعت لى ، وأنا علمت أنك فى كل حين تسمع لى ، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت : ليؤمنوا أنك أرسلتنى ، ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم لعازر هلم خارجاً ، فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل ، فقال لهم يسوع : حلوه ودعوه يذهب) .

والقصة مذكورة بهذا النص فى إنجيل يوحنا إصحاح ٢١ ، عدد ١ ـ ٤٤ .

والسؤال هنا : لعل من المفيد لمن يؤلهون المسيح أن يقرأوا مراراً قوله ـ بحسب هذه الرواية ـ بعد أن توجه إلى السماء داعياً الله الذى كان يسميه الأب ، قائلًا : (وأنا علمت أنك فى كل حين تسمع لى ، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتنى) فهذا تصريح منه (عليه السلام) بأنه رسول ، وأن أمر الإحياء ليس بيده هو مباشرة بل بيد الله الذى توجه إليه بالدعاء ، وإلا فلماذا لم يقم المسيح نفسه بإحياء لعازر مباشرة بدون أن يتجه ببصره إلى السماء هكذا ويدعو ؟.

ثم لماذا بكى بشدة واضطرب بالروح عند بكاء أخوات لعازر والحال أن الإله لا يبكى ولا يتأثر ؟! إن قلنا بكى بالجزء الذى فيه من البشرية ، فالسؤال : فلماذا لم يغلب عليه الجزء الذى فيه من الألوهية ويجعله رابط الجأش ، كما هو شأن الراسخين من البشر ، فضلًا عن الملائكة والكاملين من المخلوقات ؟! .

* * *

وإليك ملخصاً لمعجزات المسيح وأماكن ورودها فى الأناجيل يمكن الرجوع إليها مع ضرورة ملاحظة كيف اختلف كتبة الأناجيل فى ذكرها اختلافاً كبيراً كان مدعاة لأن يؤلف فى ذلك كتب .

ملخص معجزات المسيح فى الاناجيل

المعجـــــزة	متى	مرقس	لوقـا	يوحنـا
١ – شفاء الابرص	٨ : ١ – ٤	١ : ٤٠ – ٥٠	٥ : ١٢ – ١٥	–
٢ – شفاء غلام قائد المائة	٨ : ٥ – ١٣	–	٧ : ١ – ١٠	٤ : ٤٦ – ٥٢
٣ – شفاء حماة بطرس	٨ : ١٤	١ : ٢٩ – ٣١	٤ : ٣٨ – ٣٩	–
٤ – شفاء المجانين	٨ : ١٦ – ١٧	–	–	–
٥ – اخراج الشياطين من المجنونين الخارجين من القبور	٨ : ٢٨ – ٣٢	–	–	–
إخراج الشياطين من مجنون واحد وتسكينهم فى الخنازير	–	٥ : – ١٣	٨ : ٢٧ – ٣٤	–
٦ – تحويل اضطراب البحر الي هدوء	٨ : ٢٣	٤ : ٣٧ – ٤١	٨ : ٢٢ – ٢٥	–
٧ – ابراء المفلوج وحمل فراشه	٩ : ٢، ٧	–	–	٥ : ٧ – ٩
ابراء المفلوج عن طريق نقب السقف	–	٢ : ٣ – ٧	٥ : ١٨ – ٢٥	–
٨ – احياء فتاة إبنة رئيس المجتمع	٩ : ١٨، ٢٥	٥ : ٢٢ – ٤٣	–	–
احياء ميت محمول علي نعش	–	–	٧ : ١١ – ١٥	–
احياء لعزر بعد موته ودفنه	–	–	–	١١ : ١ – ٤٤
٩ – ابراء إمرأة مصابة بنزف دم	٩ : ١٩ – ٢٢	٥ : ٢٥ – ٢٩	٨ : ٤٣ – ٤٨	–
١٠ – ابرأد صاحب اليد اليابسة	١٢ : ١٠، ١٣	٣ : ١ – ٥	٦ : ٦ – ١٠	–
١١ – شفاء الأعمى والأخرس	١٢ : ٢٢	٧ : ٣٢ – ٣٥ ٨ : ٢٢ – ٢٦ ١٠ : ٤٦ – ٥٢	١١ : ١٤	٩ : ١ – ٧
١٢ـ إطعام ٥٠٠٠ من أرغفة وسمكتين	١٤ : ١٥ – ٢١	٦ : ٣٥ – ٤٤	٩ : ١٢ – ١٧	٦ : ١ – ١٣
١٣ـ إطعام ٤٠٠٠ من خبز وسمك قليل	١٥ : ٣٩	٨ : ١ – ٩	–	–
١٤ـ المسيح يمشي علي الماء	١٤ : ٢٢ – ٣٤	٦ : ٤٧ – ٥١	–	٦ : ١٦ – ٢١
١٥ـ شفاء إبنة المرأة الكنعانية	١٥ : ٢١ – ٢٨	٧ : ٢٥ – ٢٩	–	–
١٦ – التجلي	١٧ : ١ – ٥	٩ : ٣ – ٨	٩ : ٢٤ – ٢٥	–
١٧ – تحويل الماء في العرس الي خمر	–	–	–	٢ : ١ –
١٨ – شفاء أعميين	٢٠ : ٢٩ – ٣٤	–	–	–
شفاء أعمي واحد (بارتيماوس)	–	١٠ : ٤٦ – ٥٢	–	–
شفاد أعمي بالتفل في عينيه	–	٨ : ٢٢ – ٢٦	–	–
شفاء أعمي بالتفل في الارض ودهان عينه بالطين	–	–	–	٩ : ١ – ٧
١٩ – إخراج الروح النجس	–	١ : ٢٤	–	–
إخراج الروح من الأخرس والأصم	–	٩ : ١٧ – ٢١	–	–
إخراج الشيطان من رجل بالمجمع	–	–	٤ : ٢٣ – ٢٥	–
٢٠ – جفاف شجرة التين	–	١١ : ١٢ – ١٤	–	–
٢١ – سمعان وصيد السمك بالسفينتين	–	–	٥ : ١ – ١١	–
٢٢ – إبراء إمرأة مشلولة نصف منحنية	–	–	١٣ : ١١ : ١٣	–

هذه أمثلة فقط للاختلافات بين الاناجيل المختلفة فيما يتعلق بالمعجزات

صلاح المجماوي : نصرانية عيسي ....

١٠ ـ فصل فى بيان كيف أن معجزات المسيح عليه السلام سبق أن أجراها الله تعالى على يد أناس يعترف بهم المسيحيون .. ومع ذلك لا يؤلهونهم كما يفعلون بالنسبة للمسيح عليه السلام :

هناك أناس من عباد الله أجرى الله على أيديهم نفس المعجزات التى أجراها على يد المسيح واحدة واحدة ، بل وما هو أعظم منها .. ويعترف بذلك المسيحيون لأنهم مذكورون فى الكتب المقدسة لدى بنى إسرائيل : وهم يؤمنون بها .. ومع ذلك لا يقولون إن هؤلاء الأناس آلهة .. مثل ما فعلوا بالنسبة للمسيح فلماذا إذن هذه التفرقة ؟! .

وإليك ما يثبت ذلك ..

١ ـ معجزة الولادة بدون أب .

هناك فى كتب اليهود .. (وفى القرآن أيضاً ولكنا نذكر كتب اليهود بالذات لأنها هى التى يصدقها المسيحيون) : آدم أبو البشر عليه السلام قد ولد من غير أب ، ومن غير أم فلماذا لا يؤلهونه ؟ يقولون إنه عصى الله .. والسؤال لهم وقبل أن يعصى لماذا لا تؤلهونه ؟ .

بل وهناك حواء ولدت بدون أب أصلًا .

وهناك ملكى صادوق التى تقول كتب النصارى أنه ولد بدون أب وبدون أم مثل آدم تماماً .. ومع ذلك لا يؤلهونهما النصارى فلماذا ؟ .

والحقيقة هنا التى يجب أن يعرفها المسيحيون إن كانوا لا يعرفونها هى أن ولادة المسيح بدون أب إنما جاءت فى وقتها لإقناع اليهود الذين ينكرون الروح ولا يعترفون إلا بالمادة ـ فجاء ميلاد المسيح على هذه الصورة ليثبت لهم أن هناك من يولد بدون أب وبدون وسيلة عادية ، وبذلك يثوبون إلى الحق .. فكان أن جاء المسيح على هذه الصورة وأيضاً فإن حواء : أم البشر جاءت بدون أم لأن النصارى يؤمنون بما ورد فى كتب اليهود من أنها (حواء) خلقها الله من أحد أضلاع آدم عليه السلام : بل وهذه الصورة فى الخلق أوقع .

* * *

ولادة العذارى لأبناء بدون لقاء رجل

لم تكن مريم أم المسيح عليه السلام هي الوحيدة التي ولدت بدون أن يمسها رجل . بل هناك حالات أخرى بعضها أشير إليه فى كتب اليهود المقدسة وبعضها حدث فى عصرنا هذا فالتى تحدثت عنها كتب اليهود هي ما ذكره أشعياء فى سفره حيث يقول : (هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عما نوئيل)(الذى تفسيره الله معنا) ـ ١ : ٢٣ .

يقول المفسرون إن هذه النبوءة تحققت فى أيام الملك آحاز من فتاة كانت عذراء ثم تزوجت بعد ذلك .

ويقول المسيحيون أنها تشير إلى ولادة عيسى بن مريم (١) ، ولكن الرأى الأول هو الأرجح .. خاصة لأن اللفظ الصحيح الذى استعمله أشعياء ليس كلمة عذراء بل (الصبية) .

وفى جميع الحالات فإن ولادة عذراء لا تعنى أن يكون المولود إلهاً فإذا انتقلنا إلى ميدان العلم الحديث وجدناه يقرر إمكان أن تحمل عذراء دون أن تعرف رجلاً ، بل وأن يحدث ذلك بالفعل .

فمنذ ثلاثة عشر عاماً نشرت مجلة « لانست » (٢) الطبية الانجليزية المعروفة ، بحثاً بعنوان « التوالد العذرى فى الثدييات » جاء فيه : « إن أمكانية حدوث حمل لامرأة دون إدخال واحد ـ على الأقل ـ من الحيوانات المنوية إلى رحمها يعتبر أمراً لا يستطيع الإنسان العادى قبوله برضا . ولبضعة قرون وقفت الفكرة العلمية فى صف هذا الإنسان العادى ، لكن علماء الأحياء اليوم وخاصة علماء الوراثة الخلوية قد يكونون أقل تشدداً فى استبعاد مثل هذا الاحتمال .

أن بعض الدوافع لذلك ناقشتها فى الأسبوع الماضى الدكتورة هيلين سبيرواى أستاذة علم البيولوجيا الإحصائية بجامعة لندن ، وذلك فى محاضرة لها بعنوان : ولادة العذارى ، ولقد كان ذلك بمناسبة ما تلاحظ من أن

---

(١) الكنز الجليل فى تفسير الإنجيل : تفسير إنجيل متى ص : ٩ .
(٢) مجلد عام ١٩٥٥ .

بعض أنواع الأسماك التى عزلت إناثها منذ ولادتها قد وجدت مخصبة ونتج عن ذلك ولادتها لنسل يتكون فى غالبيته من أناث .

أن التوالد العذرى الذى تبدأ فيه البويضة بالانقسام ذاتياً ، منتجة جنينا بسيطاً ، أو قيامها بتعويض الكروموزوم الأبوى الناقص بشكل ما من أشكال الازدواج يعتبر شيئاً نادراً جداً فى الفقاريات ذات الدم الحار ، لكنه شيء عادى فى اللافقاريات .

وقد أمكن تسجيل عملية انقسام البويضة عذرياً فى القطط (١) ، وحيوان ابن مقرض (٢) ثم حديثاً فى بعض دجاج الرومى غير المخصب (٣) .

لكن تطور التوالد العذرى بمعناه الكامل بحيث يعطى نسلاً قابلاً للنمو والحياة ، يمكن عمله فى الثدييات وذلك بتبريد قنوات فالوب ، ولقد أمكن إنتاج كثير من الأرانب عديمة الآباء بهذا الأسلوب . وبمراعاة كل تلك الاعتبارات ، علينا أن نعيد النظر فى مبررات اعتقادنا بأن التوالد الذاتى فى الفقاريات شيء نادر ، وأنه لا وجود له فى الثدييات » .

هذا ــ وكانت صحيفة « الصنداى بكتوريال » البريطانية قد أشارت فى عددها الصادر بتاريخ ٦ نوفمبر ١٩٥٥ إلى محاضرة الدكتورة هيلين سبيرواى عن « ولادة العذارى » وتلقت نتيجة لذلك عدداً من الرسائل من أمهات يقلن أنهن تعرضن لعملية حمل وولادة عذرية دون تدخل من أى رجل على أية صورة من الصور ، وآنذاك شكلت الصحيفة لجنة من الإخصائيين أجرت فحوصاً طبية واختبارات ، علمية على عدد من تلكم الأمهات واستقر رأى اللجنة على استمرار بحث حالة سيدة تدعى إيميارى جونز وابنتها مونيكا ذات الأحد عشر عاماً والتى قالت أمها أنها ولدتها من غير أب . وبعد ستة أشهر قالت اللجنة فى تقريرها :

---

(١) strass mann,E.o. omer . J. obstet . 1999,58,237

(٢) chang, M. C. Amnat. rec. 1950, 108, 31

(٣) otsen, M. W. Marsden, S. J. Scienc 1954 120,545

« لقد استخدمنا جميع التجارب والاختبارات العلمية الهامة المعروفة فى عالم الطب ، ولم نستطع أن نثبت أن أى رجل قد اشترك بأية وسيلة فى خلق هذه الفتاة ، أن جميع النتائج التي وصلنا إليها تتمشى مع نظرية الولادة العذرية ، ولم نجد فى هذه الفتاة أثراً يمكن أن يأتى من أى شخص آخر سوى أمها » (١) .

كذلك أثبتت التجارب أنه بتنشيط البويضة بطرق كيميائية أو طبيعية فمن المحتمل تكوين الجنين كما حدث للضفادع منذ ٤٥ عاماً عندما وخزت بويضة الأنثى بدبوس فنشطت وكونت جنيناً دون حيوانات منوية من الذكر وتحدث هذه الحالة فى معظم اللافقريات كالنمل .

وقد يكفى لتلقيح البويضة تنبيه ميكانيكى أو كهربائى كما سبق أن أعلن ذلك الأستاذ سيفرز رئيس مجمع ترقية العلوم البريطانى عام ١٩١٢ (٢) .

وفى عام ١٩٧٨ أذاعت علينا وكالة يونيتدبرس للأنباء هذا نصه : « وضعت أمس سيدة فى جزر الرأس الأخضر طفلة حاملًا وظن الأطباء أن الطفلة مصابة بورم فى بطنها ولكن الأشعة أوضحت أن ببطنها جنيناً عمره عدة أشهر ، وقرر الأطباء إجراء عملية جراحية عاجلة لإنقاذ حياة الطفلة » (٣) .

* * *

لقد ضل كثيرون فى أمر ولادة العذراء مريم ، فالبعض أنكره وكفر وقال عليها آنذاك « بهتاناً عظيماً » لا يزال يتردد صداه فى الإنجيل حتى اليوم . ففى إحدى محاورات المسيح مع اليهود ، قالوا له : « أننا لم نولد من زنى » ــ يوحنا ٨ : ٤١ .

---

(١) صحيفة أخبار اليوم » بتاريخ ٣٠ يونية ١٩٥٦ .
(٢) من كتاب : العلم والعمران ــ فؤاد صروف ــ ص ١٣٢ .
(٣) « صحيفة الجمهورية » بتاريخ ٩ مارس ١٩٧٨ .

بينما رأى البعض الآخر أن ولادة المسيح عيسى على تلك الصورة النادرة تعنى أن فيه جانباً إلهياً يتميز به عن بقية البشر وإن جاء على صورة بشر ، وبين رفض المسيح والغلو فيه تبقى حقيقة أمره واضحة كل الوضوح لا غموض فيها ولا إبهام ، فالمؤمنون بالله جميعاً يشهدون : ﴿ **لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء** ﴾.

﴿ **إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون** ﴾ (١) .

* * *

معجزة شفاء المرضى :

١ ـ سيدنا موسى عليه السلام شفى جماعة إسرائيل من الوباء . [سفر العدد ١٦ : ٤٦ ـ ٤٩] .

٢ ـ سيدنا موسى عليه السلام صنع حية من نحاس ووضعها على الراية فكل من نظر إليها وكان ملدوغاً شفى [عدد : ٢١ : ٦ ـ ٩] .

٣ ـ النبى اليشع (عليه السلام) يشفى المرضى . [الملوك الثانى ٥ : ٩ ـ ١٤] .

٤ ـ النبى اليشع (عليه السلام) يرد البصر [الملوك الثانى ٦ : ١٣ ـ ٣٢] .

* * *

معجزة تكثير الطعام :

١ ـ الياس وهو نبى من أنبياء بنى إسرائيل واسمه عندهم (إليا) ويؤمن به النصارى .. كثَّر الطعام .. بل وكانت الغربان تأتى إليه بالخبز واللحم صباح مساء . اقرأ قصته فى سفر الملوك الأول (إصحاح ١٧) .

٢ ـ النبى اليشع (عليه السلام) كذلك كان يكثر الطعام [الملوك الثانى ٤ : ٣ ـ ٧ ، وأيضاً ٤ : ٤٢ ـ ٤٣] .

---

(١) أحمد عبد الوهاب : النبوة والأنبياء ص ٦٥/٦٧ .

بل إن النبى اليشع (عليه السلام) دعا على الأولاد الذين عايروه بأنه أقرع فهلك منهم ٤٢ ولداً أكلتهم دابتان من الوعر .
[الملوك الثانى ٢ : ٢٣ – ٥٤] .

وكذلك خادم النبى (اليشع) عليه السلام : لما دعا عليه اليشع (عليه السلام) : خرج من أمامه أبرص كالثلج [الملوك الثانى : ٥ : ٢٧] .

* * *

مجال الرفع إلى السماء :

١ – أخنوخ المذكور فى كتب اليهود وهو سيدنا إدريس عليه السلام – رفع إلى السماء [اقرأ ذلك فى سفر التكوين ٥ : ٢٥] .

٢ – النبى إلياس عليه السلام رفع إلى السماء .

هذه المعجزات التى للمسيح عليه السلام ، هو نفسه يشهد بأنها من الله تعالى وليست منه [اقرأ ذلك فى يوحنا : ٥ : ١٩ ، ١٠ : ٢٤ – ٢٥ ، ١٤ : ١٢] .

وسنذكر النصوص فى فصل تال :

وبطرس أكبر تلامذة المسيح صرح بذلك أيضاً : انظر أعمال الرسل : ٢ : ٢٢ ، ١٠ : ٣٤ – ٣٨ .

وأكثر من هذا .. فإن المسيح عليه السلام نفسه كان حريصاً على كتمان ما أجراه الله تعالى على يديه من آيات .. خوفاً من فتنة القوم فيه ، أى حتى لا يقولوا إنه إله نزل من السماء وذلك لأن هذا القول كان سهلًا فى ذلك الزمان ، وبين يدينا نصوص من كلام المسيحيين أنفسهم تؤيد هذا سنذكرها . أما سهولة فتنة القوم فيدل عليه كتب النصارى أنفسهم التى تحكى لنا أن بولس وبرنابا وهما من أعاظم المبشرين عند النصارى .. الأول هو منشىء المسيحية بعد المسيح والثانى كان تلميذاً مقرباً من المسيح عليه السلام .. لما رأى الناس ما فعلا من كرامات .. دعا الناس برنابا أنه الإله زفس (عندهم) كما دعوا بولس (هرمس) وهو اسم إله عندهم ، مما جعل بولس وبرنابا يشقان ثيابهما منكرين على الناس ذلك [اقرأ ذلك فى أعمال الرسل : ١٤ : ٨ – ١٥] .

ومرة أخرى يصف الناس بولس بأنه إله [أعمال الرسل ٢٨ : ١ ـ ٦] .

كما يصفون هيرودس بأنه إله [أعمال : ١٢ : ٢١ ـ ٢٢] .

أما الدليل على كون المسيح عليه السلام كان حريصاً على كتمان معجزاته ويكتفى فقط بأن يؤمن به الناس .. فذلك يدلك عليه الآتى :

١ ـ عندما أحيا بنت رئيس المجمع .. أوصاهم كثيراً ألا يعلم أحد بذلك .. [مرقص ٥ : ٣٥ ـ ٤٣ ، لوقا ٨ : ٣٩ ـ ٤٩] .

٢ ـ عندما طهر الأبرص ، أوصاه بأن لا يقل لأحد شيئاً . [مرقص ١ : ٤٩ ـ ٥٤ ، متى ٨ : ١ ـ ٤ ، لوقا : ١٢ ـ ١٤] .

٣ ـ شفاء الأعميين : بعدها طلب منهما ألا يخبرا بذلك أحداً [متى : ٩ : ٢٧ ـ ٣١ ، مرقص ٨ : ٢٢ ـ ٢٦] .

٤ ـ إخراج الشياطين بعدها لم يدع الشياطين يتكلمون لأنهم عرفوه [مرقص ١ : ٣٢ ـ ٣٤ ، لوقا : ٤ : ٤٠ ـ ٤١] .

* * *

١١ ـ مناقشة معجزات المسيح عليه السلام

إبراء سيدنا عيسى عليه السلام الأكمه والأبرص : إنما كان لأن العصر الذى بعث فيه كان تقدم فى الطب .. ومع ذلك عجز اليهود .. فجاءته المعجزة من هذه الناحية .

كما أن عصر سيدنا موسى عليه السلام كان عصر سحر .

ونبينا عليه السلام بعث فى عصر كان فى أوج الفصاحة والبلاغة .

وتلك المعجزات كلها إنما كانت بقدرة الله تعالى ، ولم ينسبها أحد من الأنبياء عليهم السلام لنفسه .

موسى أو عيسى عليهما السلام لم يمنحا عرش سليمان عليه السلام الذى كان يطير فى الهواء .

معجزة القرآن معجزة عقلية وهى لاشك أعظم المعجزات على الإطلاق .. لأن المعجزة الحسية لا تدوم ـ أما العقلية فتدوم .

إعجاز القرآن نجح فى أن آمن بالنبى ﷺ فى حياته كثيرون جداً منهم ١٢٥ ألفاً من صحابته فى حجة الوداع ـ والذين لم يحضروا الحج كثيرون .

وبعد خمسة وعشرين سنة أخرى كانت راية الإسلام ترفرف من الجزيرة العربية إلى إسبانيا من جهة وحتى السند وسمرقند من جهة أخرى .

بينما الأناجيل وكتب النصارى المقدسة : تفيد أن جميع معجزات المسيح عليه السلام قد فشلت فلم يؤمن به سوى اثنى عشر حوارياً فقط سلمه أحدهم للصلب على حد قولهم ، والباقون هربوا .

هذا وقد أعطى سيدنا محمد رسول الله ﷺ كثيراً من المعجزات نذكر منها :

١ ـ تسبيح الحصى والطعام بين يديه الشريفتين .

٢ ـ تسليم الأحجار عليه .

٣ ـ كلام الجمل معه .

٤ ـ بكاء جزع النخل حنيناً إليه فى المسجد النبوى الشريف أمام جمع من الناس . وكان يخطب عليه ثم تركه إلى المنبر بعد صنعه .

٥ ـ تفجر عيون الماء من بين أصابعه الشريفة .

٦ ـ اجتماع شجرتين أمامه لستره عند قضاء حاجته فى الخلاء ثم افتراقهما بأمره .

٧ ـ مثول شجرة أمامه حينما دعاها ، ونطقها بالشهادة بأن لا إله إلا الله ، محمداً رسول الله ثلاث مرات ، استجابة لسؤال أحد الأعراب معجزة من النبى ﷺ .

٨ ـ كلام الذئب مع أحد الرجال وإخباره بظهوره (عليه السلام) .

٩ ـ معجزة الإسراء والمعراج .

١٠ ـ انشقاق القمر بإشارة من أصبعه (عليه السلام) .

١١ ـ وقد أحيا ﷺ ـ شاة بعد أن انتهى أصحابه من الغداء من لحمها حيث جمع عظامها وكان قد قال لهم لا تكسروا لها عظماً .. ثم أمرها بالقيام فقامت .

وهذا ثابت فى كتب السنة .

هذه المعجزات : أعظم لأنها لا يمكن تأويلها .. أما إحياء الميت فمن الممكن القول بأن الميت لم يكن ميتاً بل مغمى عليه .. لكن تحرك الأشجار .. فما هو تأويله ؟.. وحنين الجزع فما هو تأويله ؟.

ويجاب على سؤال لماذا لم يحى النبى محمد ﷺ الموتى مثل عيسى عليه السلام ؟ بأن إحياء عيسى عليه السلام للموتى ترتب عليه فتنة خطيرة جداً وهى كونهم ألهوه . أفكان من الحكمة أن يعاد نفس الفتنة ؟ وهو آخر الأنبياء ولن يأتى بعده من يصحح ؟.

* * *

١٢ ـ خاتمة أمر المسيح

أما خاتمة أمر المسيح كما رواها القـرآن الكريم فهى عجيبة ، نعم لكنها بسيطة ولا تعقيد فيها ، والقرآن ـ كعادته دائماً فى كل قصة يرويها عن الأنبياء وغير الأنبياء ـ أنه لا يأتى بتفاصيل كثيرة ، لأن الهدف من القصص العظة والعبرة ، كما يروى القرآن نفسه قائلاً : ﴿ **لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثاً يفترى ...** ﴾.

وقصة نهاية المسيح كما رواها القرآن خلاصتها أن اليهود دبروا بمكر شديد أن يقتلوه ، ولكن الله تعالى بتدبيره الأشد إحكاماً كان أقوى منهم ، فلم يمكنهم لا من قتله ولا من صلبه ولكن الذى قتل شبيه بالمسيح ، وبذلك نجا المسيح وطهره الله من كيدهم ورفعه فوقهم فلم يصلوا إليه ، بل وحكم على أعدائه بأن يظلوا مقهورين لأصحابه إلى يوم القيامة : ﴿ **وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة** ﴾.

فالقرآن نفى بشدة أن يكون المسيح قتل أو صلب ﴿ **وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ...** ﴾ كما صرح بأن الله رفع المسيح إليه وأنه توفاه .

أما من هو الشبيه ؟ فلم يصرح القرآن باسمه ، وأما كيفية رفع المسيح أو وفاته بعد ذلك فلم يصرح بذلك القرآن ، مكتفياً بأن أشار إلى أن اليهود

لما دبروا أمرهم بمكر ليقتلوا المسيح ـ أى دبروا أمرهم بإحكام ـ كان الله أشد منهم ـ مكراً ـ أى إحكاماً واتقاناً ـ فنجى المسيح منهم .

ولكن يبقى فهم معنى قوله تعالى : ﴿ **إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا** ... ﴾ [الآية : ٥٥ من سورة آل عمران] .

ما معنى الوفاة والرفع هنا ؟ خاصة وقد ورد ذكر الرفع مرة أخرى فى قوله تعالى : ﴿ **وقولهم إنا قتلنا المسيح عيس بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً** ﴾ [الآية ١٠١ من سورة النساء] .

فالرفع ذكر مرتين : مرة فى سورة آل عمران ، ومرة فى سورة النساء كما ذكر هنا الآن .

الجواب : أن جمهور المسلمين على أن الله تعالى قد رفع المسيح بروحه وجسده حياً إلى السماء ، ودليلهم على ذلك قوله تعالى : ﴿ **ورافعك إلىّ** ﴾خاصة وأن هناك أخباراً مأثورة : (ولكن ليست متواترة) تفيد بأن المسيح قد رفع إلى السماء بجسده وروحه وأنه حى فيها وأنه ينزل فى آخر الزمان ويقتل المسيح الدجال .

وهذا الفهم : ليس إلزاماً أن يعتقده المسلم بحيث لو خالفه عدّ كافراً ، بل هو مجرد اجتهاد فى فهم نص ، وإذا لم يأخذ به المسلم وسكت عنه لم يضره فى إيمانه شىء .

ومعنى الوفاة : على هذا التفسير أن الله لم يشأ أن يمكن اليهود من قتل المسيح أو صلبه ، بل نجاه منهم وتركه حياً فترة من الزمن انقضى فيها مدة وجوده فى الدنيا واستوفى أجله فيها ، ثم رفعه إليه بعد ذلك ، وهذا مجرد اجتهاد فى فهم الآية كما قلنا ، ومن لم يأخذ به لا يضره ذلك ، ولسنا مكلفين بالبحث فيما وراء ذلك .

ولكن الإيمان المطلوب منا هو التصديق الجازم بأن المسيح لم يصلب ولم يقتل ولكن الله نجاه من اليهود ورفعه إليه ، أما الكيفية فلا نعرفها ، وهذا هو الأسلم ، والله أعلم .

هذه هى خاتمة المسيح كما أوردها القرآن الكريم ، أما عن خاتمته كما أوردها كتبة الأناجيل فخلاصتها :

أن اليهود لما نظروا كثرة ما فعل المسيح من المعجزات وخشوا من أن يزداد أتباعه كثرة يوماً بعد آخر ، جمعوا رؤساء الكهنة والفريسيين فى مجمع وتشاوروا فى ماذا يفعلون بيسوع (أى عيسى) فاتفقوا على أن (من الخير أن يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها) وهو نص تصريح (قيافاً) رئيس الكهنة فى تلك السنة ، وبه أخذ المجتمعون ، فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه ، بينما كان يسوع لا يمشى بين اليهود علانية ، وذهب إلى الكورة القريبة من البرية ، وعند قدوم عيد الفصح صعد إلى أورشاليم ليحتفل به مع تلاميذه ، لكن أمــوراً أخرى قد دبرت فى الخفاء ، وهى أن تلاميذه الاثنى عشر المقربين منه جداً والمسمين الحواريين أو الرسل ، كان من بينهم تلميذ اسمه (يوحنا الأسخريوطى) وقد حدث أن هذا التلميذ كان شاكاً فى المسيح من ناحية صدقه فى معجزاته ، أهى معجزات حقيقية أم هى سحر ، لأن اليهود كانوا يشيعون أن يسوع ساحر وأن ما يأتيه من أمور عجيبة هى سحر تعلمه من المصريين .. إلخ (١) .

يهوذا كان شاكاً فى ذلك ، بسبب تأثره بداعايات اليهود ، ولما عرف أن اليهود قد استصدروا موافقة من بيلاطس بالقبض على يسوع فى أى وقت يرونه ، ذهب يهوذا بنفسه إلى منزل (قياف) رئيس الكهنة وخاطبه فى أن يدله على موضع وجود المسيح ، لأنه من تلاميذه ، وبالطبع اندهش قياف من ذلك ، فشرح له يهوذا الأمر ، وأنه (أى يهوذا) يريد أن يختبر المسيح ليعرف هل هو صادق أم كاذب ، وهذا هو السبب الذى جاء من أجله ليخبر اليهود عنه ، ولكنه لن يتركهم يقبضون على يسوع إلا إذا دفعوا له أجرة على ذلك ، إذ هم لهم مصلحة كذلك فى القبض عليه ، وما دام لهم

---

(١) ويقول ابن البطريق إن الصلب كان فى يوم الجمعة فى السنة التاسعة والعشرين من ملك هيرودس ابن هيرودس . وكان ذلك اليوم يوم الصلب يوافق ٢٣ من آزار ٢٧ من برمهات ابن البطريق المصدر السابق ص ٩١ .

مصلحة إذن فليدفعوا له ثمنها ، وبعد مناقشة بينه وبين (قياف) اتفقا على أن يأخذ يهوذا ثلاثين فضة : أى ثلاثين قطعة من الفضة .

فخرج يهوذا ، ناوياً : أن يرجع إلى قياف ليخبره بموعد ومكان اجتماع يسوع بتلاميذه ،وفعلًا بعد أن عرف يهوذا هذه المعلومات رجع ليخبر قيافاً بها ، فطلب منه قياف ضرورة أن يرافقهم إلى المكان ليدلهم على يسوع لأن وقت الاجتماع كان ليلاً وأيضاً أن يتقدمهم بل وأن يعطيهم علامة يعرفون بها المسيح عندما يدخلون عليه حتى لا يقبضوا على شخص آخر ، خاصة وأن اليهود لم يكونوا جميعاً قد رأوا يسوع ولأن الوقت كما قلنا ليلًا ، فأعطاهم يهوذا علامة وهى أن من يقبل يده يكون هو المسيح .

وفعلًا خرج رؤساء الكهنة وقواد جند الهيكل وجمع من الناس ، ودخلوا عليه المكان الذى اجتمع فيه مع التلاميذ وكان اسمه (ضيعة جشيمانى) وقبل أن يصل اليهود إليه كان قد انتحى جانباً بالقرب من تلاميذه وأخذ يدعو بصوت عال (ويدهش ويكتئب ويقول نفسى حزينة جداً حتى الموت ، ويدعو بصوت عال قائلًا : يا أب الأب كل شىء مستطاع لك فأجز عنى هذه الكأس) وقد تكرر منه ذلك ثلاث مرات ، وفى المرة الأولى والثانية يعود إلى التلاميذ ليجدهم نياماً ، أما بعد المرة الثالثة فزجرهم وقال : ناموا الآن ـ واستريحوا [إنجيل مرقص إصحاح ١٤] .

عندئذ دخل يهوذا ومعه جمع كثير بسيوف وعصى ، فتقدم يهوذا إليه وقبله ، فصاح فيهم يسوع : (كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصى لتأخذونى) فوقعوا على الأرض (١) ثم قاموا ووضعوا أيديهم على يسوع وأخذوه إلى بيت رئيس الكهنة وتشاوروا بينهم فى ضرورة أن يوجدوا شاهد زور على يسوع ليقتلوه ، وفى النهاية وجدوا من يشهد ويقول إنهم سمعوا يسوع يقول : إنى أنقض هذا الهيكل المصنوع بالأيادى ، وفى ثلاثة أيام أبنى آخـر غير مصنوع بأياد ، لكن هذه الشهادة لم تعجبهم وسأله رئيس الكهنة : أما تجيب بشىء أأنت المسيح ابن المبارك ، فقال يسوع أنا

---

(١) إنجيل يوحنا ـ إصحاح ١٧ ، عدد ٦ .

هو ، وسوف تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً فى سحاب السماء ، فمزق رئيس الكهنة ثيابه وقال ما حاجتنا بعد إلى شهود ، ها هوذا يجدف ، وحكم من يجدف القتل ، وفعلًا ذهبوا به إلى بيلاطس ، وكان الصباح قد جاء ، فسأله بيلاطس : أنت ملك اليهود ؟ فأجاب وقال أنت تقول ، وكان الكهنة يشتكون عليه كثيراً ، فسأله بيلاطس أيضاً قائلًا : أما تجيب بشىء ، أنظركم يشهدون عليك ، فلم يجب يسوع أيضاً بشىء ، حتى تعجب بيلاطس ، وكان يطلق لهم فى كل عيد أسيراً واحداً متى طلبوه ، وكان هناك رجل يهودى اسمه باراياس مقبوضاً عليه مع زملاء له فى فتنة قتل ، فقال بيلاطس لليهود : هل ترضون أن أطلق لكم يسوع (أى أعفيه من القتل) هذا العام تحية لعيدكم كما أفعل معكم كل عام ، إذ أطلق لكم واحداً منكم مشاركة منى فى الاحتفال بأعيادكم ، فصاحوا جميعاً أصلبه أصلبه دمه علينا [إنجيل مرقص ، إصحاح ١٥] .

فمضى به العسكر إلى داخل الدار التى هى دار الولاية وجمعوا كل الكتيبة وابتدأوا يسخرون منه بعد أن ألبسه أرجوانا وضفروا أكليلًا من الشوك ووضعوه عليه ، وكانوا يضربون على رأسه بقصبة ويبصقون عليه ، وبعد ما استهزأوا به نزعوا عنه الأرجوان وألبسوه ثيابه ثم خرجوا به ليصلبوه .

فسخروا رجلًا مجتازاً كان آتياً من الحقل وهو سمعان القيروانى أبو الكسندروش وروفس ليحمل صليبه وجاءوا به إلى موضع جلجثه ، الذى تفسيره موضع جمجمة ، وأعطوه خمراً ممزوجة بمر ليشرب فلم يقبل ، ولما صلبوه كانت الساعة الثالثة وصلبوا معه لصين ، وكان المجتازون يستهزئون به ، ولما كانت الساعة السادسة كانت ظلمة على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة ، وفى الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلًا : (آلوى آلوى لما شبقتنى الذى تفسيره إلهى إلهى لماذا تركتنى ، فصرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح ..) [مرقص : إصحاح ١٥] .

هذه هى أحداث الصلب نقلتها بنصها مع بعض الاختصار البسيط الذى لا يضر بالمعنى مثل بعض تفاصيل الاستهزاء .

ننتقل الآن إلى ذكر ماذا بعد الصلب :

١٣ ـ أحداث ما بعد الصلب

خلاصة ما ذكرته الأناجيل هنا أن المصلوب تقدم لاستلام جسده إنسان شريف اسمه يوسف (كان آمن بالمسيح سراً) وطلب من بيلاطس أن يسلمه جسد يسوع ، فتعجب بيلاطس أنه مات هكذا سريعاً ، فوافق بيلاطس على تسليمه الجسد ، فاشترى كتاناً وأنزله من على الصليب وكفنه بالكتان ووضعه فى قبر كان منحوتاً فى الصخر ودحرج على باب القبر حجراً ومضى ، وكانت مريم المجدلية ، ومريم أمه تنظران أين وضع .

وبعد ما مضى السبت اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب (هى أمه) وسالومة حنوطاً ليأتين ويدهنه ، وباكراً جداً فى يوم الأحد أتين إلى القبر إذ طلعت الشمس فتطلعن ورأين الحجر قد دحرج ، ونظرن فى القبر فرأين شاباً جالساً عن اليمين لابساً حلّة بيضاء فاندهشن ، فقال لهن : إن يسوع الناصرى المصلوب قد قام ليس هو هاهنا ، لكن اذهبن وقلن لبطرس إنه يسبقكم إلى الجليل هناك ترونه كما قال لكم ، فخرجن سريعاً وهربن من القبر ، ولم يقلن لأحد شيئاً لأنهن كن خائفات .

ثم يتحدث مرقص عقب ذلك عن أنه ظهر لمريم المجدلية فى أول الأسبوع : ظهر لها أولًا (وهذا يفهم منه أن هذا الظهور لها أولا سبق ذهابها للقبر مع أمه وسالومة) فكيف لم تخبرهن ، ومع ذلك فإن مريم المجدلية بعد أن أخبرت الذين كانوا معه وهم ينوحون .. لم يصدقوها .

ثم يقول مرقص عقب ذلك أيضاً : (وبعد ذلك ظهر بهيئة أخرى لاثنين منهم وهما يمشيان إلى البرية ، وذهب هذان وأخبرا الباقين فلم يصدقوا .

أخيراً ظهر للأحد عشر وهم متكئون ، ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم ، لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام ، وأوصاهم بأن يذهبوا إلى العالم أجمع ويكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها .. [مرقص إصحاح ١٦] .

هذه هى حادثة المحاكمة وما وليها من حادثة الصلب ، والكلام فيهما كثير والاختلافات أكثر ، وإذا كان لابد لنا من تعليق على ذلك فليكن تلك الكلمة الحكيمة المختصرة ، الجامعة التى كتبها المغفور له الأستاذ عباس

العقاد فى كتابه حياة المسيح ، إذ قال عقب كلامه عن اشتباك السيد المسيح مع الصيارفة وباعة الضحايا والسماسرة الذين كانوا فى الهيكل وأنه صاح بهم يذكرهم أنهم فى بيت الله وأنهم نقلوه من بعد صلاة وطهارة إلى مغارة لصوص ، وكانت هذه هى الواقعة الفاصلة على ما يظهر ، فامتلأت الصدور الموغرة واتخذت من درء الفتنة ذريعة إلى العمل العاجل ، وبدء العمل على النحو الذى تفرقت فيه أقوال النقلة والرواة .

وهنا ينتهى دور التاريخ ويبدأ دور العقيدة ، فليس للتاريخ كلمة راسخة فى خبر من الأخبار التى أعقبت حادثة الهيكل وحركت كهانه للبطش والنكاية ، ففى حادثة الاعتقال لا يدرى متتبع الحوادث من اعتقله ومن دل عليه ، وهل كان معروفاً من زياراته للهيكل أو كان مجهولًا لا يهتدى إليه بغير دليل (١) .

وفى حادثة المحاكمة يجرى الخبر على أنه حوكم بالليل ، وصدر الحكم فى يوم واحد ، ويجرى القضاء الموسوى على تحريم المحاكمة الليلية وإسقاط كل حكم يصدر فى قضايا الدم بعد جلسة واحدة فى يوم واحد ،ولا ينفذ الحكم فى هذه القضايا إلا إذا صدر بالإجماع (٢) .

وفى حادثة التنفيذ يجرى الخبر على أنه قد تم على الرغم من إعلان الحاكم الرومانى براءة المحكوم عليه ، ويقول إنجيل يوحنا إن تسليمه للتنفيذ كان فى نحو السادسة ، ويقول إنجيل مرقص إنها كانت الساعة الثالثة فصلبوه ، ومعنى هذا أن الأستاذ العقاد لا يسلم بصحة روايات الأناجيل .

ثم يورد الأستاذ العقاد عقب ذلك مباشرة أن الأستاذ ريتشارد هزباند [**Husband**] أورد فى كتابه : (محاكمة المسيح) تواريخ عيد الفصح فى ٧ سنوات من سنة سبع وعشرين إلى سنة ثلاث وثلاثين ، فتبين له أن الفصح سنة ٣٠ (ثلاثين) كان يوم خميس ، وكان يوم جمعة سنة ثلاث وثلاثين وذكر باقى السنوات السبع ، ومنها خرج

---

(١) معنى هذه الفقرة أن التاريخ لم يذكر شيئاً عن هذه الأشياء ، وكل ما عرف عنها ليس مصدره التاريخ وإنما هى روايات دينية يصدقها من يصدق رواتها ، على أنهم يتكلمون باسم الدين ، أما من يتكلم باسم التاريخ فليس لدينا سند مؤكد على وقوع هذه الأحداث .

(٢) معنى هذه الفقرة أن رواية الأناجيل هنا تخالف ما عرف عن اليهود ، فكيف تصدق هذه الروايات ؟ .

بأن الرواية التى تقول على لسان كتبة الأناجيل بأن المسيح تناول عشاء الفصح مساء الخميس الذى يوافق السادس من شهر أبريل أى سنة ٣٠ (ثلاثين) ، وهى السنة الوحيدة التى جاء الفصح فيها يوم الخميس ، وما بعدها إلى باقى السنوات السبع لم يجىء الفصح فيها يوم خميس .

وإذا كان من المسلم به أن المسيح عاش ثلاثـاً وثلاثين سنة ، فمعنى ذلك أن الفصح فى سنة ٣٣ كان يوم خميس ، مع أن الباحث المشار إليه هنا أثبت أنه كان يوم جمعة ، فكيف يكون ذلك متفقاً والمشهور عندهم أن المسيح عاش ثلاثاً وثلاثين سنة ؟ فلابد إذن وأن يكون ـ بناء على كلام الباحث ـ والمناقشة هنا منا نحن ، قول من يقول بأن المسيح أكل الفصح يوم خميس ، لم يكن فى سنة ٣٣ م . هذا شىء شىء آخر هو ما أورده الأستاذ العقاد أيضاً من أن مجموعة من أقطاب العلم واللاهوت كالقس شاين الإنجيلى ، والأستاذ هنريك بولس أستاذ اللغات الشرقية بجامعة جينا ، والدكتور ويجال المختص بالدراسات الأثرية فى مصر والشرق الأدنى ، والدكتور« هوجوتول السويدى » وغيرهم من علماء الدين والدراسات التاريخية ،هؤلاء انتهوا إلى التفرقة فى أخبار هذه الفترة بين وجهة التاريخ ووجهة الاعتقاد (١) ، ومعنى ذلك ؟ أن ما ورد فى الأناجيل لا يتفق أصلاً مع وجهة التاريخ كما يرى هؤلاء المتخصصون .

أما الأستاذ عبد الوهاب النجار فقد علق على ما روته الأناجيل من حادثة القبض على المسيح وصلبه وقيامته من الأموات بعد ذلك ، علق الأستاذ بقوله ؟ لم تختلف الأناجيل الأربعة فى مسألة من المسائل كاختلافها فى تفصيل مسألة صلب المسيح وقتله ! فلا تكاد جزئية من الجزئيات فى أحدها تتحد مع الجزئية نفسها فى إنجيل آخر ، ولما كانت هذه الأناجيل من تأليف قوم يدعى المسيحيون لهم الإلهام ويعتقدون خلوها من الخطأ ، كان ينبغى أن تكون كتابتهم فى هذه الحادثة المهمة التى هى مناط النجاة ودعامة الإيمان فى نظرهم ـ متطابقة متوافقة ، بحيث لا يكون فيها اختلاف أصلاً ،

---

(١) انظر كتاب العقاد (حياة المسيح) طبعة دار الهلال بالقاهرة ـ بدون تاريخ ص ١٩٠/١٩١ .

إذ النفس لا تطمئن إلى الأخذ بروايات إذا اتفقت فى موضع واحد من قصة - جاءت فى جميعها - فإنها تتخالف فى مواضع كثيرة ، وإذا لم يكن الراوى أميناً كل الأمانة ، كانت الثقة بروايته ضعيفة والتصديق بها غير سائغ ، وإنى أريد أن أحاكم روايات هذه الأناجيل ليتبين المطلع بنفسه ما فيها من الخلل بمجرد المقارنة ، ثم أورد ٣٤ موضعاً من المواضع التى اختلف فيها كتاب الأناجيل فيما رووه فى حادثتى القبض والصلب مشيراً إلى أنه يكتفى بهذا القدر دون داع للمزيد بعد أن اعتراه الملل .

ثم أورد عقب ذلك سؤالًا معقولًا أعقبه بشهادات طوائف من المسيحيين فى أن الصلب والقتل لم يقعا على المسيح ، أما السؤال المعقول فهو : أن « محمداً » ﷺ - لم يكن له غاية يريد إدراكها من نفى صلب المسيح وقتله ، بل إن إثباته ذلك - لو كان أثبته - يساعده على تأكيد ما ذكره القرآن مراراً من أن اليهود قتلة الأنبياء . لكن الذى حدث هو أن القرآن نفى قتلهم وصلبهم للمسيح ، لكنه أى النبى ﷺ - لا يقضى ولا يثبت الشيء من تلقاء نفسه ، بل الله تعالى هو الذى فعل ذلك بواسطة القرآن : ﴿ **إن هو إلا وحى يوحى** ﴾ (١) .

* * *

١٤ - اختلاف الروايات فى مسألة قيام المسيح من القبر

وكما سبق أن رأينا اختلاف الروايات فى مسألتى القبض على المسيح ومحاكمته ، توجد هنا أيضاً فى هذه المسألة الخاصة بقيام المسيح من القبر اختلافات كثيرة وتضاربات بين أصحاب الأناجيل ، وبيان ذلك .

- هناك اختلاف بينهم حول وقت ذهاب بعض النساء إلى القبر الذى دفن فيه المسيح ، وحول عدد الذاهبات وأسمائهن .

وحول ماذا رأين وهن فى طريقهن إلى القبر أو عند القبر أو فى داخل القبر أو بعد خروجهن من القبر .

---

(١) عبد الوهاب النجار - قصص الأنبياء ص : ٤٤٧/٤٨ .

فمن قائل بأن وقت الذهاب كان عند فجر أول الأسبوع (يقصد فجر يوم الأحد) وأن النساء كن مريم المجدلية ومريم الأخرى [١] . بل وهناك من يقول إن ذهاب هؤلاء النسوة كان نصف الليل ليلة الأحد وهو قول ابن البطريق (انظر ص ٩٢ عنده) ومن قائل بأن الذهاب كان باكراً جداً ، ثم قال إذ طلعت الشمس وجعل الذاهبات ثلاث نسوة هن :

(١) مريم المجدلية .

(٢) ومريم أم يعقوب .

(٣) وسالومة . وقال إنهن ذهبن ليدهنه بالحنوط الذى اشترينه [٢] مع أن اليهود لا يبيعون ولا يشترون فى السبت ، وهو اليوم الذى سبق زيارة النسوة ، وأما يوم الجمعة فقد حدث فيه حادثة المحاكمة والصلب ، وبالطبع فلم يكن اشترين فيه شيئاً .

ـ ومن قائل بأن الذاهبات كن نساء حضرن مع يسوع من الجليل ومعهن أناس لم يبين عددهم ، وهل كانوا رجالًا أو نساء ، وجعل منهن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب ويونا ـ فزاد (يونا) على المسمين قبل وأنقص سالومة [٣] .

ـ ومن قائل بأن الذاهبة إلى القبر هى مريم المجدلية وحدها ، وأن الظلام كان باقياً ، ولم يذكر أن الشمس كانت أشرقت كما قال مرقص صاحب الرواية [٤] .

ـ كذلك اختلفوا فى وصف الحالة التى رأينها عند القبر .

فمن قائل إن المرأتين أتتا إلى القبر والحجر مطبق على بابه ، وأن الملاك نزل من السماء أمامهما وطمأنهما على قيام المسيح من الأموات [٥] .

---

(١) متى : ١ صحاح ٢٨ .
(٢) مرقص .
(٣) لوقا .
(٤) يوحنا .
(٥) متى .

– ومن قائل بأن اللاتى ذهبن إلى القبر تطلعن فوجدن الحجر قد دحرج (١) .

كذلك اختلفوا فى ما إذا كانت المرأتان قابلتا ملوكاً أم لا .

كما اختلفوا فى هل كان القبر خالياً حينما نظرن فى داخله ، أم كان فى داخله شاب جالس على اليمين (٢) ومن قائل بأن النسوة وجدن القبر خالياً ووقفن متحيرات ، وإذا برجل بثياب براقة وقف بهن وقال لهن اذهبن إلى الجليل (٣) ، ومن قائل بأن مريم المجدلية رأت الحجر مرفوعاً فعادت بسرعة إلى سمعان بطرس وإلى التلميذ الذى كان يسوع يحبه ويحترمه وأخبرتهما بأن يسوع لم يكن فى القبر (٤) .

ثم نجد اختلافاً آخر : حول ما ذكره (متى) من أن المرأتين لما انطلقتا لأخبار التلاميذ لقيهما يسوع وقال سلام لكما .. إلخ فإن مرقص ذكر أنهن خرجن سريعاً وهربن من القبر لأن الرعدة والحيرة أخذتاهن ، ولم يقلن شيئاً لأحد ، لأنهن كن خائفات ، وأنه ظهر أولًا لمريم المجدلية وحدها ، وأنها ذهبت وأخبرت الذين كانوا معه وهم ينوحون ويبكون ، فلما سمعوا أنه حى وقد نظرته فلم يصدقوا .

وهذا يخالف ما قاله « لوقا » الذى يقول إنهن ذهبن وأخبرن الرسل فلم يصدقوهن ، وينفرد لوقا بذكر أن بطرس ركض إلى القبر ، بينما يوحنا قد جعل وصول الخبر إلى التلاميذ على لسان مريم المجدلية وحدها ، وأن من ركض إلى القبر اثنان : بطرس والتلميذ الآخر الذى كان المسيح يحبه .

ثم أتى يوحنا بمريم المجدلية إلى القبر مرة ثانية وأنها كانت واقفة تبكى ثم انحنت ونظرت فى القبر فنظرت ملاكين بثياب بيض جالسين ، وبعد كلمات قصيرة معها التفتت فرأيت يسوع الذى قال لها يا مريم .

---

(١) مرقص .
(٢) مرقص .
(٣) لوقا .
(٤) يوحنا .

وقد ذكر مرقص أنه ظهر لاثنين بهيئة أخرى فأخبر التلاميذ فلم يصدقوا .

ولوقا ينفرد بذكر قصة أخرى ورد فيها أن رجلين كانا منطلقين إلى قرية عمواس ، فقابلهما رجل ثالث وهما يتناقشان فى أمر المسيح ، واستمر معهما إلى أن دخلا القرية ، وعزما عليه أن يميل معهما إلى البيت فوافق ، ولما قدما له الخبز بارك وكسر الخبز فعرفا من يكون هو فتركهما واختفى .

من هذا الذى قدمنا كله لا نجد شاهداً واحداً من الرجال ولا من النساء ، سواء أكان موافقاً للمسيح أو منافياً له ـ قد شاهد المسيح وهو فى القبر أو شاهده يخرج منه ، وإنما يقول الذين يزعمون أنهم رأوه خارج القبر ، وهذا الكلام يشهد لأهل الإسلام أن الذى قتل سواه ، وأما هو فقد ظل سليماً معافى مبرأ من الوقوع فى أيدى أعدائه (١) .

* * *

١٥ ـ طوائف المسيحيين التى تنفى الصلب

وإذا نظرنا إلى مسألة صلب المسيح وقتله لم نجدها عند المسيحيين مسألة إجماعية ، بل وجد من طوائف المسيحيين من ينفى الصلب والقتل .

فمن القائلين بذلك ؟ .

ـ الساطر ينوسيون .

ـ والكاربوكراتيون .

ـ والمركيونيون .

ـ والبارديسيانيون .

ـ والتاتيانيسيون .

ـ والبارسكاليونيون .

ـ والبوليسيون .

---

(١) انظر : عبد الوهاب النجار ـ قصص الأنبياء صفحة ٤٤٩ .

وهؤلاء مع كثيرين غيرهم لم يسلموا بوجه من الوجوه أن المسيح سمر فعلًا ومات على الصليب ، وما ذكر هنا مقرر فى تاريخهم (موسيهم) الذى يدرس فى مدارس اللاهوت الإنجيلية .

ومن القائلين بأن الشخص المصلوب غير عيسى قطعا وأنه لم تسلط عليه أيدى مضطهديه ، بل رفع إلى السماء ؟. طوائف (الدوسيتيه ـ والمرسيونية ـ والفلنطنيائية) .

أما شهادات علماء النصرانية بذلك فنذكر منها :

أولًا : ما قاله المسيو (أرادوارسيوس) المشهور بمعارضته المسلمين ، فقد ذكر فى كتابه : « عقيدة المسلمين فى بعض مسائل النصرانية » صفحة ٤٩ : (إن القرآن ينفى قتل عيسى وصلبه ، وما قاله القرآن موجود عند طوائف منهم « الباسيليديون » الذين يعتقدون أن شبه المسيح ألقى على (سيمون) ، ومنهم (السرئتيون) فإنهم قرروا أن أحد الحواريين صلب بدل عيسى .

الثانية : قال : « الهرارنست دى بونس » الألمانى فى كتابه : (الإسلام أى النصرانية الحقة) فى ص ١٤٢ ما معناه : (إن جميع مسائل الصلب والفداء هى من مبتكرات ومخترعات (بولس) ومن شابهه الذين لم يروا المسيح ، وليس من أصول النصرانية الأصلية .

الثالثة : قال « ملمن » فى الجزء الأول من كتابه المسمى « تاريخ الديانة النصرانية » أن تنفيذ الحكم كان فى وقت الغلس (أى الظلام) وإسدال ثوب الظلام ، فيستنتج من ذلك إمكان استبدال المسيح بأحد المجرمين الذين كانوا فى سجون القدس منتظرين تنفيذ حكم القتل عليهم كما اعتقد بعض الطوائف وصدقهم القرآن « انتهى » .

* * *

---

(١) عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ص ٤٤٩ ـ نقلًا عن كتاب « الفارق بين المخلوق والخالق » ص ٢٨١ ، ٢٨٢ .

١٦ ـ شهادات من المزامير تنفى الصلب

المزامير هى سفر (كتاب) من كتب اليهود .. وهو المذكور فى القرآن باسم (الزبور) .. ويعتقد اليهود وكذلك النصارى أن هذا السفر من عمل سيدنا داود عليه السلام .. ولكن الأبحاث الحديثة أثبتت عدم صحة ذلك .. ولكن لنترك الأبحاث الحديثة ولنستمر مع النصارى على اعتبار أنها (المزامير) كتاب مقدس .. فماذا يفيدهم ذلك ؟ الجواب أن النصارى قد وجدوا بها طائفة كبيرة جداً من النصوص زعموا أنها بشارات بما سيحدث للمسيح عليه السلام .. فهى تنبؤات أيدتها الحوادث كما يقولون ولذلك يستدلون بها ضد اليهود على صدق المسيح فى دعواه واليهود يكذبونهم فى ذلك ويفسرونها تفسيراً آخر .. وسنقف هنا على بعض هذه النبوءات التى احتفل بها المسيحيون وقالوا إنها تخص وتبشر بما سيحدث للمسيح وسنرى أنها كذلك ، ولكنها ضد ما يعتقدون وها هى ذى :

فى المزمور ٩١ : ٩ ـ ١٦ نبوءة تصف عبداً جعل الله ملجأه .. وتقول إن الله سينجيه ويرفعه ويمجده .. (أقول للرب ملجىء وحصنى إلهى فأتكل عليه ، لأنه ينجيك من فخ الصياد .. لأنك قلت يارب ملجىء .. لأنه يوصى ملائكته بك لكى يحفظوك .. على الأيدى يحملونك لئلا تصطدم بحجر رجلك .. لأنه تعلق بى أنجيه أرفعه لأنه عرف اسمى ، يدعونى فأستجيب له ..) فهاهوذا النص يصرح بأن الله سينجى هذا العبد ويستجيب له .. ومعنى ذلك أن الأعداء لا يتمكنون منه .. أى ينجو منهم بمعونة من الله .. لكن المسيحيين يقولون إن المسيح صلب .. فكيف إذن تكون هذه النبوءة صادقة .. مع أنها تقول إن الله يستجيب وينجى ويرفع هذا الداعى ؟.

ورواية يوحنا صاحب الإنجيل تعطينا تفصيلات لم يذكرها أصحاب الأناجيل الأخرى وهذه التفصيلات توافق هذه النبوءة المزمورية .. حيث يقول يوحنا إن اليهود لما دخلوا على المسيح للقبض عليه سألهم من تطلبون ؟ فقالوا يسوع الناصرى عندئذ قال لهم أنا هو فوقعوا على الأرض ، وهذا السقوط على الأرض يتفق والنبوءة السابقة ونبوءة أخرى تقول : (عند رجوع أعدائى إلى خلف يسقطون ويهلكون لأنك أقمت حقى ودعواى وأهلكت الشرير) [مزمور ٩ : ١ ـ ١٦] .

ونبوءة أخرى تقول : (إن الله منج تقيه ـ والشرير يلقى جزاء شره : كرا جبا ، حفر حفرة ـ وقع فيها) .

ونبوءة أخرى تقول : (.. عندما اقترب إليَّ الأشرار ليأكلوا لحمى مضايقى وأعدائى عثروا وسقطوا .. والآن يرتفع رأسى على أعدائى)
[مزمور ٢٧ عدد ٢ ـ ٣] .

ومزمور آخر يقول : (هوذا يمخض بالاثم ، حمل تعباً وولد كذباً كرا جبا فسقط فى الهوة التى صنع ، يرجع تعبه على رأسه ، وعلى هامته يهبط ظلمة) [مزمور ٧ ، عدد ١٦] ، بقوة أخرى (.. هم جثوا وسقطوا ، أما نحن فقد وقفنا وانتصبنا) [مزمور ٢٠ عدد ٦ ـ ٩] .

فبالله أيها الأخ المسيحى كيف بعد هذا تقولون إن المسيح صلب مع أن هذه النصوص تؤيد أن الله استجاب له دعاءه وبكاءه ولهفته واستغاثته فى طلب النجاة ؟! هل الصلب يكون استجابة لاستغاثة المسيح ؟! .

لكن لنترك لك أنت لتقرر بضمير حر .. بدون تعصب .. الرأى الصواب والعقيدة الحقة فى هذا (١) .

وتعال لننظر الآن سوياً ما أثبتته البحوث الحديثة فى شأن حادثة الصلب .. إثباتاً عملياً .. مع الأخذ فى الاعتبار أيضاً موافقة النصوص الدينية التى وردت فى الأناجيل .

* * *

---

(١) فى دراسة جادة لنبوءات العهد القديم وبخاصة المزامير عن المؤامرة ضد المسيح قام بها الأستاذ منصور حسين فى كتابه دعوة الحق مستعرضاً كافة المزامير التى يقول المسيحيون إنها تنبأت عن صلب المسيح وناقشها واحداً واحداً .. فأثبت بجلاء أنها كلها تؤيد نجاة الشخص الذى تتكلم عنه وخلاصه من أيدى أعدائه .. وهى حوالى ٣١ مزموراً فليرجع إليها من شاء وبخاصة المزامير (٩) ، (٢٠) ، (٢٢) وإلى صفحات ٨٦ ـ ١٧٧ من الطبعة الثانية الصادرة فى ١٩٧٧ م عن مكتبة علاء الدين ـ بالقاهرة .

١٧ ـ البحوث الحديثة تنفى أن المسيح مات على الصليب

توطئـــــة :

لابد هنا قبل عرض ما قالته البحوث الحديثة والقراءة الجديدة لنصوص الأناجيل من الإشارة السريعة إلى ملخص للأحداث الأخيرة فى حياة المسيح ، قالت الأناجيل :

« اليهود قبضوا على المسيح ، وحاكموه ، وطلبوا من بيلاطس حاكم فلسطين : نيابة عن الرومان .. محاكمته ، وإدانته بتهمة المروق من دين قومه : أى اليهودية ، ومع أن بيلاطس رجل وثنى لا يعرف صحة هذه الدعوى .. إلا أنه تحت ضغط اليهود أمر بإعدام المسيح .. وكانت وسيلته فى ذلك الوقت هى الصلب .. فصلب المسيح .. وتقول روايات الأناجيل أنه مات على الصليب ، وإنه أنزل عقب ذلك بسرعة ، حتى لا يأتى يوم جديد وهو معلق على الصليب فتقع اللعنة على قومه : أرضاً وشعباً وفقاً لنصوص عندهم ، واليوم اليهودى يبدأ من غروب الشمس .. لذلك أسرعوا بإنزال المصلوب من على الصليب .. وكان الذى تولى ذلك رجل يؤمن بالمسيح من أثرياء اليهود ، وكان يخفى إيمانه .. وبعد أن تسلمه قام بدفنه فى قبر (بعد عمل الغسل والتكفين اللازمين حسب شعائر اليهود ..) وساعده فى ذلك رجل آخر .. وتم الدفن فى قبر جديد منحوت فى صخر ، وبعد يوم وليلتين اكتشفوا أنه ليس موجوداً فى القبر (أى اكتشف بعض أتباعه) .. وتلاحقت الأحداث بسرعة .. لأن المسيح بعد ذلك ظهر للتلاميذ عدة مرات : فى مناسبات مختلفة سيأتى ذكرها .. وتكلم معهم .. وطلب منهم طعاماً يأكله ليؤكد لهم أنه هو . وأنه حى .. كل هذه الأحداث ثابتة فى نصوصهم .

وفى ضوء قراءة هذه النصوص نفسها من جديد مع ما توفر الآن من معلومات عصرية خاصة بأناس رجعوا من الموت (الذى ظن الناس أنهم ماتوه .. ولكن الأمر ليس كذلك) ـ علاوة على التجارب الفعلية التى قام بها أناس صلبوا على نفس طريقة صلب المسيح عليه السلام . ومع ذلك ظلوا أحياء .. رغم مرورهم بتجربة الصلب .. من دق مسامير وتعليق على خشبة الصليب .

كل هذه الأشياء يحسن بنا أن نقف عندها قليلًا : نستعرضها ونشرحها ونعلق عليها .. وسنرى فى النهاية أنها كلها تؤدى إلى نتيجة واحدة : وهى أن المسيح الذى يصر المسيحيون على أنه نفسه الذى صلب : فمع التسليم بهذا .. تجىء النتيجة أنه لم يمت على الصليب أى لم يقتل بل كان مغمى عليه وإذن فلم يتحقق قتل اليهود له ، بل حدث صورة القتل أو بالأحرى شبيه بالقتل ولم يحدث قتل . أما لماذا شبيه بالقتل لوجود صورة القتل وهى وضع شخص ما على الصليب ليقتل ، لكنه عاش ولم يقتل فلنستعرض أولًا حالات الذين رجعوا من الموت (الظاهرى) ثم حالات الذين صلبوا ولم يموتوا ، ثم بعدها نحلل نصوص الأناجيل فى ضوء قراءة جديدة لها .

أولًا : حالات الذين قال الناس إنهم ماتوا ومنهم أطباء قرروا موتهم فعلًا إكلينيكياً ثم بعد مضى وقت اتضح أنهم ما ماتوا .. وإليك الأمثلة :

١ ــ نشرت جريدة « ديلى نيوز » بتاريخ ٣ يناير ١٩٨٤ م ــ خبراً عن تحرك كفن وتحرك جثة السيد / بارناباس عند إنزاله إلى القبر فى بلدة نيروبى من جراء كثرة شرب الخمر .

٢ ــ بنت صغيرة (ماتت) تحكى كيف عادت إلى الحياة بعد (٤) أيام .

[ديلى نيوز بتاريخ ١٩٥٥/١١/١٥ م]

٣ ــ مات رجل لمدة ساعتين : لا يزال يعيش ــ معجزة تحير الأطباء .

[صنداى تريبيون ٦٠/٣/٢٧]

٤ ــ مات لمدة ٤ دقائق ــ توقف قلب الرجل لكنه يستمر فى الحياة .

[صنداى اكسبريس ١٩٦١/٧/٢٣ م]

٥ ــ لا يعرف أنه مات لمدة ٩٠ ثانية . [كيف آجوس ١٩٦١/٣/١٦ م] .

٦ ــ دكتور هيج عاد من الموت .. [كيب آرجوس ١٩٦١/٥/٤ م] .

٧ ــ وتحرك الكفن : أفلت الشاب من الدفن حياً . [صنداى تريبيون ١٩٦٢/٥/١٣ م] .

٨ ـ عودة من عالم الموتى : بعد الاعتقاد بوفاته بيومين . .
[بوست ١٩٦٥/٧/٢٥ م] .

٩ ـ الجثة تغمز بعينيها لمتعهد الدفن ـ وكتب الطبيب شهادة الوفاة .
[ديلى نيوز ١٩٧٥/٣/٢٥ م] .

١٠ ـ ميت اكلينيكيا ـ لا يزال (تودلر) حياً بعد معركة لمدة ساعة لإنقاذه . [ناتال مركوى ١٩٨٢/١٢/٢٥ م] .

١١ ـ هل كان ميتاً أم كان حياً ؟ المتصلة التى تواجه زرع الأعضاء .
[صنداى تريبيون ١٩٨٣/٧/١٧ م] .

* * *

ثانياً : قصص أناس صلبوا ثم بقوا أحياء :

نشرت جريدة (ويك اندوورلد) بتاريخ ٣ أغسطس ١٩٦٩ م صورة ظهر فيها السيد / بيترفان دير برج ينزل إلى الأرض (معنى ذلك أنه لم يفارق الحياة) بعد أن علق على صليب لمدة عشرين دقيقة ، والسيد فان دير برج يعمل فى حانة للخمر (بارمان) فى مدينة نيوكاسل بنيتال ، سمح بأن يسمر إلى الصليب فى الأسبوع الماضى ، ليبرهن على أن الإنسان يمكن أن يسيطر على جسمه ، وقد دق فى يده مسمار طوله أربع بوصات (١٥ سم) ولم يسبب خروج دم ، كما تم إدخال ثلاثة مسامير أخرى فى إليته طول كل منها ١٨ سم ولم يمت .

مثال آخر : هو ما نشرته ـ فى مدينة نيوكاسل ـ صحيفة (ويك إند صنداى) بتاريخ ١٩٦٩/٨/٣ م حيث نشرت تحت عنوان (وماذا تسمى ذلك ـ صلب أم إيهام بالصلب ؟) ومع هذا الكلام صورة رجل مصلوب معلق على الصليب .

فى صحيفة (ديلى نيوز) الصادرة بتاريخ ١٩٥٥/١٠/١٧ م نشر فى صدر صفحتها الأولى خبر يقول : فتاة ماتت أربعة أيام ـ فيما بدا للأطباء ـ ثم استيقظت .

* * *

شيوع لعبة الصلب :

وهذا ما نشرته صحيفة (صن داى نيوز) الصادرة فى دار السلام بتاريخ ١٩٨١/٥/٣ م إذ نشرت عما يسمى مضاعفات الصلب فى الفليبين ، وذكرت الصحيفة أن (سبع حالات صلب على الأقل) تم النشر عنها فى الصحف المحلية ، ومن الممكن أن تكون عمليات صلب أخرى تمت فى الأقاليم ، ولم ينشر عنها شىء من بين هذه العمليات عمليات أجرتها سيدة تدعى (لوشياناريز) التى وصفت بأنها أول امرأة يعرف أنها مارست (طقوس الصلب) وكإضافة جديدة لعناصر عملية الصلب هى دق مسامير فى يدى المتقدمين للصلب ، بالصليب الخشبى ولم يمت أى شخص بالصلب وأغمى على أحدهم ، ونزل أحد المصلوبين ليدخن سيجارة بعد ربط يديه بضمادات شاش . وتمت عملية الصلب لأحدهم خمس مرات ، وكان قد نذر أن يصلب عشر مرات ، ولكن كان هناك أكثر من ٢٥٠٠٠ مشاهد لأربع عمليات صلب فى مدينته وبعضها تمت إذاعته مباشرة بالتليفزيون على الهواء (١) .

* * *

ثالثاً : قراءة جديدة للنصوص الخاصة بعملية صلب المسيح :

مقـــدمة :

المسيح وضع على الصليب بعد المحاكمة الصورية لكنه لم يمت على الصليب كما هو معتقد المسيحيين ، بل أغمى عليه ، ثم لما كان اليهود متعجلين إنزاله عن الصليب ، لأنه حسب ما ورد فى كتبهم ملعون المعلق على خشبة حتى الصباح وملعونة الأرض التى هو فيها والمصلوب علق على خشبة الصلب من الساعة ٦ ـ ٩ مساء أى فى آخر النهار ، لذلك كان تسرعهم فى إنزاله من على الصليب ما داموا قد رأوا علامات الحياة قد

---

(١) أحمد ديدات : مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء ، القاهرة دار الاعتصام ، ترجمة على الجوهرى ١٩٨٩ م ، ص ١٧٤ .

فارقته . وفى هذه اللحظة تقدم شخص اسمه يوسف الأريماتى (أى الذى من الرامة كما يصفه بذلك كتاب الأناجيل) ومعه أحد جنود الرومان وهو قائد المائة إلى بيلاطس وطلب يوسف جسد يسوع « فتعجب بيلاطس أنه مات كذا سريعاً ، فدعا قائد المائة وسأله حل له زمان قد مات » .

[مرقص ١٥ : ٤٤] .

لماذا تعجب بيلاطس أنه مات هكذا سريعاً ..؟ لأن المسيح صلب بطريقة الصلب البطيئة .. وليس بطريقة الصلب السريعة التى تستعمل فيها آلة تسمى (الكوريفراحيوم) وبمقتاضاها يتم كسر الساقين للمصلوب .. فينزف الدم فيموت المصلوب بسرعة وهـذا ما لم يحدث مع المسيـح بل حدثت معه الطريقة الثانية وهى طريقة الصلب البطيئة وبمقتضاها تربط أيدى المصلوب ولا تسمر بالمسامير ولا تستعمل آلة كسر الساقين .. أى أن يظل الجسم معلقاً .. وسليماً من الكسر .. وهذا ما حدث بالنسبة للمسيح .. وبعد أن علق .. حدثت له إغماءة طويلة .. وكان بدء الصلب فى الساعة السادسة مساء .. كما تقول روايات الأناجيل .. وفى الساعة التاسعة حدثت الإغماءة التى ظنوا معها أنه مات .

ولما أنزل من على الصليب بعد ذلك غسل وكفن بواسطة يوسف الأريماتى الذى هو يهودى أصلاً ـ لكن آمن بالمسيح فى السر وكان من الأغنياء ـ ومعه نيكوديموس وهو شخص آخر ساعده فى حمل الجسم والقيام بغسله وتكفينه حسب طقوس اليهود ، وبالطبع ليس من المعقول (وهما المؤمنان بالمسيح) أن يعلنا للناس أن بالجسم آثار الحياة ، إذا كانا لاحظا آثارها وهما يقومان بعملية الغسل والتكفين ـ خوفاً من أن يأتى اليهود ويجهزون عليه ، وبالطبع هما لا يريدان ذلك لأنهما يؤمنان بالمسيح ثم حملا الجسم بعد ذلك (١) وضعاه فى قبر جديد منحوت فى صخر ، وكان صاحبه هو نفس يوسف الأريماتى هذا .

---

(١) الجسم وليس الجثة ـ لأنه كان حياً .

وهذه المقبرة الجديدة (أى التى لم يسبق أن دفن بها أحد) تشبه الغرفة لأنها من الصخر ، ونترك (جيم بيشوب) وهو عالم من كبار علماء المسيحية ، يعطينا وصفاً لهذه المقبرة أورده فى كتابه (يوم مات المسيح) قال فيه إن اتساع القبر كان خمسة أقدام ، وارتفاعه كان سبعة أقدام ، وعمقه كان خمسة عشر قدماً مع نتوءات بالداخل وهذا ما يجعله أشبه بغرفة بأحد المساكن الشعبية .

وضعه الرجلان فى داخل هذه المقبرة .. ويقول كتبة الأناجيل وصفاً لذلك على أن القائم بالعمل هو يوسف الذى من الرامة (معه نيقود يموس) لكنها تقول : ودحرج على بابه حجراً ومضى . [يوحنا ١٩ : ٣٨ – ٤٣] .

ولما جاءت مريم المجدلية صباح يوم الأحد بمفردها أولًا : [مرقص ١٦ : ٩ ، ويوحنا : ٢٠ : ١] ثم ومعها نسوة بعد ذلك فى رواية أخرى .. حضرت ومعها حنوط وأطياب لتدهنه والسؤال هنا : تدهن جسم ميت أم جسماً كانت تعتقد أنه ما زال حياً ؟ الجواب جسم حى . لأن جسم الميت الذى مضى عليه ثلاثة أيام لا يكون باقياً كما هو بل تغير وإذن فلا فائدة فى دهنه بالطيب .

تقول رواية الأناجيل عقب هذا مباشرة ، ولكنها لم تجد المسيح ، فنظرت حولها فإذا رجل يقف فظنته البستانى لأنه كان بجوار المقبرة بستان يملكه يوسف الأريماتى كما سبق القول سألته : يا سيد إن كنت أنت حملته فقل لى أين وضعته ؟ [يوحنا : ٢٠ : ١٥] إنها لا تبحث عن جثة ، لأنها حسب الترجمة الانجليزية لو كانت تبحث عن جثة لاستخدمت ضمير غير العاقل ، ولكنها استخدمت ضمير العاقل فى السؤال أين وضعته .

واستعملت كلمة أين (وضعته) ولم تقل أين (دفنته) لماذا ؟ لأنها تعلم أنه ما زال حياً .. مرة أخرى لتذكر كلماتها بالتمام ، قالت (يا سيد إن كنت حملته فقل لى أين وضعته وأنا آخذه) .

فكلمة وأنا آخذه .. لها معنى هنا مهم جداً .. تأخذه أين ؟ تأخذ ميتاً معها ؟ لا . بل تأخذ حياً . وذلك لإحساسها ولمعرفتها المؤكدة بأنه حى .. وفعلًا عندما سألت هذا السؤال : جاء الرد من المسيح نفسه : (الذى ظنته البستانى) .

قال لها يسوع يا مريم : فالتفتت تلك وقالت له ربّونى الذى تفسيره يا معلم . [يوحنا ٢٠ : ١٧] . أى كشف لها عن حقيقته .. فعرفته وتقدمت إليه وقد آطار صوابها الفرح لتمسك بسيدها وتقدم بين يديه فروض تبجيلها له لكن المسيح يبادرها بقوله : (لا تلمسينى لأنى لم أصعد بعد إلى أبى) .

ما معنى هذا ؟ معناه أنها لا تلمسه لأن به جرحاً سببته وخزة الرمح عندما وخزه اليهود به وهو معلق على الصليب .. فسببت جرحاً خرج منه ماء ودم .

وإذا لمسته مريم وهو بعد لم يكتمل الشفاء فإن ذلك يؤلمه .. ومعنى لم أصعد بعد إلى أبى .. أى لم أمت . لأنه قال لها ذلك وهو واقف معها على الأرض وتراه بعينيها فهى متأكدة أنه معها على الأرض .. ولم يصعد .. لكن المعنى هو ولم أصعد أى ولم أمت أنه فى الحقيقة يقول لها بالضبط .. إنه لم يبعث من الموتى بل لم يمت حتى الآن .. يقول (إنى حى) بعد ذلك ذهبت إلى الحواريين وأخبرتهم فلما سمع أولئك أنه حى وقد نظرته لم يصدقوها . [مرقص ١٦ : ١١] .

وتفسير ظهوره هكذا فى المزرعة المجاورة للقبر ــ وهو لابس ملابس تشبه ملابس البستانى ــ أن يوسف الأريماتى بعد أن وضعه فى القبر انتظر إلى أن تهدأ الحركة وتسلل فى جنح الظلام إلى المقبرة وأزاح الحجر ودخل المقبرة وأخرج يسوع منها ، لأنه كان حياً لم يمت ــ بل مغمى عليه ، وألبسه ملابس تشبه ملابس البستانى . بعد أن أفاق من الإغماء الشديد الذى سببه الضرب والإجهاد الشديدين ، وما لقيه من إنهاك وتعب منذ ليلة القبض عليه وما أعقبها ــ ولما جاءت مريم المجدلية ووجدته على النحو السابق ذكره ظنته البستانى .. لأنه كان متنكراً فى هذه الملابس حتى لا يعرفه اليهود . والدليل على صحة هذا التصور هو أن الحجر الذى أزيح من على باب القبر .. كان لخروج جسم يسوع وليس روحه .. وظهوره المتكرر .. على نحو ما سيأتى يؤكد أنه لم يمت ، وأنه لو كان مات وبعث لما احتاج أن يخاف من اليهود لأن الذى يموت مرة لا يموت مرة ثانية هكذا تقول الكتب .. عندهم .

أخطاء اليهـــود :

تقول قصة صلب المسيح أنه عندما أخذه يوسف الأريماتى وزميله وتم دفنه فى المقبرة الصخرية على نحو ما سبق ذكره .. إن اليهود جاءوا فى اليوم التالى إلى بيلاطس يطلبون منه جنوداً لحراسة القبر خوفاً من أن يسرق أتباع المسيح جثمانه (لأنهم كانوا يعتقدون وفاته) وقد عللوا هذا الطلب بقولهم لبيلاطس إن أتباع المسيح إذا سرقوا الجثمان سيأتون ويقولون إنه قد قام من القبر فتكون هذه الضلالة الأخيرة شراً من الأولى [متى : ٢٧ ـ ٢ ٦٤] .

وهنا نقول إن اليهود جاءوا لضبط القبر أو لطلب ضبط القبر بعد فوات الأوان لأنهم جاءوا بعد مضى حوالى يوم كامل .. تمكن خلاله وأثناء الليل أتباع يسوع من مساعدته على الخروج من القبر .

والخطأ الأول هنا أنهم فى محاولتهم التخلص من يسوع .. سمحوا بإنزاله عن الصليب دون كسر ساقيه تحت زعم أنه كان قد مات ، وكان الخطأ الأخير أنهم مكنوا لأتباع يسوع غير المعروفين علناً أن يقدموا المساعدة لرجلهم الجريح بعد غلق المقبرة غلقاً محكماً . وأيضاً وفى نفس الوقت بتأجيلهم الذهاب إلى بيلاطس إلى اليوم (التالى) الذى كان وقتاً متأخراً لدرجة أن يعمل الله قدرته بطريقة لا يعرفها البشر .. ﴿ **ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين** ﴾ [قرآن كريم : سورة آل عمران : ٥٤] .

* * *

وتستمر الرواية قائلة :

بعد الخروج من القبر ورؤية مريم المجدلية له : ذهبت بسرعة إلى الحواريين أى تلاميذه الذين كانوا مجتمعين فى الغرفة العليا التى اجتمع بهم فيها المسيح آخر يوم قبل حادثة القبض عليه وأكل معهم الفصح .. فلما أخبرتهم أنها رأته وأنه حى لم يصدقوا [مرقص ١٦ : ١١] .

وفى نفس اليوم فى الطريق إلى بلدة عمواس ظهر المسيح لاثنين من تلاميذه أيضاً ورافقهم فى الطريق وأخذ يتبادل معهما الحديث حتى وصلا إلى القرية ودعياه لقضاء بعض الوقت معهما ، وقدما له طعاماً ليأكل

معهما . فأخذ الخبز وبارك وكسر وأعطاهما .. عندئذ تفتحت عيونهما وعرفا من هو فذهبا بسرعة إلى الحجرة العلوية حيث كان الحواريون .. يقول مرقص : (وذهب هذان وأخبرا الباقين فلم يصدقوا ولا هذان) [مرقص : ١٦ : ١٣] لماذا لم يصدقوا مريم ولماذا لم يصدقوا مرة أخرى التلميذين .؟ .

الجواب لأنهم كانوا يعتقدون أنه مات على الصليب وأنه إذا ظهر بعد ذلك سيكون ظهوره روحياً .. لا جسدياً .. لكن لما قالت مريم إنها رأته هو بعينه جسداً لا روحاً لم يصدقوا . وكذلك لما قال التلميذان أنهما رآياه .. بل وأكل معهما .. لم يصدق الباقون لأنهم كانوا لا يتوقعون حياته .

عندئذ ظهر لهم يسوع بجسمه الحى كواحد يأكل الطعام معهم .. لأنه لما رأى عدم تصديقهم لظهوره بينهم طلب منهم أن يعطوه طعاماً ليأكله أمامهم تدليلًا منه على أنه هو هو بجسمه العادى الذى كانوا يعرفونه .. فناولوه بقايا سمك وشهد عسل وأكل أمامهم .. وهذا أكبر دليل على أنه حى وأنه نفس الذى ظهر بينهم ، لأن الروح لا تأكل . وهذا أمر يعرفونه جيداً ، ولكن بما أنهم عرفوا من طريق السماع أن سيدهم قد صلب (إذ أنهم لم يشاهدوا عملية الصلب حيث كانوا قد تخلوا عنه (هربوا) وأنه قد وضع فى القبر وأنه قد مضى على ذلك ثلاثة أيام ، فكانوا يتوقعون بعدها أن الجسم قد تحلل وبلى ، ومن ثم فظهور المسيح بينهم الآن لا يمكن أن يكون هو هو بل شبحه .. فأثبت لهم أنه ليس شبحه .. فأثبت لهم أنه ليس شبحاً بل جسم حقيقى فأكل أمامهم ، والشىء الغريب أو المثير هنا هو أنه أراهم يديه ورجليه [لوقا ٢٤ : ٣٩ ـ ٤٠] أى أنه هو نفس الشخص .. وذلك لأن الروح ليس له لحم وعظام .. وهم يعرفون ذلك .

والسر فى رفضهم تصديق كل هذه الدلائل .. هو اعتقادهم السابق أنه مات وإذن فهم يتوقعونه إذا ظهر لابد وأن يكون روحاً لكن من الذى قال . إن الأشخاص الذين يبعثون من الموت سيكونون أرواحاً ؟. الجواب يسوع نفسه حيث قال : (ليس للروح لحم ولا عظام) .

[لوقا : ٢٠ : ٢٧ ـ ٣٦] .

يسوع مثل يونان :

جاء اليهود يوماً يطلبون من المسيح (عليه السلام) آية أى معجزة ، ويرد عليهم المسيح بقوله : (... جيل شرير وفاسق طلب آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبى)[1] [متى ١٢ : ٣٩] .

وآية يونان المشار إليها قد ذكرتهما كتب اليهود .. وهى أنه مكث فى بطن الحوت ثلاثة أيام بلياليهما .. ثم خرج من بطن الحوت سليماً معافى بأمر الله تعالى .. كمعجزة له .. وهذا ما وعد به المسيح اليهود ... أى أنه سيحدث له مثل ما حدث ليونس .

والمناقشة هنا هى إذا كان يونس قد دخل بطن الحوت سليماً معافى ومكث بداخلها ثلاثة أيام بلياليها . ثم خرج بعد ذلك سليماً معافى أى حياً . فمن المتوقع إذن أن يحدث للمسيح نفس القصة وهو ما حدث . فعلًا باستثناء عدد الأيام حيث أدخل فى القبر ومكث حياً .. أى أنه لم يمت قبل دخول القبر ولا وهو فى القبر ـ تماماً كما لم يمت يونان قبل دخوله بطن الحوت ، ولا وهو فى بطنه . وبما أنه (أى يونان) خرج سليماً معافى ببدنه هو هو .. فالمتوقع إذن أن يخرج المسيح من القبر سليماً معافى هو هو على نحو ما حدث ليونان عليه السلام .

لكن إذا قلنا إنه دخل القبر ميتاً وبقى فى القبر ميتاً لمدة ثلاثة أيام فكيف يكون إذن مشبهاً ليونان ؟ على أن التواريخ التى ذكرها كتبة الأناجيل لتحديد بقائه (المسيح) فى القبر لا تصل إلى ثلاثة أيام بلياليها بل يوماً وليلتين فقط .. وقد سبق مناقشة ذلك .

ولكنا هنا نوضح فقط المشابهة بين يونان .. وما حدث للمسيح .

وإذن فقول المسيحيين إن المسيح كان فى القبر ميتاً .. هو كذب .. لا يوافق ما قاله المسيح نفسه فى نبوءته لليهود السابق ذكرها .

---

(١) يونان النبى يقابله فى الإسلام اسم يونس ، ويطلق عليه صاحب الحوت .

والصواب أنه كان حياً .. كما سبق أن ذكرنا ذلك مراراً .

وتمضى الرواية الإنجيلية لتقول : إن تلميذاً اسمه (توما) شك فى كون الذى يخاطب التلاميذ فى الغرفة العليا هو جسم لا روح وأعلن ذلك للمسيح نفسه ، فما كان منه (المسيح) إلا أن قال له : (هات أصبعك إلى هنا وابصر يدى ، وهات يدك وضعها فى جنبى ولا تكن غير مؤمن بل كن مؤمناً) [يوحنا : ٢٠ : ٢٧] عندئذ قال توما : ربى وإلهى [يوحنا : ٢٠ : ٢٨] تماماً كما نقول نحن يومياً فى حالات كثيرة ربى وإلهى .

* * *

١٨ ـ الأدلة التى تثبت أنه كان حياً ولم يمت على الصلب

١ ـ لو صح قتل اليهود للمسيح فعلًا لصح ادعاؤهم بأن عيسى ابن مريم (عليه السلام) ليس هو المسيح الذى وعدوا به وهو الرفض الخالد الدائم الذى لا يكفون عنه ، وهذا ما تشير إليه آية سفر التثنية ١٨ : ٢ (وأما النبى الذى يطغى فيتكلم باسمى كلاماً لم أوصه أن يتكلم به أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبى) .

٢ ـ بكاء المسيح ليلة القبض عليه وتضرعه بكل لجاجة .. ثم ظهور الملاك له بعد ذلك ليشجعه أليس فى هذا دليل على أن الله تعالى قد استجاب لدعواته وعبر عنه الكأس كما كان يدعو .. أى نجاه وجعله لم يشرب كأس الموت .. وهذا ما تؤكده كلمات القديس بولس حيث يقول فى شأن المسيح : (الذى فى أيام جسده إذ قدم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت وسمع له من أجل تقواه) [العبرانيين ٥ : ٧] .

٣ ـ ماذا يعنى قوله : (وسمع له) يعنى أن الله تعالى قد قبل دعاءه ويقول لوقا أيضاً : (وظهر له ملاك من السماء يقويه) [لوقا ٢٢ : ٤٣] ولنلاحظ بركات الإله خلال محنة عيسى عليه السلام لنجدها :

(أ) التوكيد المطمئن من السماء .

(ب) يجده بيلاطس غير مذنب (بيلاطس هو الحاكم الرومانى الذى طلب منه اليهود أن يحاكم المسيح بعد القبض عليه) .

(جـ) زوجة بيلاطس ترى رؤيا وفيها تنبأ بأن عيسى يجب ألا يمسه أذى .

(د) لم تقطع ساقاه .

(هـ) اليهود يتعجلون إنزاله عن الصليب .

والملحوظة الرابعة الخاصة بعدم قطع ساقيه إنما كانت تحقيقاً لنبوءة وردت بالمزمور الرابع والثلاثين تقول : (يحفظ جميع عظامه واحد منها لا ينكسر)[المزامير ٣٤ : ٢٠] .

ولكن لماذا حفظت ساقاه من الكسر ؟ بالنسبة لشخص مات فعلًا أو سيموت فعلًا هى لا تفيده .. ولكن بالنسبة لشخص حى أو عائش .. تفيده بالقطع وهذا يكون فى حالة عدم موت المسيح على الصليب .. والنبوءة التى تقول بأن عظامه حفظت ولم تكسر تكون بناء على هذا مشيرة إلى حياة من تتنبأ له وليس موته .

* * *

(٤) خروج الماء والدم من جسم يسوع وهو على الصليب

تقول قصة صلب المسيح التى روتها الأناجيل أنه بعد أن علق على الصليب جاء إنسان برمح وغز جسمه فخرج منه ماء ودم على الفور [يوحنا : ١٩ : ٣٤] وهذا معناه أنه كان حياً عندما وجه إليه الرمح .. وبما أن القصد من غزه بالرمح إنما كان لمعرفة أهو حى أم ميت .. ولما لم يتحرك استدل القائم بالرمح أنه ميت لكن الحقيقة أنه كان مغمى عليه وخروج الماء والدم دليل على أنه كان حياً وهذا مالم يعرفه الغاز بالرمح والدليل على أنه كان حياً ما تقوله دائرة معارف الإنجيل العامود ٩٦ .

أن يسوع كان حياً عندما وجه (إليه الرمح) :

ولكن لماذا الماء والدم ؟ لقد أدلى الدكتور و . ب يرمروز أخصائى التخدير بمستشفى جلاسجو الملكى برأيه من واقع خبرته كما أورده فى دورية تنكرز دايجست الصادرة بلندن فى شتاء عام ١٩٤٩ م عندما قال : (كان الماء ناتجاً عن الإرهاق العصبى الواقع على الأوعية الدموية الذى

يرجع تحديداً إلى التأثير فوق الطاقة للضرب بالهراوات) وعندما كان يسوع قابعاً ببستان جشيمين تؤكد المصادر الطبية أيضاً أن العناء الذى كابده يؤيد أيضاً التفسير السابق .

٥ ـ وتقول رواية الأناجيل عند ذكرها لحادثة الصلب : إنه بين الساعة السادسة والتاسعة . كان هناك رعد وكسوف شمس وزلزال ! .

المناقشة : هكذا يحدث هذا فى الطبيعة دون قصد ؟ كلا : كان ذلك لتفريق الغوغاء بعد تعليق المصلوب على الصليب .. وكان ذلك لإطلاق يدى الرحمة المتمثلة فى أتباعه المخلصين الذين أسروا اتجاهاتهم لكى يهبوا لنجدته .

وذهب يوسف الذى كان من أريماتا فى معية أحد جنود الرومان (وهو قائد مائة) وطلب من بيلاطس جسد يسوع .. فتعجب بيلاطس أنه مات هكذا سريعاً ، فدعا قائد المائة وسأله : (هل له زمان قد مات ؟) [مرقص ١٥ : ٤٤] ماذا كان سبب تعجب بيلاطس ؟ كان يعرف بحكم تجربته وخبرته أن أى رجل لا يمكن أن يموت على الصليب فى غضون ثلاث ساعات مالم تكن (الكوريفراجيوم) آلة قطع السيقان حتى ينزف الجسم ـ معدة لذلك وهو مالم يحدث فى حالة يسوع ، وهو ما حدث بالنسبة لرفيقيه فى الصلب إذ قطعت ساق كل منهما ، وعند إنزال المسيح من على الصليب كانا لا يزالان حيين .

والأستاذ أحمد ديدات صاحب هذه القراءة الجديدة لنصوص الصلب كتب كتاباً عن مسألة صلب المسيح وقدم فيه ثلاثين دليلًا على أن المسيح عليه السلامَ لم يمت على الصليب ، ولم يدفن ميتاً ، ولم يقض فى المقبرة ثلاثة أيام وثلاث ليال ، بل مكث بها وهو على قيد الحياة مدة من الزمن لا يمكن أن تزيد على يوم واحد وليلتين . وإليك ملخصاً لما ذكره فى الكتاب كله بكلماته هو ونفس ترتيبه :

١ ـ كان عيسى عليه السلام حريصاً ألا يموت .

وكان قد اتخذ ترتيبات للدفاع لدحر اليهود لأنه كان يريد أن يبقى حياً .

٢ ـ تضرع عيسى عليه السلام لله كى ينقذه ، نعم تضرع إلى الله تعالى القدير أن يحفظ حياته ليبقى حياً .

٣ ـ يسمع الله دعاءه .

وهو ما يعنى أن الله قد استجاب لدعائه أن يظل حياً .

٤ ـ نزل إليه أحد الملائكة ليشد أزره .

وكان ذلك بإعطاء الأمل واليقين بأن الله سينقذه ليبقى حياً .

٥ ـ يجد (الحاكم الرومانى) بيلاطس أنه ليس مذنباً وهو سبب قوى لإبقائه حياً (وكان هو ـ بيلاطس ـ القوة السياسية والعسكرية المنوط بها التصديق على الأحكام وتنفيذها) .

٦ ـ ترى زوجة بيلاطس حلماً ينبئها أنه لا يجب أن يلحق أذى بهذا الرجل العادل ـ بمعنى أنه يجب أن يظل حياً .

٧ ـ الزعم بأنه بقى على الصليب ثلاث ساعات فقط ، وحسب النظام المعمول به لا يمكن أن يكون أحد المحكوم عليهم بالموت صلباً قد مات فى مثل هذا الوقت القصير حتى لو كان قد ثبت على الصليب كان حياً .

٨ ـ رفيقاً صلبه على الصليب ظل كل منهما حياً . ولذا فإن عيسى عليه السلام ، فى ذات مدة البقاء على الصليب ظل حياً .

٩ ـ تقول انسيكالوبيديا (دائرة معارف) الإنجيل تحت عنوان « الصليب » أنه عندما غز يسوع بالرمح (١) .

١٠ ـ فور ذلك خرج دم وماء .

وكانت تلك علامة ودليلًا يؤكد أن عيسى عليه السلام كان حياً .

١١ ـ الساقان غير مقطوعتين ـ تحقيقاً للنبوءة والساقان غير المقطوعتين يكون لهما نفع عندما يكون عيسى عليه السلام حياً .

١٢ ـ الرعد والزلزال وكسوف الشمس فى غضون ثلاث ساعات لإلهاء الجمهور المتطفل وليتمكن أتباعه السريون من مساعدته فى أن يظل حياً .

---

(١) كان المناط به القيام بعملية الصلب يغز الضحية برمح للتأكد من موته (المترجم) .

١٣ ـ اليهود ارتابوا فى تحقق موته .

شك اليهود أنه قد نجا من الموت على الصليب وأنه كان لا يزال حياً .

١٤ ـ بيلاطس (يعجب) أن يسمع أن يسوع كان ميتاً ، لقد كان يعرف بالتجربة أنه لا أحد يموت بسرعة هكذا على الصليب وظن أن يسوع كان حياً .

١٥ ـ حجرة ضخمة فسيحة (كمدفن) . قريبة فى متناول اليد ضخمة جيدة التهوية بحيث تشجع يدى المساعدة كى تأتى للنجدة ، وامتدت يد المساعدة ليظل حياً .

١٦ ـ الحجر (على باب المقبرة) وملاءة الكفن أزيلا : وهو ما يلزم حدوثه فحسب عندما يكون حياً .

١٧ ـ تقرير عن الملاءة المطوية : أكد علماء ألمان من خلال تجارب معينة أن قلب يسوع لم يكن قد توقف عن العمل ـ أى أنه كان لا يزال حياً .

١٨ ـ التنكر فى الأبدية : التنكر يكون غير ضرورى لو كان عيسى عليه السلام قد بعث بعد موت ، لكنه ضرورى فى حالة واحدة فقط ، عندما يكون حياً .

١٩ ـ ويمنع مريم المجدلية أن تلمسه : « لا تلمسينى » بسبب أن لمسه (ولم تكن جروحه قد التأمت) يسبب له ألماً ، لأنه كان حياً .

٢٠ ـ قوله : « لم أصعد إلى أبى بعد ، وكأنه فى لغة اليهود واصطلاحهم يقول : « لم أمت بعد » أو يقول إنه كان حياً .

٢١ ـ ولم تخف مريم المجدلية عندما تعرفت عليه ، لأنها كانت قد شاهدت الحياة فيه (عند إنزاله عن الصليب) كانت تبحث عنه حياً .

٢٢ ـ يتحجر الحواريون (هلعاً) عند رؤية يسوع بالحجرة . كل معلوماتهم عن (حادث صلبه) إنما كانت بالسماع (ولم يكن أحدهم شاهد عيان حيث كانوا قد خذلوه جميعاً وهربوا) ولذلك لم يستطيعوا أن يصدقوا أن عيسى عليه السلام كان حياً .

٢٣ ـ أكل الطعام مرة إثر مرة عند ظهوره بعد عملية الصلب ، والطعام ضرورى فقط عندما يكون حياً .

٢٤ ـ لم يظهر نفسه أبداً لأعدائه (اليهود) لأنه كان قد هرب من الموت (على يديهم) بشق النفس وكان لا يزال حياً .

٢٥ ـ قام فحسب بجولات قصيرة : (الأماكن التى تحرك إليها بعد الصلب معروفة بأنها فى نطاق ضيق) لأنه لم يكن قد بعث من بين الموت كروح ، لكنه كان لا يزال حياً .

٢٦ ـ وشهادة رجال بجوار المقبرة حيث قالوا) (لماذا تبحثون عن الحي بين الموتى) [لوقا ٢٤ : ٤ ـ ٥] ومعنى ذلك بوضوح أنه لم يكن ميتاً ، كان حياً .

٢٨ ـ وتشهد مريم المجدلية :

يقول القديس مرقص : « ولما سمع أولئك أنه حى وقد نظرته لم يصدقوا » [مرقص ١٦ : ١١] ولم تكن مريم المجدلية تبحث عن عفريت أو شيطان أو روح وإنما كانت تبحث عن « يسوع حياً » . لكن الحواريين عجزوا أن يصدقوا أن معلمهم كان حياً .

٢٩ ـ ويشهد الدكتور بريمووز :

يشهد أن الدم والماء عند طعن جنب يسوع بالرمح إنما كان بسبب الإرهاق العصبى للأوعية الدموية من جراء الضرب بالعصى الغليظة ، وهو ما يعتبر علامة مؤكدة تدل على أنه كان حياً .

٣٠ ـ تنبأ عيسى أن معجزته ستكون مثل معجزة يونان[١] :

وحسبما جاء بسفر يونان (بالعهد القديم) فإن يونان كان حياً بينما كان المتوقع أن يكون ميتاً . وبالمثل إذ يتوقع أن عيسى عليه السلام كان ميتاً (على الصليب ولدى دفنه) فإنه عليه السلام كان حياً .

---

(١) هو يونس عليه السلام لدى المسلمين (المترجم) .

هذه النقاط الثلاثون وقضايا أخرى كثيرة تم عرضها وبسطها على الصفحات السابقة من هذا الكتاب . أرجو أن يقرأها القارىء الكريم وأن يعيد قراءتها مع من يشاء ، وأرجو أن تتحقق له فائدة الاستمتاع وأدعو الله أن يتحقق لك فيها النجاح (١) .

* * *

دليل من المزامير يثبت نجاة عيسى عليه السلام :

يقول المزمور رقم ٢٠ : (الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه يستجيبه من سماء قدسه بجبروت خلاص يمينه) .

وإنجيل يوحنا يحدثنا بما يطابق ذلك إذ عندما دخل اليهود على المسيح للقبض عليه .. سألهم من تطلبون فقالوا يسوع .. فقال لهم أنا هو .. وكرر الإجابة عندئذ رجعوا إلى الوراء ، وسقطوا على الأرض وفى هذه اللحظة رفع الله نبيه وألقى شبهه على تلميذه الخائن يهوذا ، فلما أفاق اليهود من سقطتهم لم يجدوا أمامهم سوى يهوذا فساقوه إلى الذبح .

هذه الحادثة يؤكدها ماروته الأناجيل مراراً من قدرة عيسى على التخفى .

وها هو لوقا يحدثنا عن إحدى المرات التى لم يستطع فيها اثنان من المقربين التعرف عليه رغم مقابلتهما له فى الطريق إلى عمواس وتحدثه إليهما . ويقول لوقا : (ولكن أمسكت عيونهما عن معرفته) .

وكذلك تروى الأناجيل كثيراً من المحاولات التى حاول فيها اليهود القبض على عيسى أو التخلص منه ولكنه كان فى كل مرة يختفى منهم رغم التفافهم حوله .

اقرأ ذلك فى يوحنا ٧ : ٢٧ ـ ٣٠ .

يوحنا : ١٨ : ٤٣ ـ ٤٤ .

يوحنا : ٨ : ٥٩ ، ١٠ : ٢٩ .

---

(١) ويورد المؤلف فى بقية الصفحة الحادية والثانين صورة فوتوغرافية لما نشرته جريدة « ديلى نيوز » بتاريخ ٣ يناير ١٩٨٤ م عن تحرك كفن وتحرك جثة السيد بارناباس عند إنزاله إلى القبر فى بلدة نيروبى من جراء كثرة شرب الخمر (المترجم) .

١٩ ـ أسئلة موجهة للنصارى

قول النصارى إن قتل المسيح كان للتكفير عن الخطيئة يرد عليه قول التوراة : « يقول الله تعالى لقابيل قاتل هابيل : إن أحسنت يقبل الله منك وإن لم تحسن فإن الخطيئة رابضة ببابك ، وفى بعض النبوات لا آخذ الولد بخطيئة الوالد ولا الوالد بخطيئة الولد ، طهارة الطاهر تكون له . وخطيئة الخاطىء تكون عليه » . [الأجوبة الفاخرة ص : ٣٠٢] .

يقال للنصارى : من كان يقوم برزق الأنام والانعام فى أيام صلب المسيح ودفنه ثلاثة أيام ؟.

وهل دفنت الكلمة بدفنه وقتلت بقتله أم خذلته وهربت مع التلاميذ ، فإن دفنت فإن الغير الذى وسع الكلمة عظيم ، وإن أسلمته وذهبت فكيف أمكنت المفارقة بعد الاتحاد والازدواج [الأجوبة الفاخرة ص : ٣٠٣] .

س : يقال للنصارى : إماتة المسيح عليه السلام حكمة أو سفه فإن قالوا حكمة لزمهم الثناء على اليهود بالخير ، لاعانتهم على الحكمة وفعلهم لها . وإن قالوا سفه نسبوا الرب تعالى إلى السفه وهو كفر .

[الأجوبة الفاخرة ص ٣٠٣]

س : قالوا المسيح عليه السلام مات ثم عاش .. فنقول لهم : من أحياه ؟ فإن قالوا وهو حى لزم تحصيل الحاصل ، وإن قالوا وهو ميت لزمهم المحال .. لأن الخالق للحياة لا يمكن أن يكون ميتاً .. وإن قالوا أحياه غيره وهو الذى أماته لزمهم أن يكون المسيح عليه السلام عارياً عن الربوبية وهو المطلوب . [الأجوبة الفاخرة ص ٣٠٣] .

* * *

٢٠ ـ الرد على شبهة

بعض المبشرين المسيحيين يقول لعامة المسلمين إن المسيح رفع إلى السماء ونبيكم دفن فى الأرض ، بذلك يكون المسيح أفضل من محمد نبيكم .. والجواب على ذلك :

١ ـ نسألهم : هل تفضلون عيسى على الملائكة ..؟ فيقولون نعم فنقول لهم كيف والملائكة موجودون فى السماء قبل أن يولد المسيح وبعد ولادته وحينما كان عيسى (عليه السلام) على الأرض يبلغ رسالة ربه .

٢ ـ الطيور تطير فى الأجواء ليلًا ونهاراً بينما الإنسان عيسى على الأرض فهل العصافير مثلًا أفضل من الإنسان ؟ .

٣ ـ الحباب يعلو سطح الماء بينما اللآلىء تكون فى أعماق البحار .

٤ ـ إيليا صعد إلى السماء فى مركبة من نار ـ وتلميذه اليشع رآه كذلك [1] والمسيح نفسه (عليه السلام) ذكر لليهود أن إيليا قد جاء ثانية فى صورة (يحيى) [2] .

والمناقشة هنا : إيليا صعد إلى السماء فى مركبة ثم نزل منها فى صورة يحيى وكان إنساناً ولم يكن إلهاً .

● هذا ولابد أن نشير هنا إلى بعض المغالطات بل بعض الضلالات التى أطلقها قسيس مصرى وترد عليها وهى قوله أن القرآن الكريم قد أشار إلى ألوهية عيسى وذلك عند حديثه عن ميلاده فى سورة مريم حيث ذكر على لسان المسيح : ﴿ **والسلام عليَّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً** ﴾. فزعم القسيس أن هذه الآية تشهد بألوهية المسيح نظراً لأن نفس السورة أشارت إلى قصة (يحيى) وذكرت أن الله تعالى قال فى حقه : ﴿ **وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً** ﴾. فقال القسيس إن قصة (يحيى عليه السلام) بما أنها تضمنت سلام الله عليه ، بينما كان السلام من المسيح على نفسه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيًّا . فهذا يدل على ألوهية المسيح بما أنه سلَّم على نفسه فدل ذلك على أنه إله ، لأن الإله سلم على يحيى .. فهو هو في الحالتين (أى هو الله نفسه الذى سلم فى الحالتين فى صورة المسيح) .

---

(١) انظر : سفر الملوك فقرتا ١ ، ١٢ .
(٢) انظر : سفر اليشع ، وانظر كذلك محاورة اليهود للمسيح .. فى الأناجيل .

والرد على ذلك الضلال هو أن المسيح إنما سلم على نفسه فى هذه المواقف الثلاثة لأنه بسببها صار إلهاً لدى أتباعه من بعده بسبب مولده العذراوى الإعجازى وبسبب اللغط الذى رأيناه حول قصة صلبه (المزعوم) وبسبب دعوى قيامته من الأموات ،، المسيح هنا سلم على نفسه لكى يسلمه الله من هذا اللغط وذلك إشارة منه إلى تبرؤه من هذه الادعاءات كلها . وبالنسبة لسيدنا يحيى عليه السلام لم يكن هناك ضلال بسبب ميلاده ولا بسبب موته .. فاقتضى ذلك أن يسلم الله تعالى عليه مباشرة ، وأيضاً لأن ميلاد يحيى كان على كبر من أبيه ولأن يحيى قتل ولأن يحيى كان شديداً صارماً .

* * *

الباب الثالث

العقيدة النصرانية

مقدمة :

يعتقد النصارى فى وجود آلهة ثلاثة هم : الأب ، الابن الروح القدس وأن كل واحد منهم إله كامل ومستقل عن الآخرين وأن سبب التثليث هو أن الإله يحب نفسه ليكون سعيداً ، والمحبة تقتضى محبوباً ، فكان ذلك المحبوب هو الإله الابن (المسيح عيسى بن مريم) ولكن كان لابد من أن تؤتى المحبة المتبادلة بين اثنين ثمرتها ، فكان الروح القدس ، فالثلاثة آلهة ، ولكن هذه العقيدة اصطدمت بتصريح التوراة (والنصارى يؤمنون بها) بأن الله واحد ، عندئذ قالوا : التثليث فيه توحيد ، أو تثليث فى توحيد وتوحيد فى تثليث حتى يجمعوا بين ما ورد فى كلام التوراة وما وصل إليهم من تعاليم وجدوها فى الأناجيل المتداولة بينهم معتبرين إياها من إلهام المسيح لكاتبيها .

والإله الأول (الأب) هو الأصل ، والإله الثانى (الابن) فرع منه ، بحكم أنه ابن ، والثالث (الروح القدس) نتيجة .

فلنناقش هذه العقيدة ، بعد أن نعرضها مشروحة من خلال كلامهم هم :

وما يقوله النصارى من أن الأب والابن والروح القدس آلهة ثلاثة وكل منها إله كامل ومستقل عن الآخر ، وكل منها له ذاته التى يستقل بها عن الآخرين ، ومن أجل ذلك يطلقون عليها اسم الأقانيم الثلاثة ، ومعنى كلمة أقنوم : ذات مشخصة مستقلة بحسب معنى الكلمة اليونانى .

وحينئذ فلا معنى لأن يقولوا بعد ذلك أن الثلاثة صاروا واحداً أو أن الواحد صار ثلاثة ، مع بقاء الاستقلال لكل واحد منهم .

فهذه ورطة شنيعة لم يستطيعوا الخروج منها فلجأوا إلى القول بأنها من الأسرار العليا فى العقيدة وأن عليهم التسليم بها كما جاءت ، لأنهم هكذا تسلموها من الآباء (أى هم مقلدون فيها لآبائهم) !! .

ثم يلزمهم أيضاً بناء على هذا أن يكون الإله الابن ليس إلهاً كاملًا وكذلك الروح القدس ، لأن كلا منهما استمد وجوده من غيره ، فالإله الابن استمد وجوده من الإله الأب ، وكذلك الروح القدس استمد وجوده من غيره ، وقد اختلفوا هم فى تحديد الجهة التى استمد منها الروح القدس وجوده ، أهى الأب وحده أم الأب والابن معاً ، على تفصيل سيأتى فى محله هنا عند كلامنا على فرق النصارى .

وكذلك يترتب على قولهم بألوهية الابن وألوهية الروح القدس أن يكون كل منهما إلهاً غير كامل ، لأنه ليس قديماً قدم الأب ، لأن الابن بحكم كونه ابناً لابد وأن يكون مجيئه متأخراً عن الأب ، وما يقولونه من أنه قديم مثل الأب يكون من لغو القول ولا يؤبه له ، إذ كيف يكون ابناً مولوداً من الأب على حد زعمهم ثم يكون قديماً قدم الأب نفسه وفى منزلته ؟! .

وكذلك الشأن فى الروح القدس فإنه هو الآخر لا يكون قديماً ، بل محدثاً ، وقل مثل ذلك فى احتياج كل منهما لغيره وعدم قيامه بنفسه مما يخالف صفة الألوهية ، لأن الابن محتاج فى وجوده إلى الأب وكذلك الروح القدس محتاج فى وجوده إلى الأب والابن أو الأب فقط على خلاف فى ذلك عندهم .

ثم إذا كان الأب قديماً ومثله الابن فلماذا جعلنا واحداً منهما الأب والآخر الابن ، لم لا يكون الأمر بالعكس ؟.

وكيف يكون الابن إلهاً كاملًا (وهم يقصدون بالابن يسوع المسيح عيسى بن مريم) مع أنه هو نفسه نفى عن نفسه صفة العلم الشامل الذى يليق بالإله بحيث قال لتلاميذه إن علم الساعة لا يعلمه أحد أبداً إلا الله وحتى الملائكة لا يعلمونه ، فكيف يكون ذلك إلهاً ؟ وكذلك نفى عن نفسه القدرة على فعل المعجزات من نفسه هو قائلًا : إن كل ما أقوله لكم أو أفعله إنما هو من الأب الذى أرسلنى .

هذه كلها نقائص لا تليق بالإله ، والمسيح نفسه يعرف من نفسه أنه ليس بإله ، وصريح قوله فى كتبهم ناطق بهذا ، وسنورده مع الرد عليه بعد أن نعرض لجملة معتقداتهم الإيمانية .

٢ ـ عقائد النصـــارى

يعتقد النصارى بضرورة الإيمان بهذه الأشياء الثلاثة من كل من يريد أن يكون نصرانياً ، وهذه الأشياء الثلاثة هى :

١ ـ الإيمان بالتثليث : أى أن هنالك آلهة ثلاثة هى : الأب والابن والروح القدس وهى التى شرحنا أمرها منذ قليل وقلنا إن مرادهم من الابن هو المسيح عيسى بن مريم (عليه السلام) .

٢ ـ كذلك يعتقدون أو يوجبون الاعتقاد على كل من يريد أن يكون نصرانياً بأن يقر ويعترف صراحة بصلب المسيح وموته مقتولًا على الصليب وأن ذلك كان للتكفير عن الخطيئة الموروثة عن آدم أبى البشر (عليه السلام) حيث أكل من الشجرة ، فعصى بذلك الأمر الإلهى له بعدم الأكل منها ، وبذلك لزمته الخطيئة وصارت تجرى فى دمه حتى بعد إخراجه من الجنة بسببها وإهباطه إلى الأرض ، فإن ذلك لم يكن كافياً فى عقابه أو فى التكفير عنها ، ولذلك يقولون : (إن الله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً) ظل يتفكر مدة طويلة من الزمان (حددوها بأربعة آلاف عام) ماذا يفعل فى هذه المشكلة ؟ أيغفر لآدم أم يعاقبه ؟ إنه إن غفر له فإن صفة العدل لا تكون قد تحققت وهى لا تتحقق إلا بأن يعاقب العاصى على معصيته والمخطىء على خطئه ، فتنازعت الصفتان العدل والرحمة ، ولما لم يكن التوفيق بينهما مستطاعاً جاء الحل فى نهاية هذه المدة الطويلة التى ظل الله فيها متحيراً (على زعمهم) فكان أن أرسل ابنه يسوع المسيح ليصلب بواسطة اليهود تكفيراً عن هذه الخطيئة بعد أن يكون فى صورة إنسان ، ويقولون : إن هذا كان هو الحل العادل والوحيد أمام الله (سبحانه وتعالى عما يصفون علواً كبيراً) ثم يشرحون ذلك بأن التكفير عن الخطيئة لا يكون من آدم لأنه عاص بل ولا يكون من الملائكة لأنهم لا ذنب لهم ، ولا من البهائم لأنهم لا ذنب لهم فكان من الحكمة أن يرسل الله ابنه بدلًا عن آدم ليكفر ويضحى بنفسه عن خطيئة آدم ، فيقال لهم : وما ذنبه هو الآخر ؟! ثم ما هى الحكمة فى أن يضحى بابنه ولا يغفر أو لا يعاقب العاصى نفسه ، ثم متى إذن تفعل صفة الرحمة ؟!.

الخلاصة أن عقيدة صلب المسيح : هى من الأسس الضرورية للإيمان عندهم .

٣ ـ العقيدة الثالثة : هى ضرورة الإيمان بأن المسيح هو الذى سيعاقب الناس .

وهم يشرحون ذلك بقولهم بأن المسيح (عليه السلام) بعد صلبه وموته على الصليب ودفنه فى القبر قام من الأموات (وذلك على النحو الذى سبق أن ذكرناه سابقاً) وأنه بعد قيامته ذهب بسرعة إلى جهنم وأخرج منها الأنبياء السابقين جميعاً وأممهم ، لأنهم دخلوها بحكم أنهم ما كانوا مؤمنين به ولا بصلبه .. إلخ فعرض عليهم نفسه وأفهمهم من يكون هو ، فمن آمن منهم أخرجه من جهنم ومن لم يؤمن به من المخلوقات السابقة على نزوله الأرض ظلوا فى جهنم كما هم ، ثم هو بعد خروجه من جهنم وظهوره أمام أتباعه (كما سبق أن ذكرنا) صعد إلى السماء وجلس على يمين أبيه الذى فوَّض إليه أمر محاسبة الناس ، لأن المسيح بعد صعوده إلى السماء توجه إلى أبيه قائلًا : سلِّم لى نفسك لأنتقم منك ، لأنك حكمت بموتى على الصليب دون وجه حق ، وأنت قلت فى كلامك لموسى (من قتل يقتل) وها أنت قتلتنى فسلِّم لى نفسك لأقتلك ، فقال له الأب ألا يكفيك أن تكون أنت المسئول عن محاسبة الناس ... ؟) فرضى بذلك وهو الآن منتظر على يمين أبيه .

هذه العقيدة لابد منها عند النصارى .

هذه الأمور الثلاثة : هى أركان الإيمان عندهم ، يتبعها أمور ثلاثة أو أربعة أخرى تسمى شعائر الإيمان ، أى علامات تدل على أن فاعلها نصرانى ، وهى تأتى بعد الإيمان ، إذ الإيمان بالثلاثة المتقدم ذكرها هو الأساس ، والشعائر تأتى بعده فماهى هذه الشعائر ؟ .

وقبل شرحها : نحب أن نوجه للنصارى هذا السؤال وهو :

س : نقول للنصارى إن زعمتم أن معبودكم ثلاثة أقانيم : الوجود الحياة ـ العلم أو الكلام : على اختلافهم فى الدليل على الحصر فى ثلاثة ، ولعله أربعة ، والرابع هو القدرة لأنها التى بها ظهرت العدالة ، أوخمسة هو الإرادة لأنها القضاء والقدر التى بها تخصيص المصنوعات وترتيب الموجودات وهى القاهرة المقدسة على جميع الإرادات أو ستة والسادس هو البصر فإنه إدراك وعلم أخص مما ذكرتموه من العلم ، فكل بصر علم ، وليس كل علم بصرا .

فهذه الصفات كلها ثابتة لله فى التوراة والإنجيل أو سبعة أو عشرة آلاف ألف ، ولا يلزمنا بيان ذلك بل عليهم الدليل فى حصر ما ذكروه ، ولن يقدروا عليه أبداً . [الأجوبة الفاخرة ص ٣١٨] .

* * *

٣ ـ فصل فى بطلان كون الثلاثة إلهاً واحداً

قال النصارى : والثلاثة أسماء هى إله واحد ورب واحد وخالق واحد ومسمى واحد لم يزل ولا يزال شيئـاً حياً ناطقاً أى الذات والنطق والحياة .

فالذات عندنا : الأب الذى هو ابتداء الاثنين .

والنطق : الابن الذى هو مولود منه كولادة النطق من العقل .

والحياة : هى الروح القدس .

والجواب عن هذا من وجوه :

الأول : أن أسماء الله تعالى متعددة كثيرة ، فإنه : ﴿ **هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم * هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر * سبحان الله عما يشركون * هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم** ﴾ [سورة الحشر آية : ٢٢ ـ ٢٤] .

وإذا كانت أسماء الله كثيرة كالعزيز والقدير وغيرها فالاقتصار على ثلاثة أسماء دون غيرها باطل ، أى شىء زعم الزاعم فى اختصاص هذه الأسماء دون غيرها فهو باطل .

الوجه الثانى : قولهم الأب الذى هو ابتداء الاثنين والابن ، النطق الذى هو مولود منه ، فولادة النطق من العقل كلام باطل ، فإن صفات الكمال لازمة لذات الرب عز وجل أولًا وآخراً ، لم يزل ولا يزال حياً عالماً قادراً ، لم يصر حياً بعد إن لم يكن حياً ولا عالماً ، بعد أن لم يكن عالماً .

* * *

الوجه الثالث : إن قولهم فى الابن أنه مولود من الله إن أرادوا به أنه صفة لازمة له ، فكذلك الحياة صفة لازمة لله ، فيكون روح القدس أيضاً ابناً ثانياً وإن أرادوا به أنه حصل منه ، بعد أن لم يكن ، لزوم أن يكون عالماً بعد أن لم يكن عالماً ، وهذا مع كونه باطلًا وكفراً فيلزم مثله فى الحياة وهو أنه صار حياً بعد أن لم يكن .

الوجه الرابع : إن تسمية حياة الله روح القدس أمر لم ينطق به شيء من كتب الله المنزلة ، فإطلاق روح القدس على حياة الله من تبديلهم وتحريفهم .

الوجه الخامس : أنهم يدعون أن المتحد بالمسيح هو الكلمة الذى هو العلم ؟ وهذا إن أرادوا به نفس الذات العالمة الناطقة كان المسيح هو الأب ، وكان المسيح نفسه هو الأب وهو الابن وهو روح القدس وهذا عندهم وعند جميع الناس باطل وكفر .

وإن قالوا : المتحد به هو العلم ، فالعلم صفة لا تفارق العالم ، ولا تفارق الصفة الأخرى التى هى حياة ، فيمتنع أن يتخذ به العلم دون الذات ودون الحياة .

الوجه السادس : أن العلم أيضاً صفة والصفة لا تخلق ولا ترزق والمسيح نفسه ليس هو صفة قائمة بغيرها باتفاق العقلاء ، وأيضاً فهو عندهم خالق السموات والأرض فامتنع أن يكون المتحد به صفة ، فإن الإله المعبود هو الإله الحى العالم القادر ، وليس هو نفس الحياة ، ولا نفس العلم ، والكلام فلو قال قائل : يا حياة الله ، أو يا علم الله ، أو يا كلام الله اغفر لى ، وارحمنى واهدنى كان هذا باطلًا فى صريح العقل ، ولهذا لم يجز أحد من أهل الملل أن يقال للتوراة أو الإنجيل وغير ذلك من كلام الله اغفر لى وارحمنى .

والمسيح عليه السلام عندكم هو الإله الخالق الذى يقال له اغفر لنا وارحمنا ، فلو كان هو نفس علم الله ، وكلامه لم يجز أن يكون إلهاً معبوداً ، فكيف إذا لم يكن هو نفس علم الله وكلامه ، بل هو مخلوق بكلامه حيث قال له كن فيكون (١) .

---

(١) ابن تيمية الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ٢ طبعة المدنى القاهرة ص ١١٢ .

٤ ـ فصل فى معنى روح القدس

روح القدس يراد به الملك الذى يرسله الله للأنبياء بالوحى وهو جبريل عليه السلام .

وما يدعيه النصارى من كونه إلهاً أى أحد الآلهة الثلاثة عندهم ، باطل ، وإضافة كلمة روح الله فى قولنا روح الله أو روح منه .. فى وصف المسيح لا يدل أدنى دلالة على أن المسيح إله ، بدليل أننا نقول : ناقة الله وبيت الله وعباد الله فالإضافة لله فى هذه كلها للتشريف .

وقد ذكر الله تعالى تأييد عيسى بن مريم بروح القدس فى عدة مواضع منها قوله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ **ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس** ﴾.. إلى غير ذلك من آيات أخرى .

والقرآن نزل به الروح القدس : كما دل عليه قوله تعالى : ﴿ **وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون * قل نزله روح القدس من ربك بالحق** ﴾

[سورة النحل آية رقم : ١٠١ ـ ١٠٢]

وقال تعالى : ﴿ **نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين** ﴾ [سورة الشعراء : ١٩٣ ، ١٩٤] .

فروح القدس الذى نزل بالقرآن من الله هو الروح الأمين وهو جبريل عليه السلام .

وثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة أنه سمع النبى ﷺ يقول لحسان ابن ثابت ـ رضى الله عنه : « **أجب عنى ، اللهم أيده بروح القدس** » وفى صحيح مسلم وغيره عن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت النبى ﷺ يقول لحسان بن ثابت رضى الله عنه : « **إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله** » (١) .

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح ج ٢ طبعة القاهرة ص ١٢١ مع بعض تصرف .

فهذا حسان بن ثابت واحد من المؤمنين لما نافح عن الله ورسوله ، وهجا المشركين الذين يكذبون الرسول أيده الله بروح القدس وهو جبريل عليه السلام ، وأهل الأرض يعلمون أن محمداً ﷺ لم يكن يجعل اللاهوت متحداً بناسوت حسان بن ثابت ، فعلم أن إخباره بأن الله أيده بروح القدس لا يقضى اتحاد اللاهوت بالناسوت ، وعلم أيضاً أن التأييد بروح القدس ليس من خصائص المسيح ، وأهل الكتاب يقرون بذلك ، وأن غيره من الأنبياء كان مؤيداً بروح القدس كداود عليه السلام وغيره ،والحواريون عندهم يقولون إنهم كانوا مؤيدين بروح القدس ، وقد ثبت باتفاق المسلمين واليهود والنصارى أن روح القدس يكون فى غير المسيح ، بل فى غير الأنبياء .

[الجواب الصحيح : ج ١ ، ص ٢٥٦]

٥ ـ فصـــل

التأييد بروح القدس لمن ينصر الرسل عام فى كل من نصرهم على من خالفهم من المشركين وأهل الكتاب ، وليس فى القرآن ولا فى الإنجيل ولا غير ذلك من كتب الأنبياء أن روح القدس الذى أيد به المسيح هو صفة الله القائمة به وهى حياته ولا أن روح القدس يخلق ويرزق فليس روح القدس هى الله ولا صفة من صفات الله . بل ليس شىء من كلام الأنبياء أن صفة الله القائمة به تسمى ابناً ولا روح القدس .

فإذا تأول النصارى قول المسيح عمِّدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس على أن الابن صفته التى هى العلم ، وروح القدس صفته التى هى الحياة ، كان هذا كذباً بيناً على المسيح ، ولا يوجد قط فى كلامه ولا كلام غيره من الأنبياء تسمية الله ، ولا شىء من صفاته ابناً ولا حياته روح القدس (١) .

---

(١) الجواب الصحيح ط ١ ص ٢٥٧ .

٦ ـ فصل فى معنى : ﴿ فنفخنا فيه من روحنا ﴾

هذا الكلام جاء فى سياق قصة مريم أن المسيح ،وأن الملاك نفخ فى فرجها لكى تحمل بعيسى والآية بتمامها هى : ﴿ **ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدَّقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين** ﴾ (١) وفى آية أخرى : ﴿ **والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين** ﴾ (٢) .

يريد النصارى أن يستدلوا منها على أن المسيح ما دام جاء نتيجة نفخ روح من الله أخذا من لفظة (روحنا) فيكون إذن ابن الله .

ولكن هذا خطأ لأن آدم عليه السلام قال الله تعالى فى شأنه فى القرآن الكريم أيضاً : ﴿ **فإذا سويته ونفخت فيه من روحى ...** ﴾ (٣) وقد شبه المسيح بآدم فى قوله : ﴿ **إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون** ﴾ (٤) .

* * *

٧ ـ فصل فى أن لفظ الابن وروح القدس قد جاء فى حق غير المسيح عند النصارى حتى الحواريين عندهم

فقد روى الحواريون أن المسيح قال لهم : إن الله أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم ويقولون إن روح القدس يحل فيهم .

وفيما عندهم من التوراة أن الرب قال لموسى : اذهب إلى فرعون ، فقل له : يقول لك الرب إسرائيل ابنى بكرى أرسله يعبدنى ، فإن أبيت أن ترسل ابنى بكرى قتلت ابنك بكرك .

---

(١) سورة التحريم الآية : ١٢ .
(٢) سورة الأنبياء آية : ٩١ .
(٣) سورة الحجر آية : ٢٩ .
(٤) سورة آل عمران آية : ٥٩ .

وفى مزامير داود (عليه السلام) يقول : أنت ابنى سلنى أعطك .

وفى الإنجيل عن المسيح (عليه السلام) (أنا ذاهب إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم) .

وقال : إذا صليتم فقولوا : يا أبانا الذى فى السماء ليتقدس اسمك .. إلخ .

ويقولون عن القديسين إن روح القدس يحل فيهم وكذلك حلّت فى داود وغيره من الأنبياء بل عندهم إن الله يحل فى الصديقين كلهم [1] .

* * *

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح ج ٣ ص ١٩٦/١٩٧ .

الباب الرابع

شعائر المسيحية

شعائر المسيحية ثلاث أو أربع على رأى البعض وهى :

١ ـ العماد : أو التعميد .

٢ ـ العشاء الربانى .

٣ ـ تقديس الصليب .

٤ـ الاعتراف بالذنوب أمام القسيس . (عند بعض الفرق) .

فلنذكر كلمة عن كل :

١ ـ المقصود بالعماد أو التعميد : [**Pabtism.**] غسل الجسم بماء مخصوص فى الكنيسة بواسطة القسيس وهو مـاء وضع فيه ملح كثير ومادة البليسان المستخرجة من نبات بهذا الاسم ، وفائدة الملح والبليسان هى حفظ الماء مالحاً لمدة طويلة دون أن يفسد .

هذا الماء موجود فى بئر داخل الكنيسة (أو فى حوض) يأخذ منها القسيس كمية يقرأ عليها أدعية ويرش بها جسم من يريد الدخول فى النصرانية (وبعض المذاهب عندهم يشترط ضرورة الاستحمام فى هذا الماء) .

ويقول القسيس عند إجراء هذه العملية : عمدتك باسم الأب والابن والروح القدس ، ولذلك يغسل الجسم ثلاث مرات أو يرشه بالماء ثلاث مرات بعد أن يعترف الشخص صراحة بإيمانه بالعقيدة السابق ذكرها ، وهذا التعميد يفعله كل الناس ، والأفضل أن يكون فى الصغر ، وبعض الناس يؤجله إلى فترة كبيرة متأخرة من العمر ، لأن من يتعمد يلزمه بعد ذلك الاستقامة والبعد عن المعاصى ، هذا هو المفروض ، فمن خشى الوقوع فى المعاصى فإنه يؤجل العماد إلى ما بعد الصغر ، هذا إذا لم يكن قد عمد وهو صغير .

أما الأطفال فيعمدهم آباؤهم وينطقون بدلًا عنهم بكلمات الإيمان ، والشخص الذى يحمل الطفل فى الكنيسة ويقدمه للقسيس ليرش عليه الماء أو يغطسه فى الحوض ، هذا الشخص يسمى الوالد الروحى للطفل وهو يكون محترماً لدى الطفل بعد أن يكبر أكثر من احترامه لأبيه الذى ينسب إليه .

وهذه الشعيرة أخذها النصارى من عادات اليهود ، فقد كان يوحنا المعمدان (وهو سيدنا يحيى بن سيدنا زكريا عليهم السلام) يعمِّد الناس فى نهر الأردن ، والمسيح نفسه اعتمد منه ، ومن أجل ذلك سمِّى سيدنا يحيى باسم يوحنا المعمدان .

وبما أنه يهودى ويعمد اليهود ، والمسيح نفسه يهودى قبل أن يقوم بدعوته . لذلك صارت شعيرة عند النصارى .

٢ ـ أما العشاء الربانى

ويسمى التقدمة أيضاً وهم يقصدون به أن يعطى القسيس قطعة من الخبز (من نوع خاص) وقليلًا من الخمر (أو الماء إذا لم يوجد الخمر) للشخص النصرانى ويكون ذلك بمثابة أكل جسد المسيح وشرب دمه ، حتى يصبح الآكل والشارب مسيحياً خالصاً ، لأن المسيح بذلك يكون قد دخل فى جسمه وتخلل دمه تماماً ، فيصبح مماثلًا للمسيح .

هذه الأشياء قالت بعض الأناجيل أن المسيح (عليه السلام) فعلها مع تلاميذه ، على هذا النحو وبهذا المعنى ، فصارت شعيرة ضرورية عندهم ، لكن طائفة البروتستانت تعارض هذا معارضة شديدة ، وتتهكم عليه فى سخرية مرة قائلة : كيف يتحول الخبز إلى جسد المسيح والخمر إلى دمه ، والمسيح واحد ، وقطع الخبز التى توزع على الناس عددها لا يحصى لكثرته ، وكذلك قطرات الخمر فعلى هذا يكون المسيح ملايين المسحاء ، أم كيف يتفرق على هؤلاء المؤمنين به العاملين بهذه الشعيرة ؟! ثم يقول أصحاب هذا الرأى أن المسيح فعل ذلك مع تلاميذه لمجرد الذكرى فقط ، لكن ليس مطلوباً عملها بعده .

* * *

٣ ـ تقديس الصليب

وتقديس الصليب يكون بواسطة حمله أو رسمه على صدورهم بإشارة من اليد يرسمون بها الصليب على صدورهم فى الهواء ، عندما يتذكرون أمراً هاماً أو يمرون بضائقة ، والذين يعلقون الصليب فى سلاسل على صدورهم ، كل أولئك إنما يرمزون به إلى تقديسهم للصليب الذى قد يكون مصنوعاً من الذهب أو الخشب أو من أى معدن آخر .

وهم يستندون فى هذا إلى عبارة ينسبونها للمسيح من أنه قال لرجل (احمل صليبك واتبعنى) وأيضاً فإن الصليب يذكرهم بصلب المسيح وما عاناه من آلام فى سبيل التكفير عن الخطيئة ، وأيضاً فإنه رمز للتضحية بالشهوات .

لكل هذه الأغراض تراهم يقدسون الصليب .

لكن التاريخ له رأى آخر ، وهو أن بدء تقديس النصارى للصليب كان أمراً مجهولاً فى القرون الثلاثة الأولى للمسيحية ، إذ لم يبدأ العمل به إلا فى القرن الرابع الميلادى فى عصر الامبراطور قسطنطين الرومانى الذى تنصر وناصر المسيحية ، وهذا ما يقوله التاريخ (١) .

فلو كان المسيح صلب أو حتى لو كان النصارى بعده فى مدة القرون الثلاثة الأولى يعرفون أن تقديس الصليب مطلوب منهم ، فلماذا لم يفعلوه ؟.

الحقيقة أن الصليب نفسه كان أمراً معروفاً لدى الرومان قبل مجىء المسيح ، إذ كان الحكم بالإعدام ينفذ عندهم بوضع المحكوم عليه على الصليب .

٤ ـ الاعتراف أمام القسيس بالخطايا

هذه أيضاً تعتبرها بعض طوائف وفرق النصارى أمراً لازماً ، وشعيرة

---

(١) محمد جابر الحينى : (الدكتور) : فى العقائد والأديان ـ الديانات الكبرى المعاصرة ـ القاهرة سنة ١٩٧١ ـ ص ٢٦٣ .

من شعائرهم ، ولكن بعض الفرق لا يأخذ بهذا ، لما فى ذلك من حدوث منكرات يقشعر لها البدن بسبب ما حدث من اعتداء منكر على بعض النساء اللاتى جئن للاعتراف، أمام القسيس ، والقصص فى هذا كثيرة ، وأمر ذلك معلوم للمسيحيين ، وفى أوربا هذا أمر يقع أمام أعينهم وفى أحيان كثيرة تكتب عنها الصحف .

والأهم من هذا هو صحة المبدأ نفسه أى هل صحيح أن القسيس يغفر الخطايا أم أنه هو نفسه محتاج إلى من يغفر له الخطايا ، وهو الله تعالى نفسه ، فلماذا إذن نترك اللجوء إلى الله نفسه مباشرة (سبحانه) ونذهب إلى بشر مثلنا ؟ .

هذا هو السؤال الذى يجب أن يقال هنا ، وهو ما فعلته الطائفة التى تنكر هذه الشعيرة .

* * *

٥ ـ تعقيب على ما تقدم من كلام عن عقائد النصارى

ما قدمناه من كلام عن عقائد النصارى فى التثليث (بما فى ذلك ألوهية المسيح) والصلب ومحاسبة الناس ، هل هو الكلمة النهائية فى كتب النصارى والدين الحق الذى جاء به يسوع المسيح عيسى بن مريم ؟ أم أن للموضوع وجهاً آخر ؟ .

الإجابة عن هذا السؤال نأخذها من كتبهم أنفسهم وهى تشهد بأن للموضوع وجهاً آخر ، فمثلًا ألوهية المسيح والتثليث يوجد فى نصوص كتبهم أدلة كثيرة تقول بالعكس ، أى أن الله واحد ولا شريك له وأن المسيح رسول بشر مثل سائر إخوانه من الرسل الذين أرسلهم الله تعالى لهداية البشر ، وهذا جرياً على سنته من إرسال رسول للناس من الناس ، منهم أنفسهم ، وليس ملاكاً من السماء فضلًا عن إله .

كذلك يوجد فى كتب النصارى نصوص تدل على أن المسيح لن ينال منه أعداؤه وأنهم لن يستطيعوا الوصول إليه ، وفى هذا رد على الصلب .

وإليك تفصيل ذلك :

* * *

٦ ـ نصوص من كتب النصارى تثبت التوحيد الصريح

يوجد فى الأناجيل كثير من النصوص التى تصرح بأن الله تعالى واحد ولا شريك له ، وأنه أرسل يسوع المسيح لهداية الناس إلى ذلك ، وسنذكر هنا بعض الأمثلة المأخوذة من الأناجيل نفسها ليقف عليها القارىء وكل ذى مسحة من عقل ويقول برأيه فيها ، ثم نعقب ذلك بالشبه التى يستندون إليها مع الرد عليها .

أولًا : الآيات التى تثبت أن الله تعالى واحد :

فى إنجيل يوحنا الذى كانت افتتاحيته مصدر جدل كثير ، إذ هى تصرح بألوهية الكلمة والنصارى فسروها على أن الكلمة هى المسيح فيكون بذلك إلهاً ، بناء على هذا النص الذى أورده يوحنا فى مفتتح إنجيله ويقول فيه : (فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله ، هذا كان فى البدء عند الله ، كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان) .. إلخ .

وسنعود إلى إلقاء الضوء على هذا النص وغيره فيما بعد .

ولكن إذا عرفنا أن نفس هذا الإنجيل قد أورد آيات أخرى تصرح بالتوحيد ، وأن التوحيد هو دين الله الحق الذى جاء به كل الأنبياء والرسل ، كان معنى ذلك ـ الذى لا معنى غيره ـ وجوب تأويل هذه الآية التى أوردها يوحنا فى مفتتح إنجيله لمصادمتها للحقائق المسلّم بها ، وإليك طائفة من النصوص تثبت أن الله واحد ، أوردها يوحنا وغيره من أصحاب الأناجيل :

١ ـ قال يوحنا[١] ص ١٧ (عدد ٣) أن المسيح (عليه السلام) قال : (وهذه الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ، والذى أرسلته يسوع المسيح) .

٢ ـ يوحنا ص ٨ (٤٠) : (ولكنكم تطلبون أن تقتلونى وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله) .

٣ ـ متى ص ٩ : « فلما رأى الجموع تعجبوا ومجدوا الله الذى

---

(١) نود أن نعيد هنا ما قلناه سابقاً من أن (ص) هى اختصار للفظة إصحاح .

أعطى الناس سلطاناً مثل هذا » والكلام هنا إشارة إلى معجزات المسيح فى شفاء المرضى .

٤ ـ متى : ص ١١ (٢٥) : (أحمدك أيها الأب رب السماء والأرض ، لأنك أخفيت هذه عن الحكماء) الإشارة هنا إلى المعجزات التى لم يفهم مغزاها الناس .

٥ ـ متى ص ١٢ (عدد ٢٨) : (أنا بروح الله أخرج الشياطين) .

٦ ـ متى ص ١٠ (عدد ٢-٢) : (من يعترف بى قدام الناس ، أعترف أنا أيضاً به قدام أبى الذى فى السموات) .

٧ ـ متى ص ١٩ (١٦) : (وإذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح ، فقال له (أى المسيح) : لماذا تدعونى صالحاً ، ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله) .

٨ ـ متى ص ٢٢ (٢٧ ـ ٢٩) : (يا معلم أية وصية هى العظمى فى الناموس ؟ فقال له يسوع : تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك) .

٩ ـ متى ص ٢٣ (٩) : (وأما أنتم فلا تدعو سيدى ، لأن معلمكم واحد ، المسيح وأنتم جميعاً إخوة ، (**ولا تدعو لكم أباً لأن أباكم واحد الذى فى السموات**) .

١٠ ـ متى ص ٢٦ (٣٩) : (ثم تقدم ـ أى المسيح ـ قليلًا وخرَّ على وجهه ، وكان يصلى قائلًا : يا أبتاه : إن أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس ، ولكن ليس كما أريد أنا ، بل كما تريد أنت) فنفى أن يكون له إرادة مع الله ، وسيأتى تفسير معنى يا أبتاه .

١١ ـ مرقس ص ١٢ (٢٩) : (فأجابه يسوع : إن أول كل الوصايا اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد) فقال له الكاتب جيد يا معلم بالحق قلت لأنه الله واحد وليس آخر سواه) .

١٢ ـ لوقا ص ٦ (١٢) : (وقضى ـ أى المسيح ـ الليل كله فى الصلاة لله) .

١٣ ـ لوقا ص ١٨ (١٨) : (ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله) .

١٤ ـ يوحنا ص ٨ (٤٠) : (الآن تطلبون أن تقتلونى وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله) .

نعتقد بعد هذا أن الأمر واضح وهو شهادة هذه النصوص بأن المسيح كان يعترف بأن الله واحد ، ويبقى بعد ذلك أن ننظر فى النصوص الأخرى التى تقول بغير ذلك .

٧ ـ النصوص الدالة على أن المسيح إنسان وأنه مرسل إلى الناس من الله

ذكر يوحنا فى إنجيله النصوص الآتية : وهى كلها تثبت أن المسيح عيسى بن مريم بشر رسول من الله إلى الناس مثل سائر الرسل ، وفيها أكبر رد على ما يزعم من ألوهيته ، استناداً إلى بعض نصوص وردت عند يوحنا نفسه .

١ ـ قال يوحنا فى إصحاح ١، عدد ٥١ : (من الآن ترون السماء مفتوحة ، وملائكة السماء يصعدون ، وينزلون على ابن الإنسان وليس ابناً لله ولا هو الله .

٢ ـ يوحنا (إصحاح) ٤ عدد ٦ : (يسوع قد تعب من السفر) ، ومحال أن يتعب الله الذى بقوته قامت السموات والأرض وما فيها .

٣ ـ يوحنا ص ٢ (٦) : (فجاؤا إلى يوحنا المعمدان وقالوا له : يا معلم هو الذى كان معك فى عبر الأردن ، الذى أنت قد شهدت له هو يعمد والجميع يأتون إليه ، أجاب يوحنا وقال : لا يقدر إنسان أن يأخذ شيئاً إن لم يكن قد أعطى من السماء أنتم أنفسكم تشهدون لى أنى قلت : لست أنا المسيح بل إنى مرسل قدامه) .

فأنتم ترونه قد شهد على المسيح بأنه إنسان ، وأنه لا يقدر أن يأخذ شيئاً ، إن لم يكن قد أعطى من السماء ، وبأنه المسيح . وقال عنه فى (٣٠) : ينبغى أن ذلك يزيد وأنا أنقص ، ومعلوم أن الإله لا يزيد ولا ينقص .

٤ ـ يوحنا ص ٣ (٣٤) : (لأن الذى أرسله الله يتكلم بكلام الله ، لأنه ليس بكيل يعطى الله الروح) فإنتم ترون أن يحيى جعل المسيح رسولًا يتكلم بكلام الله .

٥ ــ يوحنا ص ٤ (٣٤) قال لهم يسوع : (طعامى أن أعمل مشيئة الذى أرسلنى وأتمم عمله) وهنا شهد بأنه رسول يعمل مشيئة الذى أرسله .

٦ ــ يوحنا ص ٤ (٤٤) : (لأن يسوع نفسه شهد أن ليس لنبى كرامة فى وطنه) وهذا صريح فى نبوته ، وأنه كسائر الأنبياء لا يلقون الكرامة فى أوطانهم وإنما يقوم بنصرهم البعداء .

٧ ــ يوحنا ص ٤ (١٩) : قالت له المرأة يا سيد أرى أنك نبى (٥٢) أنا أعلم أن مسيا الذى يقال له المسيح يأتى ،فمتى جاء ذلك يخبرنا بكل شيء قال لها يسوع : (أنا الذى يكلمك هو) وذلك يثبت أنه نبى وأنه المسيح الذى وعدوا به .

٨ ــ يوحنا ص ٥ (١٩) : (لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً إلا ما ينظر الأب يعمل) وهذا مثل ضربه لعلمه الذى يأتى به ، وأثبت به أنه لا يقدر أن يعمل عملاً إلا ما علّمه الله أن يعمله .

٩ ــ يوحنا ص ٥ (٢٤) : (الذى يرانى ويؤمن بالذى أرسلنى فله حياة أبدية) فاعترف بأنه يرى ، ومعلوم أن الله لا يرى واعترف بأنه رسول .

١٠ ــ يوحنا ص ٥ (٣٠) : (أنا لا أقدر أن أفعل من نفسى شيئاً ، لا أطلب مشيئتى ، بل مشيئة الأب ــ الذى أرسلنى) .

١١ ــ يوحنا ص ٥ (٤٤) : (وكيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجد بعضكم من بعض ، والمجد الذى من الإله الواحد لستم تقبلونه .

١٢ ــ يوحنا ص ٦ (١٤) : (إن هذا هو بالحقيقة النبى الآتى إلى العالم) .

١٣ ــ يوحنا ص ٦ (٢٩) : (أجاب يسوع وقال لهم : هذا هو عمل الله أن تؤمنوا بالذى هو أرسله) .

١٤ ــ يوحنا ص ٦ (٢٨) : (لأنى قد نزلت من السماء ، ليس لأعمل مشيئتى ، بل مشيئة الذى أرسلنى ، وهذه مشيئة الأب الذى

أرسلني ، إن كل ما أعطاني لا أتلف منه شيئاً ، بل أقيمه في اليوم الأخير ، لأن هذه هي مشيئة الله الذي أرسلني) .

١٥ ــ يوحنا ص ٦ (٤٤) : (لا يقدر أحد أن يقبل إلى أن لم يجتذبه الأب الذي أرسلني) ومعناه أن الهداية إنما تكون من الله ، وإني عبد رسول ليس لي من الأمر شيء .

١٦ ــ يوحنا ص ٧ (١٦ ــ ١٨) : (أجابهم يسوع وقال : تعليمي ليس لي ، بل للذي أرسلني ، إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم ، هل هو من الله أم أتكلم أنا من نفسي ، من يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه ، وأما من يطلب مجد الذي أرسله فهو صادق وليس فيه ظلم) .

١٧ ــ يوحنا ص ٧ (٢٨) : (فنادى يسوع وهو يعلم في الهيكل قائلاً : تعرفونني وتعرفون من أين أنا ، ومن نفسي لم آت بل الذي أرسلني هو حق) .

١٨ ــ يوحنا ص ٧ (٣٣) (فقال لهم يسوع أنا معكم زماناً يسيراً بعد ، ثم أمضي إلى الذي أرسلني) .

١٩ ــ يوحنا ص (٤٠) : (وكثير من الجمع لما سمعوا هذا الكلام قالوا : هذا بالحقيقة هو النبي ، آخرون قالوا : هذا هو المسيح) ، والمسيح لماذا لم يهدهم إلى الصواب بأنه الله أو ابن الله .

٢٠ ــ يوحنا ص ٧ (٥١) : فقس وانظر أنه لم يقم نبي من الجليل ، فرؤساء الكهنة والفريسيون ينكرون عليه ما يدعيه من أنه نبي .

٢١ ــ يوحنا ص ٨ (٢٦) : (الذي أرسلني هو حق وأنا ما سمعته منه فهذا أقوله للعالم) .

٢٢ ــ يوحنا ص ٢٨ (٨) : (ولست أفعل شيئاً من نفسي بل أتكلم بهذا كما علمني أبي والذي أرسلني هو معي) .

٢٣ ــ يوحنا ص ١١ (٢٤) : (ولكن لأجل هذا الجمع الواقف ، قلت ليؤمنوا أنك أرسلتني) .

٢٤ ــ يوحنا ص ١٢ (٤٨) : (أيها الأب : نجني من هذه الساعة) لاحظ هنا أنه يطلب النجاة ، والإله لابد وأن يكون تام القدرة ، ومن

العجز أن يطلب النجاة من سواه ، بل طالب النجاة مقر بالعبودية والافتقار إلى من ينجيه .

٢٥ ـ يوحنا ص ١٣ (٤٩) : (لم أتكلم من نفسى بل الأب الذى أرسلنى هو أعطانى وصية ماذا أقول ، وبماذا أتكلم) .

٢٦ ـ يوحنا ص ١٣ (١٦) : (ليس عبد أعظم من سيده ، ولا رسول أعظم من مرسله) .

٢٧ ـ يوحنا ص ١٤ (١٦) : (وأنا أطلب من الأب فيعطيكم (معزياً) آخر وفى النسخة المطبوعة فى لندن سنة ١٨٤٤ وأطلب من الأب فيعطيكم (فارقليطاً آخر) .

٢٨ ـ متى : ص ١٣ (٧٥) : (ليس نبى بلا كرامة إلا فى وطنه وفى بيته) يصف نفسه .

٢٩ ـ متى : ص ٢١ (١٠ ـ ١١) : (ولما دخل أورشاليم أى المسيح ارتجت المدينة كلها قائلة من هذا ؟ فقالت الجموع هذا يسوع النبى الذى من ناصرة الجليل) .

٣٠ ـ متى : ص ٢١ (٤٥) : (وإذا كانوا يطلبون أن يمسكوه خافوا من الجموع ، لأنه كان عندهم مثل نبى) .

٣١ ـ مرقس : ص ٩ (٣٧) : (ومن قبلنى فليس يقبلنى أنا بل الذى أرسلنى) .

٣٢ ـ لوقا : ص ٤ (٢٤) : (وقال ـ أى المسيح ـ الحق أقول لكم أنه ليس نبى مقبولًا فى وطنه) ، قال هذا رداً على من سأله أن يأتى بمعجزة .

٣٣ ـ لوقا ص ٤ (٤٣) : (فقال لهم ـ أى يسوع إنه ينبغى لى أن أبشر المدن الأخرى أيضاً بملكوت الله ، لأنى لهذا قد أرسلت) .

٣٤ ـ لوقا ص ٧ (١٦) : (فأخذ الجميع خوف ، ومجدوا الله قائلين : قد قام فينا نبى عظيم ، وافتقد الله شعبه) أى أراد الله خيراً بشعبه .

٣٥ ـ لوقا : ص ١٠ (١٦) (الذى يرذلكم يرذلنى ، والذى يرذلنى يرذل الذى أرسلنى) يكلم تلاميذه .

٣٦ ـ يوحنا : ص ٤ (٤٣) : (وبعد اليومين خرج من هناك ومضى إلى الجليل ، لأن يسوع نفسه شهد أن ليس لنبى كرامة فى وطنه) .

٨ ـ نفى الصلب من النصوص

٣٧ ـ يوحنا : ص ٧ (٢٣) : (فقال يسوع أنا معكم زماناً يسيراً بعد ، ثم أمضى إلى الذى أرسلنى ستطلبوننى ولا تجدوننى ، وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا) .

٣٨ ـ يوحنا : ص ١٦ (عدد ٩) : (لأنى ذاهب إلى أبى ولا تروننى أيضاً) .

٣٩ ـ يوحنا : ص ١٦ (١٦) : (بعد قليل لا تبصروننى ، ثم بعد قليل أيضاً تروننى لأننى ذاهب إلى الأب) .

٩ ـ المعجزات وكيف أنها بأمر الله

٤٠ ـ المسيح يصرح بأنه يفعل المعجزات بواسطة الروح القدس ، وهذا يتفق مع القرآن . انظر متى ١٢ (٢٨) : (ولكن إن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين) .

٤١ ـ يوحنا : ص ٥ (٣٠) : (أنا لا أقدر أن أفعل من نفسى شيئاً ، كما أسمع أدين ، (دينونتى عادلة ، لأنى لا أطلب مشيئتى بل مشيئة الأب الذى أرسلنى) .

٤٢ ـ يوحنا : ص ٦ (٤٠) : (لأن هذه مشيئة الذى أرسلنى) مشيراً إلى المعجزات .

١٠ ـ غفران الخطيئة

قد ورد فى سفر حزقيال ما يلى : (فإذا رجع الشرير من جميع خطاياه التى فعلها ، وحفظ كل فرائض ، وفعل حقاً وعدلًا ، فحياة يحيا ، لا يموت) [حزقيال : ١٨ : ٢١] .

وهذا يقضى بمحو خطيئة آدم عليه السلام .. وبما أن المسيحيين يؤمنون بحزقيال وبما جاء فى سفره .. فكان حقهم بناء على هذا أن لا يقولوا بوراثة الخطيئة .

الله تعالى عفا عن آدم وهذا هو نص من التوراة يقول لآدم فيه : (إنك يوم تأكل من هذه الشجرة ، موتاً تموت) فلولا عفو الله عنهما ، لكان الجزاء الواجب توقيعه عليهما فى الحال هو الموت ، ولكن الله قابل التوب ، وغافر الذنب قبل توبتهما وعفا عنهما .

وأيضاً فإن هناك نصاً آخر يقول : (وصنع الرب الإله لآدم وامرأته أقمصة من جلد وألبسهما) [تكوين ص ٣] .

فهذه الأقمصة كانت من جلود الكباش التى قدمت تكفيراً عنهما حتى لا ينفذ فيهما حكم الموت (١) .

أدلة أخـــرى :

تثبت عفو الله عن آدم وتؤكد بهتان فكرة توارث الإثم .

١ ـ الله تعالى تقبل من هابيل قربانه ، وسخط على أخيه قابيل فلم يتقبل قربانه .. لأنه كان مخلصاً لله .

فلو كان الله تعالى لم يعف عن آدم .. لكان جزاء ولديه واحداً ..

٢ ـ دليل آخر : هو إغراق الكافرين فى عهد نوح وإنجاء الأتقياء . [والقصة فى سفر التكوين ص ٦ ، ٧] .

وإذا افترضنا جدلًا أن الخطيئة كانت موجودة على عهد نوح (عليه السلام) .. فقد غرق كل العصاة ونجى الله كل المؤمنين وحينئذ لم يبق عاص ولا وارث خطيئة .

دليل آخـــر :

يقول الإسلام إن الله غفر لآدم (عليه السلام) وأن الناس يولدون على الفطرة (أى بلا ذنوب) .. وفى هذا يقول يسوع المسيح : (دعوا الأولاد يأتون إلىَّ ، ولا تمنعوهم ، لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات .. فوضع يديه عليهم ..) (٢) .

---

(١) باسيلوس إسحق : الحق ص ١٤٣ ، نقلًا عن مجدى مرجان : المسيح إنسان أم إله .. ص ١٦٣ .

(٢) متى : ١٩ : ١٤ ، ١٥ .

والقرآن يقول : ﴿ **فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾[سورة الروم آية : ٣٠] .

وفى مضمار عقيدة الكفارة : فإن الإسلام يدحض هذه العقيدة لقول الله تعالى : ﴿ **كل نفس بما كسبت رهينة** ﴾[سورة المدثر الآية : ٣٨] .

ويقول يسوع : (ولكن أقول لكم ، إن كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين لأنك بكلامك تتبرر وبكلامك تدان) . [متى ١٢ : ٣٦ ، ٣٧] .

وتؤكد التوراة هذه العقيدة بقولها : (كل إنسان بخطيئة يقتل) تثنية ٢٤ : ١٦ ويقول حزقيال : (النفس التى تخطىء تموت) .
[حزقيال ١٨ : ٢٠] .

١١ ـ الرد على ما يقوله المسيحيون ويتمسكون به

قالوا : المسيح إله حق من إله حق . [قانون الإيمان] .

والرد على ذلك ذكر فى كلامه الذى ورد منسوباً إليه فى كتبهم المقدسة وردت :

١ ـ الأقوال الآتية : قال مخاطباً الله تعالى :

(وهذه هى الحياة الأبدية ، أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ، والذى أرسلته يسوع المسيح) [يوحنا ١٧ : ٣] .

٢ ـ وقال : (الرب إلهنا رب واحد) [مرقس ١٢ : ٢٩] .

٣ ـ وقال مخاطباً تلاميذه : (ولا تدعوا لكم أباً على الأرض ، لأن أباكم واحد الذى فى السموات ، ولا تدعوا معلمين ، لأن معلمكم واحد ، يسوع المسيح) . [متى : ٢٣ : ٩] .

٤ ـ وقال مخاطباً اليهود : (ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلونى وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله) [يوحنا ٨ : ٤] .

٥ ـ وقال مخاطباً أحد الرؤساء : (لماذا تدعونى صالحاً ، ليس أحد صالحاً إلا واحداً وهو الله) [لوقا ١٨ : ١٩] .

إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة التى سبق ذكرها .

فأقواله هذه صريحة فى أن الإله الحقيقى واحد وهو الله تعالى .

وأنه محض إنسان مرسل من الله لهداية الناس كباقى الرسل لا غير ، وهى قليل من كثير ، وكلها كما ترى تنافى قولهم بألوهيته بالمرة .

التمسكات المسيحية :

الشبهة الأولى :

(١) مما يتمسكون به على ألوهيته واتحاده بالله وحلوله فيه ، قوله : (أنا والأب واحد) ، (الذى رآنى فقد رأى الأب ، أنا فى الأب ، والأب فىَّ) .

الـــرد :

(أ) وهذا ليس بشىء ، لأنه من مجاز القول الواجب التأويل لمعارضته بما مرَّ من أقواله الصريحة فى أنه إنسان مرسل من الله لا غير ، وبديهى أن المرسِل غير المرسَل يقيناً ، ولاستحالته عقلاً .

إذا المسيح جسم والجسم مركب والمركب مسبوق بعدم التركيب والمسبوق بالعدم حادث ، والحادث مفتقر إلى محدث ، والمفتقر للغير ليس بإله قطعاً .

أما الحلول والاتحاد فمستحيلان بالنسبة لذات البارى ـ تقدست أسماؤه ـ إذ لو حل فى شىء لكان مفتقراً إليه ، والمفتقر لا يكون إلهاً كما تقدم ، ولو اتحد به لكان مماثلاً له ، ومماثل الحادث حادث ،والحادث لا يكون إلهاً ، كما مر .

وإنما هى وحدة الطاعة فقط ، أى أن من أطاعه فقد أطاع الله كما بيَّن هو نفسه هذا المعنى بقوله : « الذى يقبلنى يقبل الذى أرسلنى » [يوحنا] .

وكما ترسل ابنك لواحد من الناس لغرض فيقول له أرسل أباك فيجيبه : أنا وأبى واحد ، وكما تقول لمن تحققت محبته أنا وأنت واحد .

(ب) ولو أخذنا بظاهر الألفاظ وأغفلنا النظر عن تدبر معانيها الحقة ، لقلنا بألوهية التلاميذ أيضاً لقول المسيح :

(ليكون الجميع واحداً ، كما أنك أيها الأب فيّ وأنا فيك ، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا ، ليؤمن العالم أنك أرسلتنى ، وأنا قد أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى ليكونوا واحداً ، كما أننا نحن واحد أنا فيهم ، وأنت فيَّ ، ليكونوا مكملين إلى واحد ، وليعلم العالم أنك أرسلتنى وأحببتهم كما أحببتنى) [يوحنا ١٧ : ١٧ - ٢٣] .

وعلى هذا فهم مساوون له تماماً ، أفهم آلهة مثله أم ذلك تخصيص بدون مخصص ؟ .

الشبهة الثانية :

٢ - ويتمسكون على أنه ابن الله بما ورد فى الإنجيل من تسميته بالابن الحبيب ، والابن الوحيد .

(أ) هذه الألفاظ وألفاظ غيرها واردة لشرف وعظم المقول فيهم ليس إلا . قال المسيح نفسه : طوبى لصانعى السلام لأنهم أبناء الله يُدْعَوْن . [متى : ٥ : ٩] .

وقال لتلاميذه : « كونوا كاملين ، كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل » [متى ٥ : ٤٨] .

فأطلق على صانعى السلام وكاملى الإيمان أنهم أبناء الله تعظيماً لشأنهم ، كما مر ، وأيضاً فقد ورد فى الإنجيل أن آدم ابن الله [لوقا ٣ : ٣٨] .

فهو بذلك أجْدر حيث أنه لا أب له ولا أم ، ومعنى أجدر (أحق) .

(ب) - ورد فى التوراة أن إسرائيل (يعقوب) ابن الله البكر . [خروج ٤ ، ٢٢ - ٢٣] .

ودعى داود أيضاً بالابن البكر : [مزمور ٨٩ : ٢٠ - ٢٧] .

ودعى (أفرا) أيضاً بالابن البكر . [أرميا ٣١ : ٩] .

وبما أن البكر لا يتعدد ، فقد دل ذلك على تكريم وتعظيم المقول فيهم ذلك كما تقدم .

وعلى هذا فيكون الأب بمعنى الله ، والابن بمعنى الرجل البار ، وقد بين المسيح نفسه ذلك هذا المعنى فى خطاب التلاميذ : (وإنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم) [يوحنا ٢٠ : ١٧] .

فها هو قد فسَّر الأب بالإله كما أوضحنا ، وسوى بينه وبين التلاميذ ، كما ترى ، أفهم أبناء الله أيضاً ؟ أم ذلك ترجيح بلا مرجح ؟ أم هو للتعظيم كما قلنا .

الشبهة الثالثة :

٣ ـ واستدلوا على أنه الأبدى بقوله ـ عليه السلام ـ (قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن) [يوحنا ٨ : ٥٨] .

الـــرد :

وليس هذا بشيء أيضاً ، لأن هذه القبلية أما أن تكون بالروح أو بالجسد أو بهما معاً . أما الثانى والثالث فممتنعان قطعاً ، لاستحالة أن يسبق المعدوم الموجود ، وأما الأول فيستوى فيه المسيح وغيره من سائر الناس ، لأن الأرواح جميعها مخلوقة قبل الأجسام بأزمان طويلة ، ولولا ذلك لما ساغ له أن يعبر هذا التعبير ، وعليه يكون فى كلامه حذف تقديره : قبل أن يكون إبراهيم بالجسد أنا كائن بالروح ، وهذا لا شيء فيه ، بل هو الواجب المتعين ، ومنه قوله للأبرار :

(تعالوا يا مباركى أبى : رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم) . [متى ٢٥ : ٣٤] .

فلو لم تكن أرواحهم موجودة وقتئذ ، لما أعد لهم شيء من ذلك أصلًا ، وهل يعد للمعدوم شيء .

ومثل ذلك ما نقوله نحن المسلمين عن النبى ﷺ فى إحدى الروايات عنه : « **كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد** » أى كنت بالروح نبياً وآدم لم يخلق بعد .

الشبهة الرابعة :

٤ ـ كذلك تمسكوا أيضاً بقول يوحنا فى بداية إنجيله :

(فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله) وبقوله بعد ذلك : (والكلمة صار جسداً) .

الـــرد :

لأن الكلمة هى الأمر الإلهى (كن) الذى به كان كل شىء وبغيره لم يكن شىء مما كان (بكلمة الله صنعت السموات وبنسمة فيه كل جنودها) [مزمور ٢٣ : ٦] .

(والكلمة كان عند الله) أى كان أزلًا وأبداً موصوفاً بها ، فهى من صفاته الأزلية (وكان الكلمة الله) فيه حذف المضاف ـ وهو سائغ ـ أى وكان رب الكلمة الله ، فهو صاحب الأمر والنهى على الإطلاق .

وقوله بعد (والكلمة صار جسداً) فيه حذف المضاف أيضاً أى وأثر الكلمة صار جسداً ، قال الله : (لتخرج الأرض ذوات أنفس حيَّة كجنسها بهائم ودبابات ووحوش أرض كأجناسها ، وكان ذلك) .
[تكوين ١ : ٢٤] .

فالكلمة إذن هى الأمر الإلهى لا المسيح نفسه ، كما هو ظاهر فى قوله : (لتخرج الأرض) ، وعلى هذا فالمعنى صحيح ، وهو ما يجب حمل الآية عليه .

أما لو حملناها على ظاهرها وقلنا إن الكلمة هى الله كما هو منطوقها ، وأضفنا لهذا قوله بعد (والكلمة صار جسداً) لاستحال ذلك ، لأن صيرورة الله جسداً محال ، لتنزهه عن التغير ، إذ المتغير حادث لا محالة . ولصارت الآية ـ والعياذ بالله ـ مختلة المبنى ، ركيكة المعنى بل لا معنى لها أصلًا .

لأننا لو قرأناها مفسرة أى بجعل الكلمة الله كقول يوحنا نفسه لكان منطوقها : (فى البدء كان الله ، والله كان عند الله وكان الله الله) وأى معنى لهذا ؟! .

وأيضاً فالآية لا ذكر فيها للمسيح رأساً ، فمن أين لنا الاستدلال بها على ذلك .

⁂ ⁂ ⁂

الألفاظ التى تمسك بها المسيحيون فى دعواهم ألوهية المسيح والرد عليها

(أ) لفظ ابن الله .

(ب) لفظ الأب .

(ج) لفظ الإله .

(د) لفظ الرب .

قالوا إن المسيح أطلق على نفسه إنه ابن الله ، وابن الإله لابد أن يكون إلهاً ..

والرد على ذلك :

(أ) أنه استعمل إلى جانب لفظ ابن الله ـ ابن الإنسان وابن داود واصفاً بذلك نفسه . فلابد إذن من التطبيق .

وأيضاً لا يصح أن يكون لفظ ابن بمعناه الحقيقى .. لأنه يترتب عليه وجود تولد من نطفة أبوين . وهو هنا محال .. فلابد من حمله على المعنى المجازى .. وهو هنا بمعنى الصالح .

كذلك ورد إطلاق لفظ ابن الله على آدم ويعقوب وداود وسليمان : وهذا ما صرحت به كتبهم (١) كما أطلق هذا اللفظ أيضاً على شعب بنى إسرائيل .

كما أطلق أيضاً على المؤمنين من أتباع نوح عليه السلام ، وعلى أتباع المسيح نفسه .

---

(١) انظر فى إطلاق لفظ ابن على آدم : لوقا إصحاح ٣ : ٣٨ .
وعلى إسرائيل : الخروج ٤ : ٢٢ .
وعلى داود : مزمور ٢ : ٧ ، مزمور ٨٩ : ٢٧ .
وعلى سليمان : صموئيل الثانى : صح ٧ : ١٤ .
وعلى شعب إسرائيل : أشعياء ص ١ : ١٢ ، ٦٣ : ٨ .
هوشع ١ : ١٠ وتثنية : ١٤ : ١ ، ٢ .

ومعنى ذلك كله أن البنوة أطلقت على هؤلاء بمعنى الطاعة .. والبعد عن الخطايا .. فقد كانوا فى الزمن الأول يسمون المؤمن الطائع ابن الله ، كما هو الواضح من نصوص التوراة (١) فلا بأس من أن يطلق هذا اللفظ على المسيح بهذا المعنى والإلزام أن يكون جميع المؤمنين أبناء الله حقيقة كالمسيح إذ صرح بقوله : كونوا أبناء الله (٢) .

ويرد ابن القيم على من يدلل بلفظ ابن الله على الألوهية فيقول : (إن قلتم إنما جعلناه إلهاً لأنه سمى نفسه ابن الله فى غير موضع من الإنجيل فاجعلوا أنفسكم كلكم آلهة) (٣) .

* * *

يسوع المسيح ابن الله :

بالمعنى الذى أطلق على الأبرار من البشر بأنهم أبناء الله ، وهذا المعنى أشار إليه يوحنا فى إنجيله قائلًا : (وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أى المؤمنون باسمه) [يوحنا : ١ : ١٢] .

(انظروا أية محبة أعطانا الأب حتى ندعى أولاد الله) .
[رسالة يوحنا الأول ٣ : ١]

وقال بولس : (لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله) [رومية ٨ : ١٤] .

وقال المسيح نفسه فى عظته على الجبل : (طوبى لصانعى السلام ، لأنهم أبناء الله يدعون) [متى : ٥ : ٩] .

ومعنى هذا أن إطلاق ابن الله على المسيح يكون مجازاً وليس حقيقة .

* * *

---

(١) انظر تكوين ١ ، ٢ .
(٢) متى ٥ : ٩ ، ٥ : ٤٥ ويوحنا : ٣ : ٩ .
(٣) هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى ص ٢٨٠ ، نشر المكتبة العلمية ١٣٩٩ هـ .

(ب) لفظ الأب :

ورد ذكر الأب مضافاً إلى المسيح ، فاستدل بذلك المسيحيون على أن الله هو أب للمسيح وأنه ابنه وبينهما علاقة خاصة جعلته إلهاً حقاً من إله حق .

والرد على ذلك هو : إن لفظة أب قد أضيفت إلى غير المسيح فقد ورد فى سفر أرمياء : (لأنى صرت لإسرائيل أباً) (١) وقال الله عن سليمان (أنا أكون له أباً) (٢) والنصوص السابق ذكرها عن نبوة الأنبياء وغيرهم لله ثبت أن أبناء الله هؤلاء كان الله لهم أبا.

وقد ورد فى نصوص الأناجيل إطلاق لفظ أبيكم على الله فى خطابه التلاميذ وغيرهم .. مثل (إنى ذاهب إلى أبى وأبيكم) .

(كونوا كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل) (٣) .

(ليس لكم أجر عند أبيكم الذى فى السموات) (٤) .

والمراد من إطلاق هذا اللفظ على هؤلاء هو أن الله تعالى يحسن لخلقه إحسان الآباء للأبناء بل أشد ، وهذا مشترك بين عيسى وغيره (٥) .

وقد يضاف لفظ الابن والأب إلى شيء له مناسبة ما بمعناها الحقيقى كإطلاق لفظ أبى الكذب على الشيطان وأبناء جهنم ، وأولاد أورشاليم على اليهود .. فى كلام المسيح (ص ٨٣ من إنجيل متى) وإطلاق أبناء الدهر على أهل الدنيا وأبناء الله وأبناء القيامة على أهل الجنة .

[لوقا : ٣٠ : ٣٧]

---

(١) أرمياء ٣١ : ٩ .
(٢) صاموئيل الثانى ٧ : ١٤ .
(٣) متى : ص ٥ : ٤٨ .
(٤) متى : ص ٦ : ١ .
(٥) القرافى : الأجوبة الفاخرة فى الرد على الأسئلة الفاجرة : طبع على هامش كتاب الفارق ص ١٤٢ ، وقام بتحقيقه د . بكر زكى عوض ونشره عام ١٩٨٦ م .

(ج) **لفظ إله :**

أطلق فى الكتب المقدسة على بعض الأنبياء على سبيل المجاز تعبيراً عن قربهم من الله كسائر أنبياء الله الصالحين والبشر المؤمنين .

اقرأ ذلك فى إنجيل يوحنا ص ٢٠ : ١٨ .

وفى مزمور ٨٢: ١ .

وفى سفر الخروج إصحاح ٤ وإصحاح ٧ .

ومزامير ٨٢ : ٦ ـ ٧ .

وعيسى يرد على اليهود .. مشيراً إلى استعماله المجاز كما فى كتبهم .. [يوحنا ص ١٠ : ٣٤ ـ ٣٦] .

ولما ورد إطلاق لفظ الإله على المسيح فى كتبهم ظنوا ذلك دليلًا قاطعاً على ألوهيته والحقيقة أن لفظ إله له معنى آخر يختلف تماماً عما يظنون .

فقد أطلق على سيدنا موسى (عليه السلام) (قال الرب لموسى انظر : أنا جعلتك إلهاً لفرعون) (١) .

وقال له عن هارون (وهو يكلم الشعب عنك وهو يكون لك فما ، وأنت تكون له إلهاً ...) (٢) .

فإن معنى هذا الإطلاق : السيد ـ والرئيس .. فإذا أطلق على المسيح فيكون له نفس المعنى .

(د) **لفظ رب :**

استعمال كلمة رب فى زمن المسيح بمعنى يا معلم : وهو نفسه قد سمع الناس من تلاميذه يطلقون عليه هذا اللقب .. [انظر متى ص ١٦ : ٢٢ ـ ٢٣] .
[يوحنا ص ١ : ٣٨ ـ ٣٩ ، ٣٠ : ١٦ ـ ١٧] .

وأيضاً فإن الوصف بـ (رب) كان يستعمله اليونانيون كثيراً فى مخاطبة العظماء من البشر .

بل لقد ورد فى التوراة نفسها بمعنى سيد أو عائل .

---

(١) الخروج : ٧ : ١ .
(٢) خرج : ٤ : ١٦ ، ١٧ .

يوسف يقول : ﴿ إنه ربى أحسن مثواى ﴾.

ونحن نقول رب الأسرة .. رب الدار .

كذلك وجد فى كتبهم إطلاق لفظ الرب على المسيح فاعتقدوا بألوهيته .

والحقيقة أن لهذا اللفظ استعمالًا آخر . فقد ورد فى كتبهم أن المسيح قال لتلميذين يتبعانه : (ماذا تطلبان ؟ فقالا ربى الذى تفسيره يا معلم أين تمكث ؟) (١) .

وورد أيضاً أن بطرس قال للمسيح (حاشاك) يارب لا يكون هذا) (٢) . كذلك ورد أن مريم المجدلية قالت له عندما رأته : (ربونى الذى تفسيره يا معلم) (٣) .

بل إن هذه اللفظة (رب) كانت تستعمل للامبراطور فى كل أنحاء الامبراطورية الرومانية . كما كانت تستعمل لملوك اليهود .. كما كانت أيضاً لقباً من ألقاب الكرامة خلع على كثير من أديان الوثنية وبخاصة آلهة أديان الأسرار ولذلك أطلق هذا اللفظ على يسوع بواسطة الجماعات الأممية الناطقة باليونانية وهو نفس الوصف الذى خلعوه على آلهتهم قبل أن يعتنقوا المسيحية إذ كان من الهين عليهم أن يقبلوا هذا اللقب الذى كان مألوفاً لديهم (٤) .

بل ولماذا نذهب بعيداً فإن لفظة رب تستعمل مضافة إلى شىء . مثل رب الدار ورب الأسرة .. بمعنى رئيسها ، وفى الأناجيل أطلقت على المسيح بمعنى معلم .. كما سبق القول .

---

(١) يوحنا : ١ : ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ .

(٢) متى : ١٦ : ٢١ ، ٢٢ .

(٣) يوحنا : ١ ـ ٢ : ١٦ ـ ١٨ .

(٤) من هو المسيح ترجمة حبيب سعيد ص ٤٩ ، نقلًا عن مجدى مرجان : المسيح إنسان أم إله ـ ص : ١٩٥ . ١٩٦ . وانظر أيضاً : فتحى محمد الزغبى : غلاة الشيعة القاهرة ، طبعة أولى ١٩٨٨ ، ص ٤٨٤ .

وعلى ذلك فلا حجة للمسيحيين فى أخذ هذا اللفظ على أنه دليل على ألوهية المسيح .

١٢ ـ أمثلة من تأليه البشر

الناس فى كل زمان يقدسون ويؤلهون الحكماء والقادة فيهم ، فعلوا ذلك مع بوذا فى الهند ، ومع الحكيم كونفوشيوس فى الصين ومع زرادشت فى فارس ومع برومثيوس فى اليونان ، ومع الآلاف غيرهم فى مختلف الأزمان والبقاع .

وبالمثل قدس الناس بولس وبرنابا وظنوهما إلهين لمجرد أن شفى بولس رجلًا عاجز الرجلين فى بلدة لستره [انظر : أعمال الرسل ص ١٤ : ١١ ـ ٣] .

وربما يقال هنا إن هذه شهادة بصدق بولس فى دعواه أن المسيح ابن الله ، وأنه صلب تكفيراً عن الخطيئة .. والحقيقة أن هذا الاحتمال ليس وارداً هنا ، لأن من كلام المسيح نفسه نعرف الرد حيث يقول ما معناه لا تصدقوا من يدعون إلى عبادة غير الله حتى وإن أتوكم بمعجزات .

١٣ ـ نصوص ترد على القول بأن المسيح ابن الله تعالى الله عن ذلك

١ ـ الرد نأخذه من أن الأناجيل وصفت كثيراً من الأنبياء بأنهم أبناء الله .

ـ فآدم وصف بأنه ابن الله [لوقا ٣٨/٣] .

ـ ويعقوب وصف فى التوراة بأنه ابن الله البكر .

[سفر الخروج ٢٢/٤٥ ـ ٢٣] .

ـ البشر العاديون وصفوا بأنهم أبناء الله .

جاء فى التوراة : (أنتم أولاد الرب إلهكم) [سفر التثنية ١/١٤] .

٢ ـ وصف الصالحون وصانعو السلام بأنهم أبناء الله :

(طوبى لصانعى السلام ، فإنهم أبناء الله يدعون) .

[متى إصحاح ٥ عدد ١٠] .

٣ ـ يوحنا يقول : (كل من يؤمن بأن يسوع هو المسيح ، فقد ولد

من الله ، وكل من يحب الوالد يحب المولود منه أيضاً ، وبهذا نعرف أننا نحب أولاد الله ، إذا أحببنا الله) .

ـ البنوة هنا معناها : المحبة ، ويدل على ذلك قول لوقا :

(إن الله مسحنى وأرسلنى وأنا عبد الله ، وإنما أعبد الله الواحد ليوم الخلاص) [لوقا : ٤ : ١٨ وهو مأخوذ بمعناه من إصحاح ٦١ من سفر أشعياء] .

ونقول لهم : (إن الله عز وجل ما أكل ولا يأكل وما شرب ولا يشرب ولم ينم ولا ينام ولا ولد له ولا يولد ولا رآه أحد ولا يراه أحد إلا مات) .

وهذا المعنى فى الإصحاح الأول من إنجيل يوحنا : (الله لم يره أحد قط) وفى ناموس موسى أن الله لا يراه أحد [خروج ٣٣ : ٢٠] وفى سفر أشعياء ورد : « أنت محتجب يا إله إسرائيل » [أشعياء ٤٥ : ١٥] .

وفى سفر أشعياء (إله الدهر الرب خالق أطراف الأرض لا يكل ولا يعيا ، ليس عن فهمه فحص) [أشعياء ٤٠ : ٢٨] وقد اعترف المسيح بأنه غير ناسخ للتوراة ، وبناء على اعترافه فكل ما فى التوراة عبد الله وصفاته ملزم للنصارى تمام الإلزام .

١٤ ـ شهادة بطرس

يقول بطرس وهو صاحب مكانة جليلة بين حواريى المسيح عليه السلام مخاطباً اليهود ذات مرة :

« أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال لأن معلمكم واحد المسيح الناصرى ، رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب ، وآيات صنعها الله بيده فى وسطكم ، كما أنتم أيضاً تعلمون » (١) .

وليلاحظ هنا أن هذا الخطاب ألقاه صاحبه من أجل دعوة اليهود إلى الدين المسيحى ، فلئن كانت عقيدة التثليث وعقيدة الحلول والتجسد عقيدتين أساسيتين للمسيحية ، لكان واجباً على (بطرس) أن يعبر عن يسوع الناصرى بـ (أقنوم الله) لا بـ (رجل) وأن يقول أنه (الله) مكان أن يقول (من قبل الله) وأن يفسر أمامهم عقيدتى (التثليث)

(١) أعمال : ٢ : ٢٢ .

و (التجسد) ويقول أيضاً فى مناسبة أخرى :

(إن إله إبراهيم وإسحق ويعقوب ، إله آبائنا مجد فتاه) (١) .

١٥ ـ ردود على شبهات أوغسطينوس الفيلسوف

المثال الذى ضربه أوغسطينوس للتثليث وأنه فى النهاية واحد وهو مثال الدماغ : العالم والمعلوم وأداة العلم .

ـ الرد عليه هو أن التثليث هنا اعتبارى محض ، فى حين أن التثليث عند النصارى حقيقى : أى الأب ذات حقيقية مستقلة وكذلك الابن وكذلك الروح القدس .

ثم عندما ولدت مريم هل ولدت الثلاثة أم الابن المسيح فقط ؟ .

أنتم تقولون المسيح فقط . فكيف استقل الابن عن الاثنين الآخرين ؟ .

ثم عندما صلب بيلاطس الشخص الذى صلبه هل صلب الوحدة الثالوثية ؟ أم الابن وحده ؟ الجواب تقولون الابن وحده فكيف انفصل عن الآخرين مع أنكم تقولون إنهم وحدة واحدة (٢) .

مثال آخر ضربه أوغسطينوس .. والرد عليه :

قال أوغسطينوس فى بيان الوحدة فى التثليث .. إن دماغ الإنسان يحب عمله ، وهو يعلم هذا الحب ، إذاً فإنه محب بالنسبة إلى عمله وعالم بالإضافة إلى حبه : أى أن الدماغ .. بالنسبة إلى علمه .. محب .

والدماغ .. بالنسبة إلى حبه .. عالم .

وعلى ذلك فوجدت هناك ثلاثة أشياء : الدماغ ، المحب ، العالم .. والثلاثة واحدة .

---

(١) أعمال ٣ : ١٣ .

(٢) محمد تقى العثمانى : ما هى النصرانية : طبعة رابطة العالم الإسلامى بدون تاريخ ـ طبع فى نيويورك ١٩٤٨ م ص ٥٢/٥٣ نقلًا عن مجموع مقالات أغسطينوس .

لكن هذا المثال كذلك يقوم على سوء الفهم .. لأن الدماغ ذات والمحب والعالم صفتاها اللتان ليس لهما وجود مستقل ، وبالعكس من ذلك فإن الأب عند المسيحية هو الذات والكلمة (الابن) والمحب (روح القدس) صفتاها اللتان لهما وجود جوهرى ، حقيقى مستقل ، إذاً فإن الوحدة فى مثال الدماغ حقيقية والتعدد اعتبارى ، وذلك ممكن تماماً .

ـ أما عقيدة التثليث فقد جاءت فيها دعوى التعدد الحقيقى (التثليث) مع الوحدة الحقيقية وذلك مستحيل عقلًا (١) .

ـ ومن هذا القبيل أيضاً نذكر هنا ما يردده بعض قساوسة مصر فى معرض جدلهم مع العامة لإثبات صحة التثليث قائلين لهم : (الحبل المتلوت أقوى حبل) يريدون بذلك أن الحبل ذا الثلاثة فروع المجدولة معاً يكون أقوى من الحبل المفرد . ولكن فاتهم أن هذا التشبيه فاسد ، وذلك لأن مقام الألوهية ليس مقام حبل ، وإذا كان هذا مقام الألوهية عندهم فانظر إلى أى درك أسفل انحطوا (!!) ومع ذلك يرد عليهم بأن الإله بحكم كونه إلهاً لا يمكن أن يوصف بالضعف حتى يحتاج أن يتقوى بواحد أو باثنين ، وإلا فلماذا لا يقولون بالآلهة الأربع أو الخمس ، أو الأكثر حتى يكونوا معاً أقوى من الواحد .. ومن الثلاثة أيضاً ؟! .

١٦ ـ الرد على شبهاتهم التى استندوا إليها فى المعجزات وبنوا عليها قولهم بأن المسيح إله

١ ـ قالوا جعلناه إلهاً : لعجب مولده فى كونه من غير أب .

الـــرد :

أن ذلك ليس بأعجب من آدم الذى خلق من غير أب ولا أم ، ولا أعجب من الملائكة ، وليس واحداً من هؤلاء بإله .. عندكم أيضاً ، فلماذا يكون عيسى إلهاً ؟.

٢ ـ وإن قلتم إن عيسى إله لأجل الآيات الخارقة التى ظهرت على يديه .

---

(١) محمد تقى العثمانى ـ المصدر السابق ص ٥٤/٥٥ .

فالرد هو أن علماءكم يعلمون أن اليشع النبى ـ عليه السلام ـ أحيا ميتاً فى حياته ، وميتاً بعد وفاته ، والمتصرف بمعجزات الأحياء بعد موته أعجب منها قبل الموت (١) .

والياس النبى عليه السلام أحيا ميتاً أيضاً وبارك فى دقيق العجوز ودهنها فلم يفرغ ما فى جرابها من الدقيق وما فى قارورتها من الدهن سبعة أعوام ، وسأل الله تعالى أن يمسك المطر سبعة أعوام فأجاب الله دعاءه .

٣ ـ وإن قلتم إن عيسى أطعم من خمسة أرغفة خمسة آلاف نسمة إنسان .

فالرد : هو أن موسى ـ كليم الله ـ عليه السلام ـ سأل الله العظيم لقومه ، فأطعمهم المن والسلوى أربعين سنة وعددهم أزيد من ستمائة ألف نسمة .

٤ ـ وإن كان عيسى مشى على البحر ولم يغرق فيه ـ فإن موسى ـ عليه السلام ـ ضرب البحر بعصاه فانفلق وصار فيه طرق عبر منها جميع قومه وأتبعهم فرعون بجنوده فغرقوا كلهم . ثم فجَّر من صخرة أثنتى عشرة عيناً ، لكل سبط من بنى إسرائيل عين ، وضرب لأهل مصر عشر آيات من عجائب العذاب :

١ ـ العصا ومعجزاتها معلومة .

٢ ـ نتن مياههم وموت ما فيها من الحيوان .

٣ ـ إرسال الضفادع عليهم حتى امتلأت بها منازلهم .

٤ ـ تسليط القمَّل على أجسادهم .

٥ ـ إرسال أنواع الدبان عليهم .

٦ ـ إهلاك بهائمهم .

٧ ـ خروج القروح من أجسامهم .

---

(١) لأن القبر الذى دفن فيه اليشع ، بعد ذلك بزمان ، أراد الناس دفن إنسان آخر فمست جثته عظام اليشع فقام هذا الميت حياً .

٨ ـ نزول البرد عليهم حتى فسدت أشجارهم .

٩ ـ إرسال الجراد على جميع بلادهم .

١٠ ـ ما غشاهم من الظلمة ثلاثة أيام ولياليها .

٥ ـ وإن قلتم إن عيسى كان إلهاً بنفسه لأنه صعد إلى السماء :

فالــــرد :

هو أنكم تؤمنون بأن إلياس وإدريس ـــ عليهما السلام ـــ قد صعدا إلى السماء بلا خلاف عندكم ، فلماذا لم يكونا إلهين فى اعتقادكم ؟ وكذا ـ أيونا الإنجيلى ـ صعد إلى السماء بنص التوراة وإجماع علمائكم .

٦ ـ وإن قلتم إن عيسى ادعى الألوهية لنفسه فلذلك جعلتموه إلهاً ؟ ،

فالرد :

هذا كذب منكم ، وفى أناجيلكم ما يرد عليكم فيه ، لأن فى الإنجيل الذى بأيديكم أنه ـ حين صلب قال : ايلى ايلى لم شبقتنى وتفسيره إلهى إلهى لم تركتنى .

وتقدم قبل هذا ذكر آيات من كتبكم المقدسة تشهد بأنه قال : إنه رسول ـ فأقر بأنه بشر من الأنبياء المرسلين .

وفى النص الذى ورد على لسانه وهو مصلوب (كما يقولون) تصريح بأن له إلهاً .

وفى ما تقدم من نصوص تثبت أن المعجزات التى أجراها كانت بأمر الله تعالى ـ ما يكفى للرد .

١٧ ـ فصــــل

من هو الذى زيَّف الدعوة التى جاء بها عيسى بن مريم رسول الله ـ عليه السلام ؟

إذا كانت الدعوة التى جاء بها سيدنا عيسى عليه السلام هى كما سبق أن قلنا ـ دعوة إلى توحيد الله تعالى ، وأنه (أى عيسى) رسول الله إلى بنى إسرائيل ، فما الذى جعلهم يقولون بضد ذلك و أعنى أن عيسى إله وابن

إله وأنه ثالث ثلاثة ، وأنه صلب من أجل التكفير عن الخطيئة الموروثة من لدن (آدم) عليه السلام ـ أبى البشر ؟ .

الجواب : إن ذلك مرجعه إلى رجل دخيل على النصارى إذ كان يهودياً دائم الاعتداء على من آمن بالمسيح ، دائم الإيذاء لهم ، وفجأة وبعد أن غادر المسيح (عليه السلام) الدنيا ، بحوالى خمس سنوات من رفع المسيح أى حوالى ٣٨ سنة ، أعلن هذا الرجل أنه آمن بالمسيح وأنه صار من أخلص أنصاره ، وأنه يريد نشر دعوته ، وهكذا قبله المؤمنون بالمسيح وأدخلوه فى زمرتهم فتمكن بمكره من أن يلوى الدعوة التى جاء بها المسيح ويضيف ويُغير ويبدل ما شاء له شيطانه وهواه حتى أفسد على النصارى دينهم ، فصار على هذا النحو المشوه .

ذلكم الرجل اسمه : شاؤول ، أو شاول الذى صار اسمه بعد ذلك : القديس بولس الرسول (!!) .

* * *

١ ـ بولس

من هو بولس هذا الذى عمد إلى تغيير المسيحية الحقة التى جاء بها المسيح عيسى بن مريم من عند الله تعالى ؟ .

هو شاول بن كيساى : فاسمه الأصلى شاول أو شاؤول ووالده كيساى من سبط بنيامين وكان يعمل فى صناعة الخيام فى مدينة طرسوس (التابعة لسوريا الآن ، وقد كانت فى الماضى تابعة لتركيا) وبهذه المدينة ولد شاؤول الذى سمى باسم بولس فيما بعد ، ولعل هذه التسمية الأخيرة هى المرادفة لاسمه (شاول) فى لغة وعرف الرومان .

وتاريخ مولده غير معروف بالضبط ولكن من المؤكد أنه ولد بعد ميلاد المسيح ـ عليه السلام ـ وإن كان الأستاذ (ديورانت) يحدد سنة مولده بأنها السنة العاشرة ، وكان أبواه يهوديين فريسيين . ومعلوم أن طائفة الفريسيين كانت شديدة الجدل للمسيح (كما سبق ذكر ذلك) .

وبولس هذا لم يكن من تلاميذ المسيح ولا رآه وبالطبع لم يجلس إليه .

ويقول هو عن نفسه فى سبب دخوله النصرانية إنه كان متوجهاً إلى دمشق كى يبحث عن أتباع المسيح لإيذائهم وفيما هو سائر إذ سمع صوتاً من السماء يقول له : (شاول ! لم تؤذينى ؟) فصار مؤمناً بالمسيح (صاحب الصوت) منذ ذلك الوقت . أى أنه آمن فجأة .

هكذا أعلن هو بنفسه لتلاميذ المسيح فصدقوه فوراً ، وجعلوه واحداً منهم ، بل وأصبح داعياً إلى النصرانية مثلهم ، وهناك عبارة قالوها عنه أنه بعد أن صار واحداً منهم (وللوقت جعل يكرز) (أى يعظ) فى المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله (١) وانظر هنا قولهم (وللوقت) أى فوراً ، وقولهم أن هذا هو ابن الله ، فإن ذلك يعنى أن هذا من كلامه ولم يتعلمه من أحد .

ويقولون فى قصته أيضاً أنه بعد أن أقام مدة بدمشق هرب منها إلى أورشاليم (أى القدس) وهنا قابل (برنابا) أحد تلاميذ المسيح المخلصين والمقربين إليه ، فروى له روايته وأنه صار مؤمناً بالمسيح ، فأخذه برنابا وقدمه إلى باقى التلاميذ ، وبسبب تآمر اليهود عليه هنا فى أورشاليم ، خرج منها إلى طرسوس بلده ، وهناك تقابل مع برنابا مرة أخرى ، وأخذ الاثنان يعظان الناس وينتقلان معاً من مكان إلى مكان آخر ومن بلدة لأخرى ، إلى أن اختلفا معاً فى نهاية الأمر ، وذلك بسبب الكلام الذى كان يقوله بولس هذا عن المسيح وأنه ابن الله ولم يكن برنابا يعرف ذلك .

لأن برنابا كان من أقرب المقربين للمسيح ، وبذلك كان أدرى الناس بتعاليمه ، ومن هنا كان غريباً عليه ما يقوله بولس من أن المسيح ابن الله وقد أرسله للناس لكى يفدى البشرية عن خطيئة آدم وأنه قدم نفسه طواعية واختياراً لليهود كى يصلبوه ، حتى يتحقق الفداء (٢) .

---

(١) اقرأ قصة شاول فى سفر أعمال الرسل : إصحاح ٨ ، ٩ .

(٢) كل هذا لم يحدث ، لأن اليهود هم الذين تآمروا عليه وكان يبكى قبل أن يقبضوا عليه ، وكان خائفاً ومذعوراً ، كما هو مدون فى كتبهم التى تسمى أناجيل ، وإذن فهذا القول منه بأن المسيح جاء للفداء يكون ادعاء كاذباً .

وأنه بعد صلبه ودفنه قام من القبر وصعد إلى السماء وجلس على يمين أبيه ، وأنه هو الذى سيحاسب الناس يوم القيامة وليس أباه ، وأن المسيحية دين الناس جميعاً ، وهذا مخالف لما كان يقوله المسيح نفسه من أنه جاء لبنى إسرائيل فقط ، وأخذ بعد ذلك يضع تقاليد ونظماً جديدة هى التى صارت آساسا للنظام الذى سارت عليه الكنائس فيما بعد ، وهو الذى استبدل الأحد ليكون يوم الصلاة بدل يوم السبت ، وهو الذى أمر بعدم الختان ، وهو الذى أكل لحم الخنزير ، وهو الذى سنَّ للكنيسة تقاليدها من الترتيل والأناشيد والأغانى الروحية (١) .

ولما كانت هذه الأقوال من أن المسيح ابن الله ومن أنه جاء للفداء وأنه صلب وأنه إلى آخر ما ذكرنا ، مخالفة للتعاليم الحقيقية التى كان يدعو إليها المسيح ـ عليه السلام ـ فقد اشتد الجدل والخلاف حولها بعد موت بولس وإشاعته هو وتلاميذه لهذه الأقوال ، ولما كانت الدولة الرومانية هى التى تحكم النصارى وكانت هذه الدولة لا تؤمن بالنصرانية فى بداية الأمر وكان رئيسها واسمه قسطنطين ضعيفاً ويريد تقوية عرشه ، والخلافات الدينية بين رعيته من النصارى شديدة بينهم ، فأحب أن يكسب مودة النصارى فصرح لهم بأن يقيموا اجتماعاً فى مدينة تسمى نيقية كى يتناقشوا فى المسائل المختلف عليها بينهم ، فاجتمعوا سنة ٣٢٥ ، وحضر الاجتماع ٢٠٤٨ قسيساً وكانت أهم مشكلة أمامهم هى هل المسيح إله أم ليس .

فكان رأى ٣١٨ رجلًا منهم إنه إله ، وأما الباقون فعارضوا ذلك وكان على رأس المعارضين قسيس مصرى اسمه (آريوس) الذى صاح بأعلى صوته بأن المسيح ليس إلهاً ، ولا ابناً لله ، والله وحده هو الإله الحق فطردوه من المجلس ، وهنا جاءت الفرصة لقسطنطين كى يكسب رضا النصارى وتأييدهم ، فعرضوا عليه القرار فأيدهم حتى يكون فى ذلك تثبيتاً لمحبته فى قلوبهم .

---

(١) راجع فى هذا سفر أعمال الرسل الذى كتبه لوقا بإرشاد من بولس هذا ، لأن لوقا صاحب الإنجيل المنسوب إليه كان تلميذاً لبولس . وراجع أيضاً قاموس الكتاب المقدس ص ١٩٥ ، والمسيحية للدكتور أحمد شلبى ، وتحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب لعبد الله الترجمان ص ٦١ .

ومنذ ذلك الوقت صار القول بألوهية المسيح مبدأ رسمياً مفروضاً على كل الكنائس ، واضطهد كل من يقول بخلاف ذلك ومنهم (آريوس) وأنصاره وباقى القساوسة .

وهكذا مات الدين الحقيقى الذى كان يبشر به المسيح نفسه ـ عليه السلام ـ ليحل محله ما يعرف بقانون الإيمان الذى أصدره نفس مجمع نيقية هذا ـ وأحياناً ما يسمى هذا القانون باسم الأمانة ـ وصيغته هكذا :

« نؤمن بإله واحد الآب ضابط الكل ، مالك كل شيء صانع ما يرى وما لا يرى ، وبالرب الواحد يسوع ابن الله الواحد ، بكر الخلائق كلها ، الذى ولد من أبيه قبل العوالم كلها ، وليس بمصنوع ، إله حق من إله حق ، من جوهر أبيه الذى بيده أتقنت العوالم وخلق كل شيء من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس وصار إنساناً وحبل به وولد من مريم البتول وصلب أيام بيلاطس ، ودفن وقام فى اليوم الثالث كما هو مكتوب وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه ، وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأحياء والأموات » .

• وبعد مدة انعقد مؤتمر دينى آخر اسمه مجمع القسطنطينية الذى انعقد سنة ٣٨١ م للنظر فى القول بألوهية الروح القدس أيضاً حيث كان كبار الأساقفة ينكرون ذلك ، ومنهم مقدونيوس أسقف القسطنطينية الذى كان يقول إن الروح القدس ليس بإله ، وكذلك كان يقول بمثل قوله أسقف آخر اسمه أوسابيوس الذى زاد على ذلك بأن أنكر وجود شيء اسمه الأقانيم الثلاثة أى الأشخاص الثلاثة التى هى الأب والابن والروح القدس ، لأن كلمة (أقنوم) معناها الشخص وهى كلمة يونانية ، وقد حضر هذا المجمع ١٥٠ قسيساً فقط . وبالطبع وافق بعضهم على القول بألوهية الروح القدس ، ولم يهتموا برأى المخالفين مما يدل دلالة قاطعة على أن العقيدة التى لدى المسيحيين الآن هى من صنع مجامع يسمونها المجامع المقدسة (!!) فهى إذن عقيدة من صنع البشر ولم تكن وحياً أوحى من السماء وتعددت بعد ذلك المجامع .

وبسبب جعل الروح القدس إلهاً بمقتضى قرار هذا المجمع القسطنطينى أضيف إلى صيغة الأمانة المتقدم ذكرها الصيغة التالية لتكون متممة لها .

(ونؤمن بروح القدس المحيى المنبثق من أبيه الذى هو بموقع الأب من الابن ، يسجد له ويمجد ، الناطق بالأنبياء وبكنيسة واحدة جامعة رسولية وبمعمودية واحدة لمغفرة جميع الخطايا ، ونترجى قيامة الموتى والحياة والدهر العتيد ـ آمين) .

وبهذا الشكل تكونت عقيدة التثليث لدى النصارى ، أى أنها عقيدة من صنع المجامع ـ وليست من كلام المسيح نفسه ـ عليه السلام ـ ولا دعا إليها ، مع أنها عندهم هى صلب الإيمان ، فكيف يغفل المسيح هذا لو كان كلامهم صحيحاً ؟.

وبالنسبة لبولس نقول إنه هو الذى أحدث هذا التغيير الضخم فى العقيدة المسيحية حيث وجد أمامه الوثنيين (اليونان ـ والرومان) الذين يبشرهم يعتقدون فى ألوهية البشر .. فما كان منه إلا أن قام بترجمة الكلمة اليونانية التى تطلق على كل من يكون صالحاً وتقياً وباراً بأنه شخص إلهى ـ أى [**Servant**] لله فقام هو بترجمة كلمة [**Servant**] اليونانية التى تعنى طفل ـ ونعنى أيضاً خادم فاستحسن ترجمتها بكلمة ابن ليعادل بينها وبين كلمة طفل ـ فصار المسيح من ثم (ابن الله) بدل أن كان [**servant**] أى عبد الله .. وهكذا سهل على الوثنيين الدخول فى النصرانية كما يفهمها هو (أى بولس) ولم يجدوا فى ذلك غضاضة ما داموا هم أصلاً يقدسون البشر ..[انظر : شارل جينيجر : نشأة المسيحية وتطورها ترجمة عبد الحليم محمود ص ١٣٥] .

* * *

٢ ـ شكوك حول بولس

بعد أن أعلن تحوله إلى المسيحية ، كان من المفترض أن يلازم تلاميذ المسيح الذين تلقوا عنه التعاليم ، وتشرفوا بالتُّربِّى والنشأة فى حضنه النبوى مباشرة .. والذين كانوا آنذاك أكبر علماء الدين المسيحى .

لكن أخبار حياته تفيد أنه بعد هذا التحول الفكرى الخطير .. فى حياته . لم يتجه فوراً إلى أورشاليم ، بل ذهب جنوبى دمشق كما يصرح

بذلك فى رسالة إلى أهل غلاطية وهذه المنطقة كان يطلق عليها اسم (اسم ـ العربية) تجوزا (١) فما الذى دعاه إلى الارتحال إلى العربية ؟ .

الجـــواب :

هو كما يقول جامس حال كينون فى كتابه القيم من (المسيح إلى قسطنطين) :

إنه ذهب إلى هناك لكى يدرس مضمون عقيدته الجديدة ، ثم ذهب بعد ذلك بثلاثة أعوام إلى أورشاليم حتى يجتمع ببطرس ويعقوب أخى السيد للتشاور فيما كان متبعاً فى شأن المسيح من التقليد (٢) .

والسؤال هو :

لماذا بعد الإيمان بدين سيدنا عيسى عليه السلام قضى مدة ثلاث سنوات طويلة فى عزلة ؟.

٣ ـ موقف الحواريين من بولس

(أ) بين بولس وبرنابا :

برنابا هو الذى قدَّم بولس إلى التلاميذ فى أورشاليم وحدثهم كيف أبصر الرب فى الطريق .. وأنه آمن .. وكيف جاهر فى دمشق باسم يسوع .

وظلا معاً (بولس وبرنابا) يعملان فى الدعوة متوافقين حتى الإصحاح الخامس عشر من سفر أعمال الرسل .. ثم يحدث بعد ذلك فجأة حادث هام جداً .. هو خلاف عنيف يجعل كلا منهما لا يرضى أن يعاشر الآخر .

وقد جاء سرد هذه القصة فى أعمال الرسل على صورة مفاجئة لم تكن بحسبان القارىء .. وقد كان هذا الخلاف فى أنطاكية .

---

(١) انظر دائرة المعارف البريطانية جـ ١٧ ص ٣٨٩ مقالة بولس ورسالة بولس إلى أهل غلاطية : ١ : ٥ ـ ١٧ .

(٢) انظر :

James Makinon: from christ to constantine. London. longman's green 1936 P.91

نقلًا عن ما هى النصرانية ص ١٧٢ .

من بين الأشياء التى اختلف فيها برنابا مع بولس وبطرس أيضاً أنهما كان يتشددان فى ضرورة التزام المسيحيين الجدد ممن كانوا وثنيين : بالختان ـ والشريعة الموسوية ، بينما لا يرى بولس ذلك .

ورسالة بولس إلى أهل غلاطية التى وجهها لهم من أنطاكية هامة جداً لأنها هى أولى رسائله التاريخية ـ وهى أيضاً أول رسالة يعلن فيها عن آرائه ونظرياته وتصوراته بصورة مكشوفة للغاية ـ ولأنه أبدى فيها لأول مرة أيضاً أنه لا يحتاج إلى استعانة أحد من الحواريين فى تلقى الدين المسيحى وتعاليمه ، لأنه قد تلقى العلم عن طريق الوحى المباشر .

وقد أشار إلى هذا فى قوله : (وأعرفكم أيها الإخوة أن الإنجيل الذى بشرت به أنه ليس بحسب إنسان ، ولا علمته ، بل بإعلان يسوع المسيح) (١) .

بل إنه فيما بعد هذه السطور يعتبر بطرس بصورة علنية جديراً بالملام ، ويعتبر برنابا مرائياً (٢) ويركز كل جهوده على إثبات أنه يوحى إليه من الله تواً .

مما يؤكد أن الحواريين لم يعودوا يوافقونه فى المرحلة التى يحرر فيها الرسالة إلى الغلاطيين .

ويكشف عن تحوله عن بطرس فى هذه الرسالة بقوله : (ولكن لما أتى بطرس إلى أنطاكية قاومته مواجهة لأنه كان ملوماً) (٣) .

وهذا يدل على أن هذا الخلاف بين بولس وبطرس كان بعد انعقاد مجمع أورشاليم الذى تقرر فيه إعفاء الداخليين الجدد فى المسيحية من الوثنيين من شعيرة الختان مؤقتاً وعدم الالتزام بكافة أوامر الشريعة ، الموسوية فيما عدا : حرمة الزنى ـ وأكل المخنوق والدم والمذبوح للأصنام .. فأطلق لهم بولس عدم التقيد بالختان والشريعة الموسوية .

مع أن القرار مقيد بفترة مؤقتة .. حتى يصبحوا معها هؤلاء الجدد .. مؤهلين لقبول كافة أحكام الشريعة اليهودية .

---

(١) رسالة بولس إلى أهل غلاطية ١ : ١١ ـ ١٢ .
(٢) رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٢ : ١١ ـ ١٣ .
(٣) رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٢ : ١١ .

قال بولس : إن بطرس أبدى تردده فى موقفه من الأجانب أى فى موقف بولس من الداخلين الجدد فى المسيحية من الوثنيين [1] .

والخلاصة التى انتهى إليها جى جى ميتلى : فى دراسته التى كتبها بعنوان : (كتبنا المقدسة) هى الأمور الآتية :

١ ـ برنابا وغيره من الحواريين قد صدقوا بولس فى البداية ظناً منهم أنه قد آمن بكل معنى الكلمة ـ بالدين المسيحى .

٢ ـ ولذلك صاحب برنابا بولس مدة غير قصيرة .

٣ ـ ثم افترق عنه برنابا ، وكان السبب هو الاختلاف الفكرى والعقيدى .

٤ ـ أن الحواريين فى مجمع أورشاليم لم ينسخوا الختان وما إليه من الأحكام نسخاً تاماً ، وإنما سمحوا لهم بالدخول فى الدين المسيحى بدون الاتيان بهذه الأحكام ، اعتباراً منهم أن ذلك سيكون خطوة أولى إلى الدين المسيحى .

٥ ـ لكن بولس بدأ يبشر بأن جميع أحكام التوراة باتت منسوخة ، لأنها كانت لعنة خلصنا منها [2] و « لأنه فى المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئاً » [3] مخالفة بطرس وبرنابا فى انطاكية [4] .

٦ ـ من أجل مخالفة الحواريين لبولس قامت ثورة عنيفة ضد بولس ، لما علم الناس أنه يعاكس الحواريين الأصليين مما اضطره أن يوجه رسالة إلى أهل غلاطية .

٧ ـ وفى هذه الرسالة أشار إلى مخالفتهم بدل أن يصرح بموافقتهم له وركز مجهوده المستطاع على إثبات أنه لا يحتاج من أجل شرح وتفسير الدين المسيحى إلى التعلم من الحواريين ، وإنما علم مباشرة عن طريق الوحى [5] .

---

(١) علاطبة ٢ : ١١ .
(٢) غلاطية ٣ : ١٣ .
(٣) غلاطية : ٥ : ١ .
(٤) غلاطية ٢ : ١١ .
(٥) غلاطية : ١١ ـ ١٢ .

٨ ـ وجاء تحرير هذه الرسالة فيما بعد مجمع أورشاليم مما يؤكد أن ما قام به الحواريون من مناصرة بولس لدى مجمع أورشاليم قد انتهى الآن ، وأن الحواريين عادوا مخالفين له ، ولذلك فإن بولس لم يذكر مناصرتهم رداً على المعارضين له .

٩ ـ وكذلك جمع رسائل بولس قد حصل تحريرها فيما بعد هذا الواقع ، وذلك أن رسالته إلى أهل غلاطية هى أولى رسائله تاريخياً على تصريح (جى ، فى ، منيلى) إذاً فإن ما جاء فيها من معتقدات التثليث والحلول والتجسد والكفارة ومنسوخية أحكام التوراة ، وما إليها ، هى آراء وأفكار شخصية لبولس وحده ، ولا تحظى بموافقة الحواريين أصلًا (١) .

(ب) بين بولس وبطرس

يهتم سفر أعمال الرسل بذكر نشاطات بولس حتى الفصل ١٥ وبعدها يلتزم الصمت حتى الإصحاح ٢٨ .

لماذا هذا الصمت ؟ :

الإجابة نجدها فى رسالة بولس إلى الغلاطيين فى العبارة الآتية (ولكن لما أتى بطرس إلى أنطاكية قاومته مواجهة ، لأنه كان ملوماً) (٢) .

وقد وقع ذلك فيما بعد مجمع أورشاليم فوراً .

وهذا يدل دلالة واضحة على أن بطرس بما أنه لم يعارض بولس حتى هذا المجمع .. معارضة ما فظل تلميذه لوقا يتحدث عن أحواله إلى هذه المدة فى تفصيل ولكن لما أتى بطرس بعد المجمع إلى أنطاكية وخالفه هناك على نظرياته المصطنعة توقف لوقا كلّياً ، عن تسجيل أحواله .

٢ ـ ويقوم الظن الراجح فى ضوء هذه الدلائل على أن بطرس هو الآخر .. مثل برنابا ـ يكون فارق بولس بعد نشوء هذا الاختلاف بينه وبين بولس فى إنطاكية ، وقد كون جماعة مستقلة عن بولس ، حتى يتسنى له التبشير بالعقائد الصحيحة فى الدين المسيحى .

---

(١) ما هى النصرانية : ص ١٩٩/٢٠٠ .

(٢) غلاطية : ٢ : ١١ .

ويدل على ذلك عبارة إلى الكورنسيين التى يقول فيها :

(لأنى أخبرت عنكم يا أخوتى من أهل خلوى أن منكم خصومات فأنا أعنى أن كل إنسان منكم يقول أنا لبولس ، وأنا لأبلوس وأنا لكيفا وأنا للمسيح) (١) .

مما يدل دلالة صريحة على أن (كيفا) أى بطرس ـ كان قد شكل جماعة مستقلة ممتازة عن جماعة بولس ، وكانتا تتخاصمان .

وهذا الاستنتاج منه هو ما توصل إليه كاتب مقال دائرة المعارف البريطانية ج ٧ ، ص ٦٤٢ مقالة بطرس .

(ج) بين يوحنا وبولس

هو مثل صاحبيه بطرس وبرنابا يغيب عن أعمال الرسل بعد مجمع أورشاليم فجأة وتعمى أخباره فلا يعرف عنه شيء على حين أنه كان فى هذا المجمع ثالث ثلاثة أعمدة للكنيسة .. ولا نعلم نحن فى أى مكان قام بعمله التبشيرى بعد ما غادر أورشاليم .

وإنجيل يوحنا والرسائل الثلاث الموجودة فى العهد الجديد معزوة إلى يوحنا .. هى ليوحنا الأرشد .. وليس الحوارى .

(د) معارضو بولس

كانوا موجودين عبر القرون الثلاثة الأولى من تاريخ المسيحية هم وأنصار بولس .. ولكن قد اتفق فى القرن الثالث أن المسيحية باتت دين الامبراطورية البيزنطية الرسمى ، فسيطرت على الحكومة القطاعات المناصرة لبولس .

ويوجد من هؤلاء المعارضين من حفظ لنا التاريخ أسماءهم أمثال :

آرينوس ـ وفرقة الناصرية وفرقة الابيونية .. هؤلاء كانوا ينكرون ألوهية المسيح ولا يؤمنون ببولس رسولًا .. وكانوا فى بداية القرن الثانى .

وجاء بعدهم بولس شمشاطه .. فى القرن ٣ .

---

(١) الكورنسيون : ١ : ١٢ .

ولوسيان ، وآريوس فى القرن ٤ .

كانوا يؤيدون أفكار هذه المدرسة .

واقرأ بقية المعارضين فى نهاية كتاب ما هى النصرانية الذى تكفل بذكر أسمائهم مع المراجع التى ذكرتهم .. ويعتبر الأستاذ جيمس ماكينون مؤلف كتاب من المسيح إلى قسطنطين حجة فى هذا الموضوع فليرجع إليه .

وفى نهاية الأمر استقرت العقيدة التى يؤمن بها أتباع المسيح إلى أن صارت هى :

- الإيمان بالتثليث .
- الإيمان بصلب المسيح تكفيراً عن خطيئة آدم .
- الإيمان بأن المسيح هو الذى سيحاسب الناس يوم القيامة .

على نحو ما تقدم شرحه .

* * *

الباب الخامس

كتب النصارى المقدسة

تمهيد :

أمامنا فى هذا الموضوع مجموعة من الكتب يقدسها المسيحيون إذ يعتبرونها كتبت بواسطة أناس ملهمين من المسيح بواسطة الروح القدس الذى حل على أصحابها وبذلك صار لها القداسة بما أن أصحابها كانوا معصومين من الخطأ .

ونحن نترك لهم تقديسها كما يشاءون .. لكن الحقيقة التى تبدو ظاهرة للعيان لكل من يتصدى للكتابة عن هذه الكتب هى أنها لم تكتب بإلهام كما يزعمون ــ لأن من أبسط البسائط المسلم بها منهم ومن غيرهم هى أن الإلهام بواسطة الروح القدس .. أو الله مباشرة : لا يمكن أن يخطىء بل ولا أن يتناقض .. وهذه الكتب مشحونة بكلا الأمرين .. ونبين ذلك عند كلامنا عليها واحداً واحداً بالتفصيل فيما يلى ذلك من كلام .

ويبقى أمامنا جملة تساؤلات لابد من وضعها هنا قبل التصدى للكلام عن هذه الكتب وهذه التساؤلات هى :

١ ــ معرفة من هو المؤلف أو الكاتب لكل كتاب منها معرفة يقينية لا شبهة فيها .

٢ ــ معرفة مكان وزمان كتابتها .

٣ ــ معرفة اللغة التى كتبت بها .

٤ ــ معرفة المشاكل التى تحتوى عليها .

وإزاء التساؤلات الثلاثة الأولى لا تجد إجماعاً بين المؤرخين على إجابة أى واحد منها .. بل تجد أمامك حشداً هائلًا من الآراء عن كل تساؤل من هذه التساؤلات .

فلسنا نعرف على وجه اليقين القاطع حقيقة كل شخصية ممن نسبوا إليها كتابة هذا الإنجيل أو هذا السفر أو ذاك .. بل نجد بدل ذلك جملة من الشكوك تحوم حول كل واحد منهم .

ونفس الشيء بالنسبة لزمان ومكان الكتابة .. لا نجد شيئاً مجمعاً عليه عندهم .. وهو نفس الأمر بالنسبة للغة التى كتب بها .

والسبب فى وجود هذا الاضطراب فى شخصية كاتبيها وتاريخ كتابتها ومكانه واللغة التى كتبت بها هو أنها لم تكتب فى حياة المسيح نفسه عليه السلام بإشارة منه ولا كتبت بواسطة كاتبيها ووافق عليها هو بعد عرضها عليه . كلا ولم تكتب فى حياته هو نفسه عليه السلام .

هذا من ناحية .. ومن ناحية أخرى فإن اختفاء أصحابه بعد الأحداث العنيفة التى أحاطت به عليه السلام فى أواخر حياته .. وهى اتهام اليهود له بالمروق من الدين وتقديمه للمحاكمة .. كما سبق ذكره مما ترتب عليه هروب أتباعه ـ وهم قلة ثم حدوث تدمير الهيكل وأورشاليم على يد الرومان ٧٠ م .. ثم اشتهار كبار أتباعه الملقبين بالحواريين والرسل .. بالجهل بالكتابة والقراءة .. ثم انتظارهم لعودة أستاذهم ومعلمهم (أى المسيح عليه السلام) مرة أخرى إلى العالم .. فى نفس جيلهم كما أخبرتهم بذلك نبوءة نسبت إليه عليه السلام ـ كل ذلك مضافاً إليه ندرة وسائل التدوين آنذاك من ورق وحبر وأقلام مضافاً إليه فقر هؤلاء التلاميذ .. كل هذه العوامل مجتمعة أخرت تدوين هذه الكتب التى يقدسها المسيحيون إلى أزمنة متفاوتة إذ كل كتاب له تاريخ بل قيل فى أمر تاريخ تدوينه تواريخ وليس تاريخاً واحداً .

ومن ثم فنحن إذ نثبت هنا هذه التواريخ نعتذر للقارىء سلفاً عن كثرتها واضطرابها .. والآن إلى تفصيل هذا الإجمال .

أولاً : ما هى هذه الكتب المقدسة عند النصارى ؟ .

والجواب هو .. يقدس النصارى ٢٧ كتاباً علاوة على تقديسهم لكتب اليهود .. وكتب النصارى هذه يطلقون عليها اسم العهد الجديد فى مقابل العهد القديم .

وهو الاسم الذى أطلقوه على كتب اليهود المقدسة .

هذه المجموعة من الكتب الـ ٢٧ يطلقون عليها أيضاً اسم الأسفار المقدسة .. والسفر هو الكتاب .. ويقسمون كل سفر إلى عدد من الفصول يطلقون على كل فصل اسم (الإصحاح) وهذا بدوره ينقسم إلى آيات يعطون كل آية رقماً .

وأسماء هذه الأسفار الـ ٢٧ هى :

١ ـ إنجيــل متى

أى أن كاتبه يسمى متى (وإذن فليس هو المسيح نفسه) .

٢ ـ إنجيــل مرقص

أى أن كاتبه يسمى مرقص أى وليس هو المسيح نفسه .

٣ ـ إنجيــل لوقا

أى أن كاتبه يسمى لوقا أى وليس هو المسيح نفسه .

٤ ـ إنجيــل يوحنا

أى أن كاتبه يسمى يوحنا أى وليس هو المسيح نفسه .

وهم يعترفون بهذا ولذلك يكتبون (الإنجيل بحسب رواية متى ـ بحسب رواية مرقص) وهكذا .

والثلاثة الأولى تسمى الأناجيل المتشابهة .. عكس الرابع فإنه مستقل .

وهذا الترتيب الذى ذكرناه هو ترتيبهم فى الطباعة ضمن مجموعة واحدة لكنه ليس الترتيب الصحيح فى أولية التأليف . إذ ثبت الآن بيقين أن الأول فى التأليف من بين هذه الأناجيل هو إنجيل مرقص وليس إنجيل متى . وللباحثين فى هذا الموضوع وهم علماء النصرانية أدلة قوية فى ذلك ، نشير إليها هنا فى إجمال وهى كون هذه الأناجيل الثلاثة مختلفة فى الطول ، وأن أقصرها وهو إنجيل مرقص يدل على أنه هو الذى كتب أولًا . يليه إنجيل متى فإنجيل لوقا .. لأن فى إنجيل متى وإنجيل لوقا عبارات مكررة بنصها أخذت من إنجيل مرقص وعن إنجيل آخر مشترك . والبسيط مقدم على غيره ـ والمأخوذ منه مقدم على غيره كذلك ـ وإنجيل لوقا متأخر عن إنجيل متى ومرقص وقد أخذ عن مرقص المتقدم عليه ، وإنجيل متى به عبارات تشبه ما عند لوقا ، ومرقص فصار إنجيل مرقص مقدماً علاوة على ماثبت لدى

هؤلاء الباحثين من جملة مقارنات وترجيحات أجروها حول تواريخ كتابة هذه الأناجيل فترجح لديهم أن الأسبق فيها هو إنجيل مرقص وسنعود إلى تفصيل ذلك فيما بعد (١) :

وهنا نذكر معنى إنجيل وأنها تعنى الخبر السار : أو البشارة .

٥ ـ سفر أعمال الرسل

وهو من تأليف لوقا .. ويعتبر مكملًا لإنجيله المشار إليه آنفاً وهو يتضمن سيرة الرسل الذين قاموا بنشر المسيحية بعد المسيح على اعتبار أنهم رسل أرسلهم هو .. ولكن الجانب الأكبر من هذا السفر يتضمن الكلام عن بولس الذى يعتبر عندهم رسول الأمم ، وهو لم ير المسيح ولا آمن به فى حياته ـ وسيأتى تفصيل ذلك ـ لكنه كان أستاذاً للوقا .. إذ هو الذى أدخله ضمن المؤمنين بالمسيح عندما توجه لدعوة الأمم إلى ذلك .

وقد ثبت للباحثين أن سفر أعمال الرسل هذا : هو أول كتاب مسيحى دوّن حتى قبل إنجيل مرقص الذى ذكرنا آنفاً أنه أول الأناجيل تدويناً ...

وبذلك يكون سفر الأعمال هذا أسبق من الجميع وهو يذكر أشياء كثيرة عن بولس وعن مبادئه وتاريخ دعوته وما أحدثه فى المسيحية وما وافق أو خالف فيه غيره من كبار تلاميذ المسيح (٢) .

لذلك لا غرو أن استفاد منه كتبة الأناجيل فى بعض المسائل الهامة والحساسة وذكر كل منهم بعد ذلك ما اعتقده هو فى شأن المسيح ، علماً بأن الجميع ما كانوا يعرفون أنهم يكتبون ـ إنجيلًا ـ بل هذه التسمية أطلقت على كتاباتهم وأعمالهم بعد وفاتهم .

فهذه الكتب المسماة أناجيل ـ ما هى فى الحقيقة سوى مذكرات لأصحابها كتبوها بقصد أن يقص كل واحد منهم ما يعرفه أو ما بلغه من أمر المسيح . فهى ليست كتباً تاريخية دقيقة بكل معنى الكلمة بل نجد تأليفها مفككاً ولا يضمه خيط واحد ، بل هى حكايات متناثرة متفرقة من

---

(١) انظر ص ١٨٢ فى هذا الكتاب .

(٢) انظر : أحمد عبد الوهاب ـ المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص ٣٤/٣٥ وسيأتى مزيد بيان لذلك ص ١٦٨ .

هنا ومن هناك .. وسنعود إلى هذه النقطة فيما بعد عند كلامنا على مشاكل كل منها .

٦ ـ رسائل بولس وهى

أربع عشرة رسالة كتبها إلى أهل الكنائس التى أسسها فى البلاد التى زارها للتبشير ولذلك تسمى كل رسالة منها باسم الجهة الموجهة إليها وهذه الرسائل هى :

١ ـ رسالة رومية .
٢ ـ رسالة كورنثوس (١) .
٣ ـ رسالة كورنثوس (٢) .
٤ ـ رسالة غلاطية .
٥ ـ رسالة أفسس .
٦ ـ رسالة فيلبى .
٧ ـ رسالة كولوسى .
٨ ـ رسالة تسالونيكى (١) .
٩ ـ رسالة تسالونيكى (٢) .
١٠ ـ رسالة تيموتاوس (١) .
١١ ـ رسالة تيموتاوس (٢) .
١٢ ـ رسالة تيطس .
١٣ ـ رسالة فليمون .
١٤ ـ رسالة العبرانيين .

* * *

٧ ـ الرسائل الكاثوليكية (أى العامة) وعددها سبع

١ ـ رسالة يعقوب .
٢ ـ رسالة بطرس (١) .
٣ ـ رسالة بطرس (٢) .
٤ ـ رسالة يوحنا (١) .
٥ ـ رسالة يوحنا (٢) .

٦ ـ رسالة يوحنا (٣) .

٧ ـ سفر يهوذا ـ وبعض هذه الرسائل مشكوك فى صحته على ما سيأتى ذكره .

٨ ـ رؤيا يوحنا

ويطلق عليها أيضاً اسم مشاهدات يوحنا أو (الأبوكاليس) ومجموع هذه الكتب ٢٧ كما قدمنا ذكره .

* * *

٢ ـ اللغة الأصلية التى كتب بها العهد الجديد

اللغة التى كان يتكلم بها المسيح هى اللغة الآرامية : وهى اللغة التى كانت سارية فى فلسطين وبعض أجزاء الشرق الأدنى ، وبالتأكيد بين اليهود ، ثم بعد ذلك ترجمت تعاليم المسيح الشفوية إلى الإغريقية الدارجة .

هذا الترتيب للرسائل هو ترتيب طائفة البروتستانت ، لكن هناك أكثر من ترتيب غير هذا ، وكلها ترتيبات مختلفة .

ـ فهناك مثلًا ترتيب قرره مجمع روما لسنة ٣٨٢ م .

وترتيب قرره مجمع ترنت المنعقد سنة ١٥٤٦ م .

ـ وترتيب قرره الأسقف اثناسيوس أسقف الأسكندرية بمناسبة عيد الفصح سنة ٣٦٧ م .

وهذه القوائم التى تضم كل ترتيب من هذه تختلف فيما بينها كذلك فى ترتيب رسائل بولس ، والرسائل الكاثوليكية تبعاً لقيمتها وأهميتها (١) .

وهناك من يقول إنه لم يكن هناك ذكر لهذه الأناجيل الأربعة قبل آخر القرن الثانى أو أوائل القرن الثالث ، لأن أول من ذكرها هو أرينيوس فى سنة ٢٠٩ م . ثم جاء من بعده كليمنس اسكندر يانوس سنة ٢١٦ ، وأظهر أن هذه الأربعة واجبة التسليم . وبذلك حملت الكنيسة الناس على

---

(١) محمد عبد الله الشرقاوى (الدكتور) فى مقارنة الأديان ـ دار الهداية ـ القاهرة سنة ١٩٨٦ م ص ٣٠ ـ ٣١ .

قبولها ورفض غيرها من أناجيل أخرى كانت موجودة (١) .

وذلك مثل :

١ ـ إنجيل أصحاب ماركيون وأصحاب ديصان .

ـ وإنجيل أصحاب مانى وهو الصحيح فى نظرهم .

ـ وإنجيل السبعين ينسب إلى تلامس ، والنصارى تنكره .

ـ وإنجيل برنابا وهو موجود الآن ومطبوع لكن الكنيسة تنكره .

ـ وإنجيل اشتهر باسم التذكرة .

ـ وإنجيل سرن قهس .

وأما فيما يتعلق بقانونية العهد الجديد ككل ، فمن الملاحظ أن عملية بنائه وتقرير شرعية كتبه ، قد استغرقت حوالى ٣٥٠ عاماً ، فحتى بداية القرن الرابع « كان يوجد كثير من البلبلة » ويصف ايزيبيوس هذا الوضع فيقسم الكتب إلى ثلاث طبقات :

١ ـ كتب قبلت بوجه عام .

٢ ـ كتب لا تزال موضع جدل ، لكن قد اعترف بها على نطاق واسع .

٣ ـ كتب مرفوضة .

ويعدد هذه الكتب .. ومنها أن الأناجيل الأربعة ـ أعمال الرسل ـ رسائل بولس ـ رسالة بطرس الأولى ـ رسالة يوحنا الأولى ، ويمكن إضافة رؤيا يوحنا .

كل ذلك ينتمى للطائفة الأولى (٢) .

٣ ـ تواريخ كتابة العهد الجديد

بوجه عام يمكن القول بأن أقدم الأناجيل وهو إنجيل مرقس ، وقد

---

(١) محمد أبو زهرة (الشيخ) محاضرات فى النصرانية ـ طبعة كراتشى سنة ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م ، ص ٣٩ .

(٢) أحمد عبد الوهاب ـ المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص ٣٥ ، ٣٦ .

كتب بعد رحيل المسيح بنحو ٣٥ عاماً ، وأن أحدث الأناجيل (إنجيل يوحنا) وقد كتب بعد المسيح بفترة تتراوح ما بين ٧٠ ، ٩٠ عاماً ـ وكل ذلك حدث فى عهود اشتهرت بالقسوة والوثنية مما حمل أتباع المسيح على الاختفاء .

كذلك فإن أقدم الأسفار المسيحية التى قبلتها الكنائس الأولى كانت رسائل بولس : ذلك الداعية الذى لم يكن قط من تلاميذ المسيح ، لكن تعاليمه هى التى شاعت وكان لها الغلبة ، كما أن رسائله هى التى سبقت الأناجيل فى الكتابة ، ولم تزل تتقدم عنها فى الاستشهاد بها فى الدراسات والتعليم المسيحى حتى اليوم .

لقد جمعت الأناجيل معاً فى إنجيل رباعى حوالى ١٥٠ م .

ويرجع السبب فى ذلك إلى تلك المحاولة التى قام بها ماركيون عام ١٤٠ م لجمع عدد من الكتب المسيحية المقدسة لكى تستأصل نفوذ العهد القديم وتتعادل مع كتبه .

والخـــلاصة :

الله وحده هو الذى يعلم الزمان والمكان والكيفية التى اكتسبت بها الأناجيل الأربعة صبغتها القانونية ، ومن ثم اعتبرت كتباً مقدسة (١) .

٤ ـ نسْخ وطبع العهد الجديد :

المسيح استغرقت دعوته من ٣٠ ـ ٣٣ م كما هو الشائع ، ولغته ولغة تلامذته وخصومه كانت هى اللغة الآرامية وكانت هى أيضاً اللغة الأصلية للإنجيل ، ولغة ذلك الجيل الأول الذى عاصر المسيح .

وبعد فترة تزيد على العشرين عاماً بدأت تسيطر أولى الكتابات المسيحية ، وكانت تلك رسائل بولس ، وهو لم يكن من تلاميذ المسيح .

ثم أعقب ذلك فترة أخرى تبلغ حوالى ١٥ عاماً ، ظهر بعدها أقدم الأناجيل وهو إنجيل مرقص وهو لم يكن من تلاميذ المسيح . وكانت اللغة الإغريقية هى التى وصلتنا بها أقدم النسخ من أولى الكتب المسيحية .

---

(١) أحمد عبد الوهاب ـ المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص ٣٤ ـ ٣٥ .

أى أن أقدم نسخة عرفت من الإنجيل إنما هى ترجمة أغريقية عن الآرامية ، ولا تزال الأناجيل بعد ترجمتها من الاغريقية إلى مختلف اللغات تحمل بين طياتها بقايا من تلك اللغة الآرامية ، لغة المسيح والإنجيل .

وأول نص مطبوع للعهد الجديد كان ذلك الذى قدمه أرازموس عام ١٥١٦ م ، وقبل هذا التاريخ كان يحفظ النص فى مخطوطات (١) .

* * *

٥ ـ متى وإنجيله

قبل الكلام على إنجيل متى لابد أن نتعرف أولًا على كاتب هذا الإنجيل أعنى متى ، فمن هو هذا الإنسان الذى وضع اسمه على هذا الإنجيل ؟ لنستقرىء المراجع ، ولنرجع إلى النصوص التى تكلمت عنه ، علّها تعطينا الجواب ، وأمامنا فى هذا الصدد نصان : نص رواه مرقص صاحب الإنجيل ، ونص آخر ذكره متى نفسه صاحب هذا الإنجيل الذى نتكلم عنه ، ونص مرقص يقول إن ـ المسيح ـ عليه السلام ـ كان مجتازاً فرأى (لاوى بن حلفى) جالساً عند مكان الجباية فقال له اتبعنى فقام وتبعه . [انظر إنجيل مرقص إصحاح ٢ : ١٣] .

فهذا النص ليس فيه ذكر لاسم متى ولكن فيه أن الإنسان الذى كان يجلس فى مكان الجباية اسمه لاوى بن حلفى .

لكن بمقارنة ذلك بما ذكره متى نفسه فى إنجيله من أن المسيح رأى إنساناً جالساً عند مكان الجباية اسمه متى .. إلخ .

فرجحنا أن الجالس عند مكان الجباية (مادام قد تكرر ذكر مكان الجباية فى الروايتين) احتمال كبير أن يكون هو متى الذى ذكر مرقص أن اسمه (لاوى بن حلفى) وبذلك يكون متى هو نفسه لاوى بن حلفى . نقول احتمال ، لأن المسيح من الجائز أن يكون قد مر بهذا المكان مرتين أو مرات ، رأى فى إحداها (لاوى بن حلفى) ورأى فى الثانية (متى)

---

(١) أحمد عبد الوهاب ـ المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ـ ص ٤٢ .

وليس من ضرورة منطقية تحتم أنه هو نفس الشخص فى الحالتين ، بل احتمال راجح أن يكون هو هو . هذا كل ما فى الأمر (١) .

لكن يتبقى بعد ذلك مشكلة أخرى هى ، هل إذا كان متى الذى كان جالساً عند مكان الجباية وأن اسمه لاوى بن حلفى وأن وظيفته كانت جمع الضرائب للرومان وتسمى العشور ومن أجل ذلك سمى متي العشَّار ، هل هو نفسه كاتب الإنجيل أم يحتمل أن يكون هناك متى آخر هو كاتب الإنجيل ؟ خاصة وأن الإشارة إلى اسمه وردت بضمير الغائب مثل قوله : (فوجد إنساناً جالساً عند مكان الجباية) فى نفس إنجيل متى والمفروض أنه هو الذى كتبه فلماذا استعمل ضمير الغائب ؟ .

هذه مشكلة أخرى أثارها النقاد .

ولم تخرج إجابات البعيدين عن الشك منهم ، فى أنه محتمل جداً فى أن يكون هو نفسه كاتب الإنجيل (٢) ، وأن يكون إنسان غيره كتبه ثم وضع اسمه عليه ليكون مقبولاً من الناس .

وإذا سلمنا بذلك ، فلنستمر فى التعرف على باقى صفات هذه الشخصية .

الواقع الماثل أمامنا من قراءة هذا الإنجيل المنسوب لمتى أن الكاتب يهودى ولاشك عرفنا ذلك من تعاطفه مع اليهود وفهمه العميق لهم وأنه حتى مع حملته العنيفة ضد الفريسيين وريائهم فإنه لم ينس الإشادة بالناموس (التوراة) واصفاً إياها : (لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل) .

---

(١) نقول ذلك ، لأن المسيح كان يبشر بدعوته فى نفس قرية كفر ناحوم من أعمال الجليل وأنه بقى بها مدة طويلة ، وأن متى كان يعمل بهذه القرية ، فمروره بمكان واحد مرتين أمر عادى جداً ، أعنى مرور المسيح .

(٢) نقول هذا لأن أمامنا آراء أخرى تقول بأن ربط هذا الإنجيل (إنجيل متى) بشخصية التلميذ (متى) هى بالتأكيد خيال محض ، وهذا رأى مفسر نفس الإنجيل وهو : [C - Fenton] ـ كذلك يشك فى أن كاتب إنجيل متى أحد حواريى المسيح : موريس بوكاى . [انظر : محمد عبد الله الشرقاوى ـ فى مقارنة الأديان ـ ص ١٧٣] .

فلنمضى فى التعرف على شخصية متى ، يقول المؤرخون له : إنه بشر بالمسيحية فى بلاد كثيرة ، ومات بالحبشة ، هذا يتفقون عليه ، لكنهم يختلفون فى سنة وفاته ، فمن رأى أنه مات بها سنة ٧٠ م ، ومن رأى آخر يقول إنه مات بها (أى بالحبشة) سنة ٦٢ ، بعد أن قضى بها ٢٣ عاماً داعياً .

وإذا كان الأمر كذلك فبأى لغة كتب الإنجيل ، وفى أى مكان ؟ وإذا ثبتت صحة ما يقال من أنه كتب إنجيله ليبشر به اليهود ، فما هى لغة اليهود آنذاك ؟ وهل لغة متى نفسه تتفق واللغة التى كانت بالحبشة التى ذهب ليبشر فيها ، ولماذا إذن كتب بشارته لليهود ؟ .

كل هذه الأسئلة وغيرها كثير ، قد طرحه علماء متخصصون فى مقارنة الأديان وفى تاريخ الأديان من القدماء والمحدثين ، وتبعاً لتعددهم تعددت إجاباتهم وآراؤهم عن هذه المشاكل .

لنمض قدماً فى محاولة بلورة الآراء فى ذلك ، علنا نقف على الجواب الصحيح لهذه المشاكل : ما هى اللغة التى عرف بها هذا الإنجيل ـ إنجيل متى ؟ .

الجواب : عرف هذا الإنجيل مكتوباً فى اللغة اليونانية .

لكن هل كتبه مؤلفه باليونانية من أول الأمر ؟ أم ماذا ؟ .

هنا نجد الجواب عن اللغة الأصلية التى كتب بها هذا الإنجيل (إنجيل متى) وأنها ليست اليونانية التى عرف بها ووجده الناس مكتوباً بها . وأن هذا لا خلاف بين العلماء فيه ، (فيما نعلم) .

إذن فبأى لغة كتب ؟ ومن الذى ترجمه إلى اليونانية وفى أى عصر كتب أول الأمر بواسطة مؤلفه ؟ وفى أى عصر أو تاريخ ترجم ؟ وفى أى مكان كتب أول مرة ، وفى أى مكان ترجم ؟ .

كل هذه الأسئلة جرى فى الإجابة عليها اختلافات كثيرة بين العلماء ، فلنحدد ونلخص الآراء فى كل مشكلة على حدة .

أولاً : بالنسبة للآراء التى قيلت فى اللغة الأصلية التى كتب بها إنجيل متى وجدنا الآراء ـ التالية :

ـ جمهور النصارى يقولون إن متى كتب إنجيله بالعبرانية أو السريانية . (هكذا يقولون علماً بأن العبرية كانت قد انقرضت من فلسطين وكان المسيح يتكلم بالآرامية لغة البلاد) .

ـ جيروم أشهر علماء النصارى يحدد أنها العبرية .

غير جيروم يؤكد أيضاً أن هذا الإنجيل كتب بالعبرية ويضيف أن متى هو الذى انفرد باستعمال هذا اللسان فى تحرير العهد الجديد .

ـ لكن الدكتور بوست يقول فى (قاموس الكتاب المقدس) إن هناك من يقول إن متى كتب إنجيله باليونانية ، ثم يرجح ذلك ، مخالفاً بهذا إجماع مؤرخيهم .

ـ لكن الأستاذ جرجس زوين اللبنانى يقول فيما ترجمه عن الفرنسية إن متى كتب بشارته (أى إنجيله) فى أورشاليم فى سنة ٣٩ وأن ذلك كان بالعبرانية ، وأن له ترجمة باليونانية ، لكن لم يعين اسم المترجم (١) .

ـ ويقول صاحب ذخيرة الألباب : إن متى كتب إنجيله فى سنة ٤١ م باللغة المتعارفة يومئذ فى فلسطين وهى العبرانية أو السيروكلدانية ثم ترجم بعد ذلك إلى اليونانية التى تغلبت على الأصل ، الذى فقد منذ القرن الحادى عشر .

إذن الآراء تنحصر فى أن هذا الإنجيل (إنجيل متى) كتب إما باللغة :

ـ العبرانية ، وهو رأى أشهر علماء النصارى ومنهم الأستاذ جرجس زوين اللبنانى وجيروم .

ـ أو العبرانية أو السريانية ؟ وهو رأى الجمهور من النصارى .

ـ أو اليونانية : وهو رأى الأستاذ بوست .

ـ أو العبرية أو السيروكلدانية : (صاحب ذخيرة الألباب) .

---

(١) عبد الرحمن بك أفندى باجة جى زادة : الفارق بين المخلوق والخالق ـ طبعة أولى ـ القاهرة بدون تاريخ ص ١٤ .

أما عن زمان ومكان كتابة هذا الإنجيل (إنجيل متى) فالآراء فى ذلك تتلخص فى الآتى :

ـ ابن البطريق يحدد أن متى كتب إنجيله فى عهد كلوديوس قيصر الرومان ولكن لا يذكر تاريخ السنة لكن عين المكان بأنه بيت المقدس وكلوديوس هذا جاء بعد المسيح بحوالى ١٨ سنة من رفع المسيح ، فكأن تاريخ كتابة هذا الإنجيل تدخل فى السنة ٤٥ أو ما بعدها بقليل ، على اعتبار أن المسيح عاش ٣٣ عاماً كما هو المشهور .

ـ ويقول صاحب كتاب مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين : إن متى كتب إنجيله قبل ومرقص ولوقا ويوحنا حسب رأى جمهور المسيحيين . ومرقص ولوقا كتبا إنجيلهما قبل خراب أورشاليم (ويشير بذلك قبل خرابها على يد الرومان سنة ٧٠ م) .

ـ ويقول صاحب ذخيرة الألباب : إن متى كتب إنجيله سنة ٤١ م .

ـ والأستاذ جرجس زوين اللبنانى يقول : سنة ٣٩ فى أورشاليم .

ـ والدكتور بوست يرى أنه كتب قبل خراب أورشاليم وأن ذلك كان ما بين سنة ٦٠ ، سنة ٦٥ .

ـ وهورن يقول سنة ٣٧ ، أو سنة ٣٨ ، أو سنة ٤١ ، أو سنة ٤٣ ، أو سنة ٤٨ ، أو سنة ٦١ ، أو سنة ٦٢ ، أو سنة ٦٣ ، أو سنة٦٥ ، أو سنة ٩٠ كما يقول بلك إبراهيم خليل الذى كان قسيساً وأسلم (١) .

وبذلك لا يحصل الجزم بتاريخ تدوين هذا الإنجيل ما دام مجال القول هكذا فسيحاً . وقاموس الكتاب المقدس نفسه لا يحسم هذا الأمر كذلك لأنه يقول : (وذهب بعض القدماء إلى أنه كتب فى السنة الثامنة بعد الصعود ـ وآخرون إلى أنه كتب فى السنة الخامسة عشرة) (٢) [راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٨٣٣/٣٨٢] .

ومثل هذا الخلاف الذى وقع فى تحديد زمان التأليف نجده فى تحديد مكانه .

فالقديس ابرنيموس يحدد ذلك بأنه فى أورشاليم ، وفى سنة ٣٩ ، وبالعبرية .

---

(١) إبراهيم خليل : الغفران ص ١٦ .

(٢) ن . م : نفس المكان .

ـ وابن البطريق يحدد بيت المقدس .

ـ صاحب ذخيرة الألباب : فلسطين .

ـ الأستاذ جرجس زوين اللبنانى : أورشاليم ، وإبراهيم خليل يقول إنه كان فى انطاكيا (١) .

أما عن اسم المترجم الذى ترجم النص الأصلى إلى اللغة اليونانية فلم يذكره أحد من المؤرخين (فيما نعلم) سوى ابن البطريق الذى صرح بأنه يوحنا صاحب الإنجيل ، لكن لم يؤيده فى هذا أحد من المؤرخين .

لكن تبقى مشكلة أخرى أمامنا وهى ما نجده من ترتيب هذا الإنجيل وجعله سابقاً لما عداه من أناجيل :

فهل صحيح أن متى كتب إنجيله قبل مرقص ؟ .

الجواب الذى توصل إليه كبار نقاد العهد الجديد من المعاصرين أن إنجيل مرقص هو الذى سبق فى الكتابة إنجيل متى .

٦ ـ محتويات إنجيل متى :

الخطوط العامة لهذا الإنجيل تجعلنا نعتقد أنه امتداد للعهد القديم بشكل ما ، فقد كتب ليثبت أن المسيح يكمل تاريخ بنى إسرائيل ، ولكى يحقق هذا الغرض فإنه دائماً يستشهد بفقرات من العهد القديم ، ويشير إلى أن المسيح يتصرف كالمسيح الذى ينتظره اليهود ، ويبدأ هذا الإنجيل بشجرة نسب المسيح .

واختلاف متى مع لوقا فى نسب المسيح يعتبر مشكلة من المشاكل الكبيرة التى علق عليها كل الباحثين فى المسيحية قديماً وحديثاً ، ونددوا بها .

وهناك إلى جانب ذلك مشكلة خطأ استشهاده بنبوءات العهد القديم التى أسرف فيها غاية الإسراف .

ومثل ذلك توقعه نهاية العالم قبل أن يدرك الموت بعض معاصرى

---

(١) ن . م : نفس المكان .

المسيح والذين استمعوا إلى تعاليمه ، وقبل فناء الجيل الذى عاصر المسيح ، ولكن لم يحدث شيء من ذلك .

٧ ـ مناقشة رواية متى عن المجوس

ـ بيت المقدس بينه وبين بيت لحم خمسة أميال .

ـ متى لم يتلمذ للمسيح إلا فى العام الذى رفع فيه .

ـ لوقا وماركوس ويوحنا : لم يذكروا شيئاً عن هذا فى أناجيلهم .

ـ ومتى لم يحضر ولادة المسيح ولكنه نقله عن كذاب (١) .

ـ كذلك كذب متى حين قال إن المسيح أخبر أنه سيدفن فى الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال ، وهو قال إن عيسى مات (بزعمهم) فى الساعة السادسة من يوم الجمعة ودفن فى أول ساعة من ليلة السبت ، وقام من بين الأموات صبيحة يوم الأحد ، فبقى فى باطن الأرض على هذا الزعم الفاسد يوماً وليلتين .

ـ وأيضاً فإن هذه الأخبار ليست متواترة : وشروط التواتر هى :

١ ـ ألا يكون عدد الناقلين محصوراً .

٢ ـ أن ينقل الجم الغفير عن الجم الغفير الذين شاهدوا المشهود به .

٣ ـ ألا يوجد بين أقوالهم تناقض واختلاف .

٤ ـ ألا يجوز العقل تواطأهم على الكذب .

وهنا ليس كذلك ، لأن عددهم محصور وهم أربعة رجال مجهولو الأحوال بدليل اختلاف علماء النصارى فى ذلك .

هذا ويلخص لنا الأستاذ أحمد عبد الوهاب آخر الآراء فى شأن إنجيل متى فيقول :

---

(١) انظر المناقشة الممتعة التى أجراها مؤلف كتاب (الفارق بين المخلوق والخالق) حول هذه النقطة ففيها بيان واضح لكذب واقعه المجوس هذه ص ٢٨ عند مناقشته لكلام متى الذى أورده فى الإصحاح الثانى .

إنجيـــل متى :

هو رجل يهودى .. والشك فى كونه تلميذاً راجع إلى كون هذا الإنجيل قد تكلم عن (إنسان جالس عند مكان الجباية اسمه متى) فذكر نفسه بصفة الغائب .

ـ تاريخ هذا الإنجيل : حوالى الفترة من ٨٥ ـ ١٠٥ م أى بعد رفع المسيح بحوالى ٦٠ عاماً ص ١٢٧ .

مكان كتابته : مكان ما فى المنطقة المحيطة بأنطاكية . أو مكان ما يقع فى شمال فلسطين .

مشاكله :

١ ـ خطأ الاستشهاد بنبوءات العهد القديم .

٢ ـ توقع نهاية سريعة للعالم .. فى أيام المسيح قبل أن يكون رسله قد أكملوا التبشير بالإنجيل فى مدن إسرائيل .

٣ ـ خاتمة الإنجيل تقول إن المسيح قال لتلاميذه اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم فهذه خاتمة مشكوك فيها كما يقول أودلف هرنك (١) .

* * *

٨ ـ إنجيـــل مرقص

مرقص : الذى نسب إليه إنجيل يحمل اسمه ، لا يعرف أحد بالضبط اسمه بالكامل ولا شيئاً عن صلته بالمسيح ، هل رأى المسيح أم لم يره فهناك من يقول إن اسمه يوحنا ولقب بمرقص ، ولم يكن قد سمع (يسوع) ولا كان تابعاً شخصياً له ، لكنه فى مرحلة متأخرة ـ كما يقول (بابياس)

---

(١) أحمد عبد الوهاب : المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص ٦٥ .

ـ والواقع أن مشاكل إنجيل متى لا تقف عند هذا الحد بل هى تصل إلى مئات نضرب صفحاً عن ذكرها هنا .. ومن أراد معرفة المزيد منها فليرجع إلى كتاب الفارق بين المخلوق والخالق ففيه بيان شاف عن ذلك .

قد تبع بطرس حوالى عام ١٣٥ م الذى قد اعتاد أن يوفق بين تعاليم المسيح والمطالب (١) .

ويصرح أيضاً (نينهام) بأن مرقص لم يقل أحد بأنه كان على صلة وثيقة بيسوع أو كانت له شهرة خاصة فى الكنيسة الأولى .

لكن الشيخ محمد أبو زهرة يقول إن مرقص من بين السبعين الذين نزل عليهم الروح القدس (فى اعتقاد النصارى) وأنه لم يكن من الحواريين الاثنى عشر الذين يسمون رسلًا ، وأن أسرته كانت بأورشاليم وقت ظهور المسيح .

ومرقص هذا خاله (برنابا) وهو أى برنابا من الرسل أى من التلاميذ الاثنى عشر المسمين بالحواريين ، وقد سافر مرقص مع برنابا وبولس إلى أنطاكية للدعوة ، ثم تركها وعاد إلى أورشاليم ، ثم قابل خاله برنابا مرة أخرى واصطحبه إلى قبرص ثم افترقا فذهب إلى شمال أفريقية ودخل مصر فى منتصف القرن الأول ، فأقام بها ، وكان يسافر منها أحياناً إلى شمال أفريقيا وروما ولكنه استقر بها إلى أن مات (أى فى مصر) بعد أن قتله الوثنيون سنة ٦٢ من الميلاد .

وقد جاء فى كتاب مروج الأخبار فى تراجم الأبرار أن مرقص كان ينكر ألوهية المسيح هو وبطرس الحوارى أستاذه ، وأنه صنف إنجيله بطلب من أهالى روما .

وقد كتبه باللغة اليونانية ، ولم يخالف فى ذلك أحد من كتاب المسيحيين .

وقد وافق على ذلك الدكتور بوست فى كتابه « قاموس الكتاب المقدس » كما وافق على أنه كتب فى روما بدليل أنه شرح فيه بعض الكلمات اللاتينية .

---

(١) تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب ـ حاشية ص ٢٠ .
وانظر أيضاً إبراهيم خليل أحمد ـ الغفران ص ١٥ .

أما ابن البطريق فيقول إن هذا الإنجيل كتب فى روما فى عصر نارون (أى نيرون) ـ القيصر ، وأن الذى كتبه بطرس رئيس الحواريين ، كتبه عن مرقص ونسبه إلى مرقص (١) .

ولكن إذا علم أن بطرس هو أستاذ مرقص ، لأنه (أى بطرس) رئيس الحواريين كما يصرح بذلك ابن البطريق ـ فكيف يكون بطرس راويا عن مرقص ؟ ثم ما معنى أن يكون بطرس راوياً عن مرقص ما سبق أن علمه إياه ، أليس ذلك غريباً !! .

ولذلك ذكر صاحب مرشد الطالبين : (قد زعم أن إنجيل مرقص كتب بتدبير بطرس سنة ٦١ ، لنفع الأمم الذين كان ينصرهم بخدمته) .

ولنلاحظ هنا قوله (وقد زعم) كأنه لا يصدقه مثلنا .

وهناك رأى آخر يقول إن مرقص ما كتب إنجيله إلا بعد وفاة بطرس وبولس وهو رأى ـ الكاتب القديم أرينيوس (١) ، وبطرس قد استشهد فى روما سنة ٦٥ م قتله نيرون .

والحق أن هذا الاختلاف ينتهي بنا إلى الشك فى شخص مؤلفه : أهو مرقص ، أم هو بطرس عن مرقص ؟ ونسبه إلى مرقص أم هو مرقص من غير تدبير بطرس ؟ لأنه كتب بعد موت بطرس ، فمن الكاتب إذن ؟ وكيف نرجح إحدى الروايتين على الأخرى ؟ .

أما عن زمان تأليفه : فقد قال هورن : (ألف إنجيل مرقص سنة ٥٦ وما بعدها إلى سنة ٦٥ م ، والأغلب أنه ألف سنة ٦٠ أو سنة ٦٣ م . بل وهناك من يقول إنه كتب حوالى سنة ٨٠ وهو رأى الأستاذ إبراهيم خليل الذى كان قسيساً وأسلم [انظر رسالة الغفران ص ١٧] .

ويقول صاحب كتاب مرشد الطالبين أنه كتب سنة ٦١ ميلادية .

---

(١) انظر ابن البطريق : (افتيشيوس المكنى بسعيد بن البطريق) : كتاب التاريخ المجموع ط . بيروت سنة ١٩٠٥ ـ ص ٩٦ سطر ٢٠ .

(٢) أبو زهرة ـ محاضرات فى النصرانية ص ٤٦ .

ـ هـذا ويؤيد الشيخ أبو زهرة فى هذا ما ذهب إليه دكتور كادوكس أستاذ تاريخ الكنيسة فى أكسفورد ـ انظر : إبراهيم خليل ـ الغفران ـ ص ١٦ .

ولكن بما أنه قتل سنة ٦٢ م فكيف يقال إنه كتبه سنة ٦٣ أو سنة ٦٥ ؟! .

٩ ـ مشاكل إنجيل مرقص

١ ـ الإنجيل قد كتب أولًا بالطريقة اليدوية لقرون عديدة ، ومن بين مئات المخطوطات التى عملت باليد لإنجيل مرقص والتى عاشت للآن . فإننا لا نجد أى نسختين تتفقان تماماً .

٢ ـ خاتمة إنجيل مرقص غير متفق عليها ، فالإصحاح السادس عشر منه وهو الأخير يحتوى على عشرين عدداً ، لكن الأعداد من رقم : ٩ إلى رقم : ٢٠ وهى آخر الإنجيل تعتبر فى نظر بعض المراجع الهامة مثل النسخة القياسية المراجعة من العهد الجديد ، كأنها فقرات غير موثوق بها .

٣ـ كذلك نجد فى النسخ المتداولة لإنجيل مرقص أن العدد بين ١٤ ، ١٥ من الإصحاح الأخير فيهما إضافة فى النسخة الاغريقية التى كانت تقرأ فى القرن الخامس الميلادى ، مما لا يتسع المقام لذكره هنا .

٤ـ ومما سبق يتبين بوضوح أن أحداً من الناس لا يدرى الخاتمة التى انتهى بها إنجيل مرقص ، وأن الغموض الذى يحيط بخاتمته لا يختلف كثيراً عن الغموض الذى يكتنف شخصية مرقص الذى التصق اسمه بهذا الإنجيل .

هذا ويلخص لنا الأستاذ أحمد عبد الوهاب صفوة الآراء فى شأن إنجيل مرقص أخذاً من أقوال العلماء المتخصصين وهم مسيحيون فيقول :

* * *

إنجيل مرقص :

الرأى الشائع أن مرقص من تلاميذ بطرس وتابعيه ولم يكن من تلاميذ المسيح .

والشائع أيضاً أنه كتب فى روما .. فى مقابل آراء أخرى تقول أنطاكية ـ أو مصر .

والتاريخ الذى كتب فيه يقع فى الفترة ما بين ٦٥ ـ ٧٥ م وغالباً ٦٥ أو ٦٦ م أى أنه كتب بعد رفع المسيح بحوالى ٣٥ عاماً .

مشاكل إنجيل مرقص :

١ ــ لا توجد نسختان متشابهتان .

٢ ــ خاتمة الإنجيل غير متفق عليها بالنسبة للأعداد من ٩ ــ ٢٠ [١] .

١٠ ــ إنجيـــل لوقا

إنجيل لوقا : هو ثالث الأناجيل ، لكن بالنسبة لشخص مؤلفه لا يوجد احتلاف فيه من حيث نسبة الإنجيل إليه ومن حيث اسمه . فالثابت أن لوقا هذا تلميذ لبولس ، وأن لوقا كتب إنجيله بإرشاد من بولس وأن لوقا لم يكن من أصل يهودى . وأن لوقا رافق بولس فى أسفاره وأعماله فقد جاء فى رسالة بولس نفسه ما يشير إلى هذا مراراً . علماً بأن هذه الرسائل التى تسمى رسائل بولس إنما كتبها لوقا نفسه عن أستاذه بولس وحكى فيها سيرة بولس ، لذلك ليس غريباً أن نجد فيها اسم لوقا عدة مرات .

وبالنسبة للوظيفة التى كان يعمل بها بولس ، رواية تقول إنه كان طبيباً ــ وأخرى تقول إن كان مصوراً .

ــ أما عن مكان ولادته : فيقال إنه ولد فى أنطاكية .

ومهنة الطب التى نسب إليها لوقا (كما ورد فى رسالة بولس إلى كولوسى) ورواها أيضاً ابن البطريق واستنتج منها القس إبراهيم سعيد نتائج هامة تتصل بدقته فى الكتابة وهدوئه العلمى [٢] .. إلخ .

نقول : وجد من المؤرخين أيضاً من يقررون أنه كان مصوراً .

وبذلك يكون هناك خلاف حول أصله : أهو أنطاكى أو رومى نشأ فى إيطاليا ، وحول صناعته أهو طبيب أم مصور ، وربما يمكن الجمع بين الطب والتصوير ، لكن كيف يمكن الجمع بين أنطاكيا وروما ؟ .

---

(١) أحمد عبد الوهاب : المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص ١٢٧ .

(٢) من أراد المزيد من المعلومات عن هذا الموضوع فليراجع الكتاب الهام الذى ألفه المهندس المصرى أحمد عبد الوهاب باسم (المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ، خلاصة أبحاث علماء المسيحية فى الغرب ــ طبع القاهرة ــ مكتبة وهبة سنة ١٩٧٨ ص ٥٥ .

راجع أيضاً قاموس الكتاب المقدس ص ٨٢٠ .

يبقى الاتفاق بين الجميع على أنه كان من تلاميذ بولس ورفقائه ولم يكن من تلاميذ المسيح ولا تلاميذ حوارييه ، ولبولس هذا شأن خطير فى المسيحية كما مضى القول بذلك .

١١ ـ لمن كتب لوقا إنجيله

القس إبراهيم سعيد يقول إنه كتبه لليونان ، كما كتب متى إنجيله لليهود ، ومرقس إنجيله للرومان ، ويوحنا للكنيسة العامة ، لكن من يقرأ المقدمة التى بدأ بها لوقا إنجيله يجده يقول فيها : (إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا ، كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة ، رأيت أنا أيضاً ، إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالى إليك أيها العزيز ثاوفيليس لتعرف صحة الكلام الذى علمت به) .

وثاوفيليس هذا يقول عنه ابن البطريق أنه من عظماء الروم أى ليس يونانياً ، كما يقول القس إبراهيم سعيد (١) .

وليس هذا فحسب بل هناك من يقول إن ثاوفيلس هذا كان مصرياً لا يونانياً ، فهو إذن قد كتب إنجيله للمصريين ، لا لليونان ولا للرومان (!!) .

١٢ ـ تاريخ كتابة هذا الإنجيل

الدكتور بوست يقول فى تاريخه إن هذا الإنجيل قد كتب قبل خراب أورشاليم وقبل أعمال الرسل (لأن لوقا هو صاحب كتاب أعمال الرسل ـ أيضاً) . والأعمال كتبت سنة ٦٢ أو سنة ٦٣ م ، ويرجح أنه كتبه فى قيصرية فى فلسطين مدة أسر بولس سنة ٥٨ ـ ٦٠ ميلادية . ثم يقول غير أن البعض يظنون أنه قد كتب قبل ذلك .

ويفهم من ذلك أن لوقا كتبه وبولس حى (لأن بولس كان فى الأسر) .

---

(١) ابن البطريق : (البطريرك أفتيشيوس المكنى بسعيد بن البطريق) : كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ـ طبع بيروت سنة ١٩٠٥ ـ ص ٩٦ .

لكن العلامة (لارون) يحقق أنه حرر إنجيله بعد أن حرر مرقص إنجيله ، وذلك بعد موت (بطرس ، وبولس) .

وهورن يقول : (ألف الإنجيل الثالث سنة ٥٣ أو سنة ٦٣ أو سنة ٦٤) .

وبذلك يتلخص لنا أن هناك خلافاً فى تاريخ تحرير هذا الإنجيل ، كما سبق أن وجدنا خلافات أخرى حول شخصه أهو أنطاكى أم رومانى ، وحول من كتب لهم هذا الإنجيل ، اليونان ؟ أو الرومان ؟ أم المصريون ؟ .

والاتفاق موجود حول أنه من تلاميذ بولس وليس من تلاميذ المسيح ولا تلاميذ تلاميذه .

١٣ ـ آراء أخرى حول إنجيل لوقا

إنجيل لوقا :

من المحتمل أن يكون مؤلف إنجيل لوقا قد جمع مادته فى فلسطين أو سورية مبكراً فى الفترة ٧٠ ـ ٨٠ م إن لم يكن قبل ذلك . بل وهناك من يقول إن لوقا دوَّن إنجيله فى مكان ما باليونان . (إبراهيم خليل ـ الغفران ص ١٧) ، ثم ربطه بالجزء الأكبر من إنجيل مرقص فى وقت ما من السبعينات ، ثم أصدر إنجيله حوالى ٨٠ أو٨٥ م .

وبعد ذلك بحوالى خمس سنوات فإنه كتب رسالته الثانية المعروفة باسم أعمال الرسل لكى ترد على أسئلة المثقفين وربما كبار موظفى الرومان مثل ثاوفيلس ، ثم نشر مصنفه عام ٩٥ (١) .

يوحى كلامه بأنه كان أممياً أى من غير اليهود .

هذا ويلخص لنا الأستاذ أحمد عبد الوهاب الموقف الأخير من إنجيل لوقا فيقول :

إنجيـــل لوقا :

لوقا لم ير المسيح . وتقول مقدمة إنجيله أنه كتبه كرسالة شخصية إلى

---

(١) أحمد عبد الوهاب : المسيح فى مصادر العقائد المسيحية : القاهرة ـ مكتبة وهبه ص ١٢٧ .

إنسان اسمه ثاوفيلس .. ولم يدع أنه كتبها بإلهام .. فقط يقول إن كتابته جاءت نتيجة لاجتهاده وهو نفسه صاحب رسائل الرسل .

أصدر الإنجيل سنة ٨٠ أو سنة ٨٥ م والرسائل بعد ذلك بخمس سنوات كذيل له ثم نشر المصنف حوالى ٩٥ م أى أن الإنجيل نفسه قد كتب بعد رفع المسيح بحوالى ٥٠ عاماً .

كان لوقا أمياً .. وكتب إنجيله من مفكرة أحد أصحاب بولس .

ويقول قدماء المسيحيين مثل كليمنت السكندرى وترتليان و أوريجن وايزيبوس وجيروم : أن لوقا من أنطاكية .

١٤ ـ مشاكل إنجيل لوقا

١ ـ النص الغربى يختلف عن النص السكندرى والبيزنطى .

٢ ـ يكرر لوقا فقرات معينه مرتين فى موضعين مختلفين بلغت ١١ فقرة .

٣ ـ نسب المسيح فى لوقا يختلف عما ذكره متى وعما ذكرته أسفار العهد القديم عن نسب أجداد المسيح [١] .

١٥ ـ إنجيل يوحنا

من المؤكد أنه كان هناك تلميذ من حوارى المسيح الاثنى عشر المسمين رسلاً ، اسمه : يوحنا بن زبدى الصياد وأن المسيح ـ عليه السلام ـ كان يؤثره بحبه ، هذا مؤكد كما قلنا .

أما الذى ليس بمؤكد فهو أن يكون هذا الشخص نفسه هو مؤلف الإنجيل المسمى (إنجيل يوحنا) ، هذا أمر مشكوك فيه كثيراً بين المحققين من علماء النصارى ، لماذا ؟ .

لأن هذا الإنجيل قد تميز بشىء فريد صار أصلاً فى الديانة المسيحية وهو التصريح بألوهية المسيح ، عكس غيره من الأناجيل ، فإن ذلك لم يذكر صراحة فيها .

---

(١) أحمد عبد الوهاب ـ المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص ٦٥ ـ ٦٧ .

وأيضاً فإن هذا الإنجيل قد حوى مسائل فلسفية تشير بوضوح إلى صلة صاحبه بالبيئة الفلسفية والثقافية التى كانت شائعة آنذاك .

وكما وجدنا فى غيره من الأناجيل خلافات حول مؤلفيها وتاريخ تأليف كل منهم لإنجيله واللغة التى كتب بها .

نجد هنا نفس الخلافات بل هى أشد حدة .

والمناقشات حول هذا الإنجيل بالذات أخذت شكلًا خاصاً يختلف عن المناقشات التى حدثت بالنسبة لسابقيه من الأناجيل .

وأمامنا فى هذا الصدد مجموعة كبيرة من المتخصصين فى الأديان ـ المسيحية بالذات ـ يقررون دون ما لبس أو خفاء أن هذا الإنجيل فى كل ما يتعلق به سواء من حيث موضوعاته أو شخصية مؤلفه أو تاريخ تأليفه ، أو المعضلات التى خالف فيها الأناجيل الأخرى ، كل ذلك لا توجد له حلول أو ردود مطمئنة ، ومن هؤلاء الرجال نذكر :

جون مارش .

وجرانت .

وم . كولمان .

وستادلن .

ود . بوست .

وجرجس زوين .

ويوسف الخورى .

وصاحب كتاب مرشد الطالبين .

وتشارلز بوتر .

فضلًا عن دائرة المعارف البريطانية .

ودائرة المعارف الأمريكية .

وموريس بوكاى .

أما جون مارش : فيقول فى مقدمته لتفسير إنجيل يوحنا هذا تحت عنوان (استحالة التوكيد) : إنه من الصعب إن لم يكن من المستحيل تحقيق أى شىء أكثر من الاحتمال حول مشاكل إنجيل يوحنا .

ويضرب أمثلة على هذه المشاكل قائلًا :

ـ من كان هذا الـ (يوحنا) الذى قيل إنه المؤلف ؟.

ـ أين عاش ؟ .

ـ لمن من الجمهور كتب إنجيله ؟ .

ـ أى المصادر كان يعتمد عليها ؟ .

ـ متى كتب مصنفه ؟ .

من المحتمل أن يكون كاتبه هو يوحنا مرقص (وليس يوحنا بن زبدى الصياد) الذى كان له طائفة خاصة كانت تعتبر نفسها عالمية ، كما كانت متأثرة بوجود تلاميذ يوحنا المعمدان [١] . وسنزيد هذا الأمر وضوحاً فى فقرة تالية ـ مستقلة .

أما (جرانت) : فخلاصة رأيه أن : يوحنا كان مسيحياً ، ومن المحتمل ألا يكون يهودياً ، وأنه كان إلى جانب ذلك : هلينياً : أى ذا ثقافة فلسفية ، ولكنه شرقى أو إغريقى .

أما عن مكان كتابة هذا الشخص لإنجيله فيقول جرانت أيضاً : « ومن المحتمل أن يكون إنجيل يوحنا قد كتب فى أنطاكية أو أفسس أو الأسكندرية ، أو حتى روما » .

ويعلل اختياره لهذه الأماكن بالذات ، بأنها كانت مراكز عالمية للدعاية العقائدية ، فى القرنين الأول والثانى للميلاد ، كما كانت على اتصال ببعضها .

• هذا ويقول ابن البطريق أن يوحنا كتب إنجيله فى جزيرة يقال لها بطمس من أرض آسيا وهى أرض الروم [٢] .

* * *

---

(١) محمد عبد الله الشرقاوى (الدكتور) : فى مقارنة الأديان : بحوث ودراسات ـ دار الهداية : القاهرة ـ سنة ١٩٨٦ ـ ص ١٤٣ .

(٢) محمد عبد الله الشرقاوى ـ فى مقارنة الأديان ص ١٤٤ .

١٦ ـ أما عن موضوع هذا الإنجيل

فيرى جرانت أنه كتب بغرض التعليم والعبادة فى الكنائس ، وكذلك التبشير والدعاية خارج الكنائس .

وهو يختص بموضوعات كانت محل جدل فى العالم المسيحى غير اليهودى ، فى نهاية القرن الأول ، أو بداية القرن الثانى ، عندما انتشرت نظرية (غنوصية) حاولت أن تزيد من تبجيل المسيح . فجعلته شبحاً بلا وجود أو مخلوقاً إلهياً تجسد مؤقتاً ، ولم يعان عذاباً ولم يذق الموت .

وهذا بالفعل ما نجده واضحاً فى هذا الإنجيل .

ويضيف جرانت إلى ذلك قوله : (إن من المعتقد أن يوحنا كان على علم بوجود الأناجيل الثلاثة المتشابهة ، وأنه قد كتب إنجيله ليكملها أو ليصححها) (١) .

أمّا ـ م . كولمان :

فيعلق على الاختلافات الصارخة بين هذا الإنجيل والأناجيل الثلاثة الأخرى بأن ليوحنا مرامى لاهوتية تختلف عن مرامى المبشرين الآخرين .

ولكن استادلن : يقول ـ فيما يرويه عنه الشيخ محمد أبو زهرة : (إن كافة إنجيل يوحنا هو من عمل طالب من طلبة مدرسة الأسكندرية) .

ويضيف الأستاذ أبو زهرة إلى ذلك : أن إنكار علماء النصرانية نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا الصياد الحوارى ليست وليدة هذه العصور المتأخرة فحسب ، بل (ابتدأ فى القرن الثانى الميلادى إذ أنكروا نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا الحوارى ، وكان بين ظهرانيهم ، أرينيوس تلميذ بوليكارب تلميذ يوحنا الحوارى ، ولم يرد عليهم بأنه سمع من أستاذه صحة تلك النسبة ، ولو كانت صحيحة لعلم بذلك حتماً تلميذه بوليكارب ولأعلم تلميذه أرينيوس ، ولأعلن هذا الأخير تلك النسبة عندما شاع إنكارها .

* * *

---

(١) ابن البطريق ـ المصدر السابق ص ١٠٠ .

أما دكتور بوست :

فيذكر الآراء المختلفة حول تاريخ تدوين هذا الإنجيل (وهو من المتعصبين الذين يرون أن هذا الإنجيل قد كتبه يوحنا الحوارى) فيقول : يرجح أنه كتب ـ سنة ٩٥ م أو سنة ٩٨ م أو سنة ٩٦ م . بينما يذكر ابن البطريق أن يوحنا ألف إنجيله فى عصر طرابيانوس القيصر الملك (١) .

لكن هورن يقول : تواريخ أخرى لتأليف هذا الكتاب ، فهو يرى أن هذا الإنجيل قد ألف سنة ٦٨ م أو سنة ٦٩ م أو سنة ٧٠ م ، أو سنة ٨٩ م ، أو سنة ٩٨ م . بل وذهب بعض الباحثين الآخرين إلى أنه قد كتب ما بين عامى ١١٠ ، ١١٥ م وهو رأى الأستاذ إبراهيم خليل الذى كان قسيساً وأسلم [انظر له الغفران ص ٣٨] .

وعن السبب فى تأليف هذا الإنجيل : نجد كلا من جرجس زوين ويوسف الخورى وصاحب كتاب مرشد الطالبين يقولون : إن بعض الناس قد سادت عندهم فكرة أن المسيح ليس بإله ، وأن كثيرين من فرق الشرق كانت تقرر تلك الحقيقة ، فطلب إلى يوحنا أن يكتب إنجيلًا يتضمن بيان هذه الألوهية ، فكتب هذا الإنجيل .

ويذكر جرجس زوين أسماء بعض هؤلاء المنكرين فيقول : (إن شير ينطوس وأبيسون وجماعاتهما لما كانوا يعلمون المسيحية بأن المسيح ليس إلا إنساناً ، وأنه لم يكن قبل أمه مريم ، فلذلك اجتمع عموم أساقفة آسيا وغيرهم عند يوحنا ، والتمسوا منه أن يكتب عن المسيح ، وينادى بإنجيل مما لم يكتبه الآخرون ، وأن يكتب بنوع خصوصى لاهوت المسيح .

ويؤيد الثالث (أى صاحب كتاب مرشد الطالبين) مضمون هذا الرأى (٢) .

ويرى تشارلز بوتر : أن إنجيل يوحنا هذا مملوء بالغنوصية ، إذ هو يقرر فى افتتاحيته (فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة

---

(١) ابن البطريق ـ المصدر السابق ص ١٠٠ .

(٢) محمد عبد الله الشرقاوى ـ فى مقارنة الأديان ٢٤٨ ، وانظر : محمد أبو زهرة ـ محاضرات فى النصرانية ص ٤٩ ، ٥٠ .

هو الله ..) فيقول إن هذا غنوصية محض ، وأيضاً فإن تعاليم يسوع وعقيدته وإيمانه الشخصى لم تكن أبداً عقيدة التثليث ، التى استحدثت فى الغنوصية التى أنشأها بولس وأتباعه ، ومعنى أنه غنوصية أى أن شخص المسيح لم يكن إنساناً حقيقياً . بل كائناً سماوياً حل فى جسد بشرى وهذا هو معنى أول كلمة فى هذا الإنجيل (وكان الكلمة هو الله ثم صار جسداً وحل بيننا) .

تشير دائرة المعارف الأمريكية بأنه من الصعب الجمع بين هذا الإنجيل والأناجيل الثلاثة بمعنى أننا لو قلنا أنها صحيحة لتحتم أن يكون هذا الإنجيل كاذباً .

أما دائرة المعارف البريطانية : فتصرح بأن هذا الإنجيل لا مرية ولاشك فى أنه كتاب مزور ، أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض هما : يوحنا بن زبدى الصياد ، ومتى .

وأخيراً نشير إلى رأى الدكتور موريس بوكاى ، وهو من الباحثين فى الأديان الثلاثة (اليهودية ـ المسيحية ـ الإسلام) المعاصرين : وهو يرى أن إنجيل يوحنا هذا به مشاكل كثيرة ، حول مؤلفه وحول الموضوعات التى يتضمنها ، لأنها تتنافر مع الأناجيل الثلاثة تنافراً صارخاً ، وإذن فمن نصدق ؟ أنصدق متى ؟ أم مرقص ؟ أم لوقا ؟ أم يوحنا (١) ؟.

* * *

١٧ ـ خلاصة الكلام فى إنجيل يوحنا

ـ متى صنفه ؟ لا يعرف ذلك على وجه اليقين .

ـ الشك فى نسبة هذا الإنجيل ليوحنا الحوارى قديم جداً ، ابتدأ فى القرن الثانى الميلادى ، إذ أن بوليكارب تلميذ يوحنا الحوارى ، وأرينيوس تلميذ بوليكارب لم يذكرا شيئاً عنه . [محاضرات فى النصرانية نقلًا عن استادلن] .

ـ تاريخ تدوين هذا الإنجيل هناك أقوال .. فالدكتور بوست وهو

---

(١) موريس بوكاى ـ الكتب المقدسة .. فى ضوء المعارف الحديثة ـ طبعة الفتح للاعلام العربى ـ القاهرة ص ٩٣ .

من المتعصبين ليوحنا الحوارى يقول إن هذا الإنجيل كتبه سنة ٩٥ أو سنة ٩٨ أو سنة ٩٦ ميلادية .

هورن يقول : إن هذا الإنجيل كتب ٦٨ أو ٦٩ أو ٧٠ أو ٨٩ أو ٩٨ ، والغرض منه التصريح بألوهية المسيح بعد أن كان شير ينطوس وابيسون وجماعتهما يعلمون المسيحية بأن المسيح ليس إلا إنساناً . (مقدمة الرد الجميل ص ٥٢ بتحقيق د . الشرقاوى) .

* * *

١٧ ـ مزيد من الضوء عمن هو مؤلف إنجيل يوحنا

يقول التاريخ أنه كان هناك فى آسيا الصغرى طائفة من المسيحيين ترفض الاعتراف بكون هذا الإنجيل من تأليف يوحنا ، وذلك فى نحو سنة ١٦٥ م وكانت هذه الطبقة من كثرة عددها جديرة بأن يتحدث عنها القديس (ابيفانيوس) حديثاً طويلًا فى ٣٧٤ م ـ ٣٧٧ م .

فلو كانت أصلية إنجيل يوحنا فوق كل شبهة ، فهل كانت مثل هذه الطبقة تتخذ نحوه أمثال هذه النظريات فى مثل هذا العصر ، ومثل هذا البلد ؟ .

كلا .. وألف كلا [1] .

ثم هناك شهادات يحملها هذا الإنجيل فى طيها ، تنطق بأنه ليس تأليف يوحنا الحوارى ، فمثلًا : يفوح هذا الإنجيل بأن مؤلفه عالم يهودى بالتأكيد ، عارف بالتصورات والمعتقدات اليهودية [انظر مثلًا : ٤ : ٢٧ ، ٧ : ١٥ ، ٩ : ٧ ، ٤ : ٩ : ، ٧ : ٤٩ ، ١ : ٢١ ، ٤ : ٢٥ ، ٦ : ١٤ ، ٧ : ٤ ، ١٢ : ٣٤ ، ٧ : ٢٢ ، ١ : ٢٨ ، ٧ : ٣٧ ..] .

على حين أن يوحنا بن زبدى الحوارى كان أمياً جاهلًا ، كما يدل عليه أعمال الرسل ٤ : ١٣ ثم إنه ليشف عن أن مؤلفه كان ينتمى إلى أسرة ذات نفوذ وسلطان كبيرين [2] .

---

(١) دائرة المعارف البريطانية ج ١٣ ص ١٩٨ مقالة .

(٢) راجع مثلًا : ١٨ : ١٥ ـ ١٦ ، ٣ : ١ ، ٧ : ٥ ، ١٩ : ٣٨ ـ ٧ : ١١٤٥ : ١٢٣٧ : ١٠ .

بينما كان يوحنا الحوارى سماكاً وبسيطاً بالنسبة إلى الشرف الدنيوى ، أضف إلى ذلك أن الإنجيل الرابع على تضارب مع الأناجيل الثلاثة الأولى بالقياس إلى محتوياته وأن أسلوبه غير أسلوبها (١) .

وأول من اعتبر هذا الإنجيل تأليف يوحنا هو (أرينوس) (ت : ١٧٧) الذى يرى فيه العلماء المسيحيون أنه ليس من دقة النظر وسداد الرأى والنقد بالمكان الذى يسمح بالتعويل عليه كثيراً .

ولكن العلماء الذين يقولون بصحته ويريدون أن يتفادوا تهمة كونه منحولًا مصطنعاً ، تكاد تتفق كلمتهم فى عصرنا هذا على أن مؤلف هذا الإنجيل ليس هو يوحنا بن زبدى الحوارى ، وإنما هو يوحنا الأرشد (٢) .

ويوحنا الأرشد هذا كان من تلاميذ سيدنا المسيح عليه السلام ولكنه ليس معدوداً من الحواريين الاثنى عشر ، وإنما أكرمه السيد المسيح بصحبته فى آخر أيامه .. وكان يوحنا الأرشد هذا فتى مثقفاً عالماً بالتوراة ، كما كان من أبناء بيت صدوقى شريف ، وكل ذلك تحدث عنه فى إنجيله .. هذا ما قاله عالم مسيحى معاصر هو :

آرتسن ديكى بركة الله (٣) .

ولكن يعكر على هذا أن يوحنا الأرشد هذا لم يذكر ولا مرة فى مناسبة من المناسبات التى ذكر فيها غيره ، ولذلك عدل عن اعتباره تلميذاً . وفضلاً عن هذا فإن يوحنا بن زبدى قد مات شنقاً بواسطة أغريباس الأول سنة ٤٤ م هذا ما يقوله : ر . هـ . تشارلز الفريد وروبرت ايزلر وعلماء آخرون ــ [انظر : إبراهيم خليل المصدر السابق ص ٣٨] .

---

(١) دائرة المعارف البريطانية ج ١٣ مقالة **Jhon** ص ٨٣ .

(٢) انظر : من المسيح إلى قسطنطين ص ١١٩ لندن ١٩٣٦ أخذاً من ما هى النصرانية ص ١٤٤ .

(٣) قدم وأصلية الأناجيل الأربعة ج ٢ ص ١٣١ ط ١٩٦ أخذ عن ما هى النصرانية ص ١٤٥ .

١٩ ـ وجماع القول فى من هو مؤلف إنجيل يوحنا ؟

تؤكد الإشارات المختلفة الموجودة فى الإنجيل الرابع ـ إنجيل يوحنا والمشار إليها آنفاً أن هذا الإنجيل ليس من عمل يوحنا الحوارى .. وإنما هو من عمل شخص آخر أصح قول فيه أنه لم يكن من عمل تلميذ لسيدنا عيسى عليه السلام ـ مباشرة وإنما كان تلميذ تلاميذه (١) .

وأن الجملة الأخيرة فى هذا الإنجيل والتى تقول هذا هو التلميذ الذى يشهد بهذا ، وكتب هذا ، ونعلم أن (شهادته حق !! قد أضيفت إليه فيما بعد ربما بواسطة شيوخ أفسس ، ولذلك فخلاصة ما انتهى إليه بحث علماء المسيحيين المعاصرين من أمثال الأستاذ ستريتر صاحب كتاب (الأناجيل الأربعة) والقس بركة الله ايم أى صاحب كتاب (قدم وأصلية الأناجيل الأربعة) هى أن :

١ ـ عقيدة الحلول والتجسد لم تثبت عن سيدنا عيسى عليه السلام أو أحد من حوارييه .

٢ ـ وأول من كتب هذه العقيدة فى ترجمة سيدنا المسيح هو رجل كان وهو فى سن ١٢ سنة من عمره قد رأى المسيح فقط ، ولم يتلق منه تعليماً .

٣ ـ والذى يطرح هذه العقيدة هو مجهول الحال ، أى لا يعلم سوى هذه الكتابات أنه رجل أى طبيعة وذوق كان ، وأياً كانت نظرياته ، أو من عنده وضع هذه العقيدة ، أم سمعها من غيره ؟ أين عاش حياته ؟ وماذا كانت علاقاته مع الحواريين ؟ .

٤ ـ أدخل هذه العقيدة فى الإنجيل فى سنة ٩٥ م . إذ كان فى السبعين من عمره ، وكان قد مضى على موت بولس ٢٨ عاماً (إذ أنه توفى سنة ٦٧ م) .

٥ ـ بما أن بولس كان قد مات من قبل وقد بين فى رسائله عقيدة

---

(١) انظر : ستريتر : الأناجيل الأربعة ص ٤٣١ ، ٤٤٣ .

الحلول والتجسد فى عبارة مكشوفة صريحة فإن أول من طرح هذه العقيدة ليس هو يوحنا الأرشد ، وإنما هو بولس (١) .

٢٠ ـ هذا ويلخص لنا الأستاذ أحمد عبد الوهاب آخر ما وصل إليه البحث العلمى الحديث فى هذا الموضوع فيقول :

إنجيـــل يوحنا :

كتب هذا الإنجيل بغرض التعليم والعبادة فى الكنائس ، وكذلك بغرض التبشير والدعاية خارج الكنيسة .

المؤلف : مسيحى شرقى أو إغريقى وليس يهودياً .

كتب هذا الإنجيل فى أنطاكية أو أفسس أو الأسكندرية أو حتى روما .. لأن هذه المدن كان مركزاً عالمياً للدعاية العقائدية فى القرنين الأول والثانى من الميلاد .. كما كانت على اتصال ببعضها .

وقد كتب بعد رفع المسيح بمدة تتراوح بين ٧٠ ، ٩٠ عاماً (ص ١٢٧) .

هذا الإنجيل صحح تاريخ الصلب حيث وضعه عشية الفصح يوم الخميس فى اليوم التالى الذى تذبح فيه خراف الفصح بينما تقرر الأناجيل الثلاثة الأخرى أن الصلب حدث يوم الجمعة .

استعمل لقب ابن الإنسان وصفاً للمسيح .

يختص هذا الإنجيل بموضوعات كانت موضع جدل فى العالم المسيحى من غير اليهود .. فى نهاية القرن الأول أو بداية القرن الثانى . مفادها نظرية غنوصية حاولت أن تزيد من تبجيل المسيح فجعلته شبحاً غير حقيقى ومخلوقاً إلهياً تجسد مؤقتاً لم يعان عذاباً ولم يذق الموت .. فجاء هذا الإنجيل لينفى ذلك ويثبت كون المسيح إنساناً حقيقياً ومخلوقاً إلهياً تجسد وعانى العذاب وذاق الموت (٢) .

---

(١) محمد تقى العثمانى ـ ما هى النصرانية ؟ طبعة رابطة العالم الإسلامى ـ بدون تاريخ ص ١٥٧/١٤١ .

(٢) أحمد عبد الوهاب : المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص ٦٥/ ٦٩ .

وبسبب أن يوحنا هذا كان مسيحياً وفى نفس الوقت هيلينيا أى متأثراً بالثقافة الجديدة المحيطة بالثقافة اليهودية لذلك كان متأثراً بالنظرية الرواقية فى (الكلمة) .

ويعتقد جون مارش مفسر إنجيل يوحنا أنه لا توجد مشكلة لها حل فيما يتصل بمشاكل هذا الإنجيل . بالنسبة لاسمه .. من هو ؟ أين عاش ؟ لمن من الجمهور كان يكتب إنجيله ؟ أى المصادر كان يعتمد عليها . متى كتب مصنفه هذا ؟

وقول أنه من المحتمل أن يكون يوحنا هذا هو يوحنا مرقص ، وليس يوحنا بن زبدى أحد التلاميذ الاثنى عشر .

مشاكل إنجيـــل يوحنا :

١ ـ الأناجيل الثلاثة المتشابهة تجعل منطقة الجليل هى المحل الرئيسى لرسالة يسوع بينما يقرر إنجيل يوحنا أن ولاية اليهودية كانت هى المركز الرئيسى .

٢ ـ خاتمة هذا الإنجيل من المفروض أن تنتهى عند نهاية الإصحاح (٢٠) ولذلك فوجود إصحاح آخر بعده هو الإصحاح ٢١ مشكوك فيه .

٣ ـ يختلف هذا الإنجيل مع بقية الأناجيل ، لأنه صرح بألوهية المسيح علاوة على موضوعات أخرى (١) .

٢١ ـ مصادر الأناجيل وسماتها

ـ مصادر الاناجيل الثلاثة المتشابهة التى هى إنجيل مرقص ومتى ولوقا هى :

١ ـ مصدر مجهول كان مكتوباً باللغة الآرامية وكانت ترجمته اليونانية موجودة بين يدى مدونى هذه الأناجيل .

٢ ـ وثيقة أخرى هى إنجيل بدائى لمرقص :

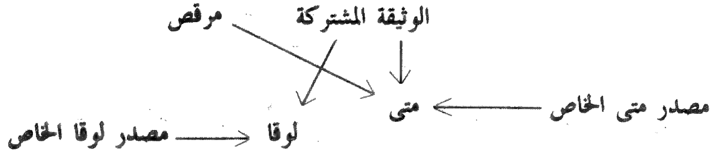
[Primitive Mark] هى مسودة قديمة من إنجيل مرقص مكتوبة على أساس أحاديث بطرس عن يسوع المسيح .

---

(١) أحمد عبد الوهاب ـ المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص ٧٠

٣ ـ وثيقة ثالثة يرمز إليها بالحرف (L) وهى مجموعة من التقارير حول يسوع المسيح استعملها لوقا وحده (١) .

وإليك رسماً :



انظر فى هذا موريس بوكاى ـ المصدر السابق ص ٩٥ ـ وهناك تصور آخر لمصادر الأناجيل قدمه الأب بومار لبيان مصادر الأناجيل الأربعة ـ وهو أشد تعقيداً من هذا . وقد نشره بوكاى أيضاً فى كتابه السالف الذكر ص ٩٧ .

٢١ ـ تقسيم نص الكتاب المقدس إلى إصحاحات (فصول) الذى يبدو شائعاً اليوم ـ قد ظهر لأول مرة سنة ١٢٠٠ وهو يرجع إلى أسقف كانتربرى [Canterbury] ستيفن لانجتون عام ١٢٢٧ أم تقسيم الإصحاحات إلى آيات (أعداد) مرقمة فهو يرجع إلى الناشر الباريسى روبرت ستيفنون وظهر لأول مرة فى صلبه ١٥٥١ م .

٢٢ ـ المخطـــوطات

١ ـ **النسخة السينائية** : وترجع إلى القرن الرابع الميلادى وتضم نص العهدين .

٢ ـ **نسخة اسكندرية** : وترجع إلى القرن الخامس وهى تضم نص العهد الجديد الإغريقى وهو ناقص .

٣ ـ **نسخة الفاتيكان** : وهى تضم نص العهدين القديم والجديد مع نقص بين فى كثير من المواضع ـ وهى ترجع إلى القرن الرابع .

---

(١) إبراهيم خليل أحمد : الغفران بين الإسلام والمسيحية ـ دار المنار ـ القاهرة ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩ م ص ١٥ .

* المعلومات الواردة فى هذه الفقرة بخصوص تواريخ كتابة الأناجيل لا تتعارض مع ما سبق أن ذكر عنها لأن فى الموضوع آراء .. واجتهادات .

٤ ـ نسخة أفرايمية : كتبت فى القرن الخامس : وهى تحتوى نصاً يونانياً ـ ناقصاً جداً .. [إبراهيم خليل م س/ ص ٣٨] .

ومعنى هذا أن أقدم نسخة خطية مدونة للتوراة قد كتبت بعد نزول التوراة بأكثر من ألفى سنة ، وأن أقدم نسخة خطية موجودة مدونة للعهد الجديد قد كتبت بعد رفع المسيح عيسى عليه السلام بأكثر من أربعة قرون (١) .

٢٣ ـ مشاكل رئيسية فى الأناجيل

١ ـ الاختلاف الكثير .

٢ ـ خطأ الاستشهاد بالعهد القديم .

٣ ـ قضية الصلب .

٤ ـ قضية القيامة والظهور .. وهذه قد سبق مناقشتها عند الكلام عن أحداث الصلب .

ولنبدأ بذكر ما يخص كل واحدة .. منها بالتفصيل :

وبالنسبة لقضية الاختلاف الكثير بين الأناجيل نجد هنا ست مشاكل هى :

١ ـ نسب المسيح .

٢ ـ أسماء التلاميذ .

٣ ـ روايات مختلفة .

٤ ـ روايات متنافرة .

٥ ـ تحريف ألقاب المسيح والكلمات الحاكمة .

٦ ـ تنبؤات لم تتحقق .

أما عن نسب المسيح :

فالاختلاف فيه ينحصر فى المسائل الآتية :

---

(١) إبراهيم خليل : المصدر السابق ص ٣٨ .

١ ـ المسيح ينسب ليوسف النجار .. كما ذكر ذلك متى .

٢ ـ ذكر كل من متى ولوقا تسلسل نسب المسيح باعتبار أن يوسف النجار هو أبوه الشرعى .. ليتم بذلك التوصل إلى جعله من نسل داود ما دام يوسف النجار من نسل داود .

٣ ـ ولكن الناظر فى سلسلة النسب التى ذكرها متى يجدها مختلفة عن سلسلة النسب التى ذكرها لوقا بعضهما عن البعض .. وهذا يستطيع أن يدركه القارىء العادى بأدنى تأمل .

بل إن سلسلة أنساب الآباء قد وردت فى أسفار العهد القديم وخاصة فى سفرى التكوين وأخبار الأيام الأول .. [إصحاح ٣] وهى مختلفة عما ذكره كل من متى ولوقا .. ولنذكر مثالًا واحداً من الاختلاف الذى وقع بين متى ولوقا : فإن لوقا يسير بالنسب إلى يوثان بن داود ـ بينما متى يسير بالنسب إلى سليمان بن داود . فكيف يكون ذلك ؟.

هذا عدا اختلافات أخرى يمكن أن يرجع إليها القارىء فى الأماكن التى ذكرناها .. ومنها سفر أخبار الأيام الأول من كتب اليهود إذ فيه سلسلة نسب آباء بنى إسرائيل .

* * *

سلسلة النسب من داود إلى عيسى

كما دونها متى (١ : ١٦)

١ ـ سليمان .
٢ ـ رحبعام .
٣ ـ أبيا .
٤ ـ أسا .
٥ ـ يوشافاط .
٦ ـ يورام .
٧ ـ غزيا .
٨ ـ يوبام .
٩ ـ أحاز .
١٠ ـ حزقيا .
١١ ـ منسى .
١٢ ـ أمون .
١٣ ـ يوشيا .
١٤ ـ يكنيا .
١٥ ـ شألتئيل .
١٦ ـ زور بابل .
١٧ ـ أبيهود .
١٨ ـ ألياقيم .
١٩ ـ عازور .
٢٠ ـ صادوق .
٢١ ـ أكيم .
٢٢ ـ اليهود .
٢٣ ـ ألعازار .
٢٤ ـ متان .
٢٥ ـ يعقوب .
٢٦ ـ يوسف . عيسى .

* * *

سلسلة النسب من داود إلى عيسى

كما دونها لوقا (٣ : ٢٣ ـ ٣١)

١ ـ ناتان .	٢ ـ متاتا .
٣ ـ منا	٤ ـ مليا .
٥ ـ ألياقيم .	٦ ـ يونان .
٧ ـ يوسف .	٨ ـ يهوذا .
٩ ـ شمعون .	١٠ ـ لاوى .
١١ ـ متات .	١٢ ـ يوريم .
١٣ ـ أليعازر .	١٤ ـ يؤسى .
١٥ ـ عبير .	١٦ ـ ألمودام .
١٧ ـ فوسم .	١٨ ـ أدى .
١٩ ـ ملكى .	٢٠ ـ تيرى .
٢١ ـ شالتيئيل .	٢٢ ـ زر بابل .
٢٣ ـ ريسا .	٢٤ ـ يوحنا .
٢٥ ـ يهوذا .	٢٦ ـ يوسف .
٢٧ ـ شمعى .	٢٨ ـ متيا .
٢٩ ـ مأت .	٣٠ ـ نجأى .
٣١ ـ حسلى .	٣٢ ـ ناحوم .
٣٣ ـ عاموص .	٣٤ ـ متيا .
٣٥ ـ يوسف .	٣٦ ـ ينا .
٣٧ ـ ملكى .	٣٨ ـ لاوى .
٣٩ ـ متآت .	٤٠ ـ عالى .
٤١ ـ يوسف . عيسى .	

* * *

٢ ـ الاختلاف بين الأناجيل فى أسماء التلاميذ

رواية متى : إصحاح ١٠ : ١ ـ ٤

١ ـ سمعان الذى يقال له بطرس .
٢ ـ اندراوس أخوه .
٣ ـ يعقوب بن زبدى .
٤ ـ يوحنا أخوه .
٥ ـ فيلبس .
٦ ـ برثو لماوس .
٧ ـ توما .
٨ ـ متى العشار .
٩ ـ يعقوب بن حلفى .
١٠ ـ لباوس الملقب تداوس .
١١ ـ سمعان القانوى .
١٢ ـ يهوذا الاسخريوطى .

ومرقس يتفق معه
فى هذا : ص : ٣
١٦ ـ ١٩

* * *

٢ ـ الاختلاف بين الأناجيل فى أسماء التلاميذ

لوقا : ص ٦ : ١٣ ـ ١٦	يوحنا : ص ١٤ : ٢٢
١ ـ سمعان بطرس .	ذكر أسماء بعض التلاميذ من بينهم يهوذا آخر غير الخائن وهو الذى يقول عنه : يهوذا ليس الاسخريوطى : ١٤ : ٢٢
٢ ـ اندراوس أخوه .	
٣ ـ يعقوب .	
٤ ـ يوحنا .	
٥ ـ فيلبس .	
٦ ـ برثولماوس .	
٧ ـ متى .	
٨ ـ توما .	
٩ ـ يعقوب بن حلفى .	
١٠ ـ سمعان الغيور .	
١١ ـ يهوذا أخو يعقوب .	
١٢ ـ يهوذا الاسخريوطى .	

* * *

من الواضح أن هناك اختلافاً بين ما ذكره متى ومرقص من جانب وبين لوقا ويوحنا من جانب آخر ـ ولهذا يقول جون كيرن عندما كتب الإنجيل لم يكن هناك حتى مجرد التحقق الكامل من شخصية التلاميذ أن يهوذا بن يعقوب (الذى يذكر أحياناً بأنه يهوذا بن يعقوب) لا يظهر فى القائمة المذكورة فى إنجيل كل من مرقص ومتى بينما شغل مكانه لباوس الملقب تداوس . وأكثر من هذا فإن يهوذا غير الخائن يذكر فى التراجم المعتمدة لإنجيل لوقا مرة باسم يهوذا أخ يعقوب ومرة باسم يهوذا بن يعقوب .

٣ ـ أما عن الروايات المختلفة

فإليك أمثلة منه :

(أ) **شجرة التين** : يقول إنجيل متى : ودخل يسوع إلى هيكل الله وأخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون فى الهيكل .. وقال لهم مكتوب بيتى بيت الصلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص ، ثم تركهم وخرج خارج المدينة إلى بيت عنيا (اسم قرية قريبة من أورشاليم) وبات هناك ، وفى الصباح إذ كان راجعاً إلى المدينة جاع . فنظر شجرة تين على الطريق وجاء إليها فلم يجد فيها شيئاً إلا ورقاً فقط .. فقال لها لا يكن منك ثمر بعد إلى الأبد فيبست التينة فى الحال : [متى ٢١ : ١٨ ـ ٢٢] .

لكن إنجيل مرقص يروى هذه القصة منذ دخول يسوع الهيكل .. إلى نهاية ما ذكرنا .. نقول مرقص يروى ذلك بطريقة مختلفة .. [فانظر روايته فى إصحاح ١١ : ١٢ ـ ٢٣] .

(ب) مثال آخر عن الروايات المختلفة هو : سؤال ابنى زبدى : وهما شقيقان اسمهما يعقوب ويوحنا ابنا زبدى : طلبا من يسوع ذات يوم أن يجعل واحداً منهما عن يمينه والآخر عن يساره فى السماء .. هذا ما يرويه مرقص : ١ : ٣٥ ـ ٣٧ .

لكن متى يقول إن أم ابنى زبدى هى التى سألت المسيح ذلك . [انظر متى ٢٠ : ٢٠ ـ ٢١] .

(جـ) مثال ثالث عن الروايات المختلفة : هو المجنون والأعمى والحمار .. وهى قصة رواها كل من مرقص ـــ ولوقا ـ ومتى ـ كل منهم بطريقة مختلفة عن الآخر .

[اقرأ ذلك فى مرقص ٥ : ٢ ـ ١٣ ، وفى لوقا : ٨ : ٢٧ ، ومتى : ٨ : ٢٨ ـ ٣٢] .

٤ ـ أما عن الروايات المتنافرة

فالأمثلة الآتية دليل على وجودها فى الأناجيل .

(أ) **يوحنا والمسيح** : لقد كان كل من يوحنا المعمدان (ابن سيدنا زكريا عليهما السلام) والمسيح يعرف أحدهما الآخر معرفة وثيقة ، فهما نبيان تعاصرا وتقابلا ، علاوة على أنهما أقرباء .

[اقر ذلك فى لوقا : ١ : ٣٦ ـ ٣٧ ، وفى يوحنا : ١ : ٢٦ ـ ٣٢ ، وفى مرقص : ١ : ٧ ـ ١٠ ، وفى لوقا : ٣ : ١٦ ـ ٢١ ففى كل هذه الأماكن ما يؤكد معرفة يوحنا للمسيح معرفة تامة] .

لكن متى ولوقا نسيا ذلك كله وعادا ليخبرانا بأن يوحنا بعد أن سجن أرسل بعض تلاميذه ليسألوا يسوع عما إذا كان هو المسيح المنتظر أم لا .. [انظر متى : ١١ : ٢ ـ ٥ ، ولوقا ٧ : ١٩ ـ ٣٢] .

(ب) مثال آخر : بطرس والمسيح :

تقول الأناجيل إن بطرس جعله المسيح وكيلًا له يخلفه على أتباعه .. وأعطاه لذلك تفويضاً بأن ما يربطه على الأرض يكون مربوطـاً فى السموات . وأن ما يحله على الأرض يكون محلولًا فى السموات .

[متى ١٦ : ١٧ ـ ١٩] .

ولكن متى بعد هذا القول مباشرة يعود ويتفق مع مرقص فى قوله بأن المسيح قال لبطرس اذهب عنى يا شيطان .

فكيف يكون بطرس مرة وكيلًا للمسيح ، ومرة شيطاناً ؟ .

موقف آخر لبطرس مع المسيح :

ترى فيه المسيح يقول : (كل من يعترف بى قدام الناس يعترف به ابن الإنسان (يقصد نفسه) قدام ملائكة الله . ومن أنكرنى قدام الناس ينكر قدام ملائكة الله) [اقرأ هذا فى لوقا ١٢ : ٨ ـ ٩ ، ومتى ١٠ : ٣٢ ـ ٣٣] .

وبطرس قد كان من تلاميذ المسيح وسمعه يقول هذا . ومع ذلك أنكر معرفته بالمسيح ثلاث مرات ليلة أن قبض عليه اليهود .. وسألوا بطرس إن كان يعرفه فأنكر .. فوقع بذلك فى المحظور وألقى بنفسه فى دائرة الهلاك إذ لابد وأن ينكره المسيح أمام الله تحقيقاً لما سبق أن نطق به [انظر إنكار بطرس للمسيح فى متى : ٢٦ : ٥٦ ـ ٧٤ ، مرقص ١٤ : ٦٦ ـ ٧١ ، لوقا ٢٢ : ٥٤ ـ ٦٠] .

مثال ثالث للروايات المتنافرة :

قيامة المسيح من الأموات :

ما يرويه مرقص عن قيام المسيح من الأموات وظهوره بعد ذلك لاثنين من التلاميذ اللذين ذهبا وأخبرا الباقين فلم يصدقوا . [مرقص ١٦ : ٩ - ١٣] يتنافر مع ما رواه لوقا عن هذه الواقعة .. وفيها إن هؤلاء الباقين كانوا مجتمعين وكانوا مصدقين بأن المسيح قد قام .. فكيف يكون ذلك ؟ .

٥ ـ أما عن تحريف ألقاب المسيح والكلمات الحاكمة

فنجد التحريف فيها واضحاً بين ما يرويه : القديسان متى ولوقا .. وكلاهما ينقل عن مرقص نجد أنهما قد حرفا ما ذكره .. **فمثلاً** : يقول مرقس على لسان المسيح : (إن من يصنع **مشيئة الله** هو أخى وأختى وأمى ـ ٣ : ٣٥) ويقول متى فى نفس المعنى : (إن من يصنع مشيئة أبى الذى فى السموات هو أخى وأختى وأمى ـ ١٧ : ٥٠) .

مثال آخـــر :

وهو ما يقوله مرقص عن طلب ابنى زيدى الجلوس عن يمين وعن يسار المسيح فيقول لهم : (أما الجلوس عن يمينى وعن يسارى (فى الملكوت) فليس لى أن أعطيه إلا للذين أعد لهم ١٠ : ٤٠) لكن متى زاد على هذا فقال : (أما الجلوس عن يمينى وعن يسارى فليس لى أن أعطيه إلا للذين أعد لهم من أبى ٢٠ : ٢٣) .

وحين سأل المسيح تلاميذه عما يقولون فيه : يقول مرقس إن بطرس قال له : (أنت المسيح ٨ : ٢٩) لكن متى زاد على هذا قوله : (أنت هو المسيح ابن الله الحى ١٦ : ١٦) .

هذا ولم يقتصر حدوث التحريف على حالة النقل من إنجيل إلى إنجيل : بل إنه قد حدث عند النقل من النسخ القديمة لبعض الأناجيل لعمل نسخ أخرى جديدة من ذات الأناجيل :

ومثال ذلك ما نجده فى بعض نسخ إنجيل مرقص من اختلاف .

يقول كاتب إنجيل مرقص فى أول سطر فيه : (بدء إنجيل يسوع المسيح بن الله : ١ : ١) لكن بعض المراجع القديمة تحذف ابن الله ..

وبذلك يقرأ السطر الأول من هذا الإنجيل هكذا : (بدء إنجيل يسوع المسيح) .

هذه بعض الأمثلة لبيان ما كان يحدث من تحريف فى ألقاب المسيح فى النسخ القديمة والحديثة .. مما ترك آثاره ــ ولاشك ــ إلى الآن فى اختلاف العقائد المسيحية .

٦ ـ تنبؤات لم تتحقق

الأمثلة عليها كثيرة نذكر منها : ما ترويه الأناجيل عن المسيح من أنه قال لتلاميذه الاثنى عشر (ومنهم يهوذا الاسخريوطى الذى خانه ووشى به لدى اليهود) أنهم سيجلسون معه (أى مع المسيح) على اثنى عشر كرسياً ليدينوا أسباط ينى إسرائيل الاثنى عشر [متى ١٩ : ٢٧ ـ ٢٩] .

وبما أن يهوذا الاسخريوطى كان واحداً من هؤلاء التلاميذ الاثنى عشر الذين قيل فيهم هذا الكلام فهو بالطبع داخل فى عدادهم أى سيجلس معهم على كرسى .. حول المسيح فى الآخرة .. فكيف يتفق هذا مع خيانته للمسيح واستحقاقه اللعنة بعد ذلك ؟ .

نبوءة أخرى لم تتحقق :

وهى ما تقوله الأناجيل من أنه سيدفن فى الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال ولم يحدث ذلك . كما سق أن ذكرناه فى موضعه .

نبوءة أخرى لم تتحقق :

وهى أن نهاية العالم تحدث فى القرن الأول من الميلاد :

[انظر ذلك فى متى ١٠ : ١ ـ ٢٣ ، وفى متى أيضاً ١٦ : ٢٧ ـ ٢٨ وفى مرقص ١٣ : ٢٤ ـ ٣٠ ، ولوقا ٢١ : ٢٥ ـ ٣٢] .

ومع هذا فقد مضى الآن ما يقرب من عشرين قرناً على الموعد الذى ذكرته الأناجيل لنهاية العالم وعودة المسيح ثانية إلى الأرض .. ولا يزال العالم قائماً إلى الآن ولم يأت المسيح بعد .

خطأ الاستشهاد بالعهد القديم :

هناك أكثر من مناسبة فى كتب العهد الجديد يستشهد فيها كتبة

الأناجيل وخاصة متى بأقوال من كتب اليهود زاعمين أن هذه الأقوال تتنبأ بالمسيح عيسى بن مريم .. مع أن واقع الحال أن هذه الأقوال فى كتب اليهود ولا تفى بهذا الغرض وهو التنبؤ بمجىء المسيح عيسى بن مريم بل لها غرض آخر سيقت من أجله ، وكان هذا الغرض مفهوماً للناس فى عصر هذه الكتب وإليك أمثلة توضح هذا :

١ ـ يقول متى أن مولد المسيح فى بيت لحم إنما كان تحقيقاً لنبوءة العهد القديم ثم أورد القصة التالية وهى أن المجوس لما عرفوا من نجم ظهر فى السماء أن المسيح قد ولد دخلوا أورشاليم يسألون عن مكانه ، وأن الملك هيرودس سأل اليهود أين يولد المسيح فقالوا له فى بيت لحم لأنه هكذا مكتوب بالنبى (وأنت يا بيت أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا ، لأن منك يخرج مدير يرعى شعبى إسرائيل ٢ : ٤ ـ ٦) .

لكن المحققين من أمثال الأستاذ جون فنتون أثبتوا أن هذا الكلام مأخوذ من نصين مختلفين ضم بعضهما إلى بعض ، وقد ورد كل منهما فى سياق خاص ليس يشير إلى قدوم المسيح عيسى بن مريم بأيةحال ، والنص الأول مأخوذ من سفر ميخا ٥ : ٢ والثاني مأخوذ من صاموئيل الثانى .

والفقرة المأخوذة من صاموئيل الثانى تتكلم عن تاريخ داود وكيف اختاره الشعب ملكاً ، أما فقرة ميخا فإنها تتنبأ عن حاكم صالح يحكم إسرائيل ، والمسيح عيسى بن مريم لم يحكم إسرائيل يوماً واحداً فكيف يقال إن النبوءة تشير إليه .

٢ ـ مثال آخر : كتب اليهود دائمة التذكير لبنى إسرائيل بنعم الله تعالى عليهم ومنها إخراجهم من مصر تحت قيادة موسى وتخليصهم من ذل العبودية التى ذاقوها على يد فرعون . وفى هذا يقول هوشع : (لما كان إسرائيل غلاماً أحببته ومن مصر دعوت ابنى ـ ١١ : ١) .

لكن (متى) رأى أن يربط بين دعوة الشعب الإسرائيلى للخروج من مصر ، وبين عودة الصبى يسوع منها وفاة هيرودس الطاغية ، وبما أن هذين الحدثين يتعلقان بمصر ، لذلك قام القديس متى بالتعليق على عودة المسيح من مصر بقوله : (لكى يتم ما قبل من الرب بالنبى القائل من مصر دعوت ابنى) [انظر متى : ٢ ـ ١٤ ـ ١٥] .

إن هذه الشهادة التى ساقها متى من سفر هوشع إنما تشير إلى دعوة الرب للشعب الإسرائيلى باعتباره ابناً له للخروج من مصر (على عهد موسى) وليس هناك ما يجعلها نبوءة تشير إلى عودة للصبى يسوع ، لأن ما ذكرته أسفار العهد القديم عن عودة الابن من مصر لا يخرج عن كونه مجرد سرد لحادث مضى .

٣ ـ مثال آخر مأخوذ من سفر أشعياء الذى وردت فيه نبوءة عن النبى المختار عبد الله ورسوله الذى يأتى بشريعة الحق تلك التى تنتظرها أمم الأرض . فيقول :

هوذا عبدى الذى أعضده ، مختارى الذى سرت به نفسى .

وضعت روحى عليه فيخرج الحق للأمم .

لا يصيح ولا يسمع فى الشارع صوته .

قصبة مرضوضة لا يقصف ، وفتيلة خامدة لا يطفىء .

إلى أن يقول : وتنتظر الجزائر شريعته [أشعياء ٤٢ : ٢ ـ ٤] .

كتبة الأناجيل يرون أن تلك النبوءة تحققت فى المسيح ، ولهذا يقول متى : (لكن يتم ما قيل بأشعياء النبى القائل هو ذا فتاى الذى اخترته ، حبيبى الذى به سرت نفسى ..) إلخ .

والملاحظ هنا أن ترجمت كلمة عبدى الموجودة فى النسختين العبرية والأغريقية وهى : My servant. بكلمة فتاى .. ولكن هذه اللفظة أيضاً معناها فى العربية هو معنى عبدى .. فالنتيجة التى أرادوا الزوغان عنها وقعوا فيها أيضاً .

وحينئذ فكلمة عبدى التى وردت فى صريح كلام أشعياء إن قبلها المسيحيون كما هى انتفى بذلك كون المسيح إلهاً وابناً لله .. وبذلك يبطل ما يقولون ويعتقدون .. وإن لم يقبلوا بها فتكون النبوءة خارجة عن المسيح تماماً ومنطبقة على شخص آخر يكون من أول صفاته أنه عبد الله وأنه صاحب شريعة تنتظرها الأمم القاصية (المعبر عنها بالجزائر) . وهو ما ينطبق تماماً على نبينا محمد ﷺ إذ هو عبد الله وصاحب شريعة وما كان المسيح صاحب شريعة بل جاء تابعاً لشريعة موسى (عليهما السلام) .

٤ ـ **مثال آخر** : لتحريف النبوءات واصطيادها بأى وسيلة بغرض جعلها تنطبق على المسيح أو على أى شيء يتصل به .. وهذا المثال هو ما فعله متى حين أخذ كلاماً من سفر زكريا عليه السلام يتكلم به عما حدث بينه وبين شعبه فيقول : قلت لهم إن حسن فى أعينكم فاعطونى أجرتى وإلا فامتنعوا ، فوزنوا أجرتى ثلاثين من الفضة ، فقال لى الرب ألقها إلى الفخارى الثمن الكريم الذى ثمنونى به ، فأخذت الثلاثين من الفضة وألقيتها إلى الفخارى فى بيت الرب [سفر زكريا : ١١ : ١٢ ـ ١٣] .

إنجيل متى يأخذ هذا النص وينسبه لأرمياء .. وهذا خطأ والصواب أنه لزكريا .. هذا أولاً ثانياً : يستشهد به متى ليجعله نبوءة عن هلاك يهوذا الخائن وأنه لما قبض من اليهود ثلاثين من الفضة ثمناً لوشايته بالمسيح لهم .. ندم بعد ذلك وردها إليهم .. فرفضوها كما يقول الإنجيل .

لكن قصة زكريا عليه السلام فيها أن الثلاثين فضة قبلت فى بيت الرب .. وأنها كانت أجرة على عمله .

وهكذا نجد القديس متى يتعسف ويتعسف فى الاستشهاد بآيات من العهد القديم كى يجعلها نبوءات بالمسيح وليست كذلك .. ولا نطيل فى ذكر الأمثلة الدالة على سوء الاستشهاد هذا ونكتفى بالإشارة إلى جملة أخرى منها :

استشهاده بما ورد فى سفر زكريا أيضاً : بأن هناك ملكاً يدخل أورشاليم ويحكمها وأنه حين يدخل إليها يكون راكباً حماراً .. إلخ [زكريا : ٩ : ٩] .

متى يأتى ويجعلها نبوءة عن دخول المسيح لأورشاليم . لكن فاته أن المسيح لم يكن ملكاً فى يوم من الأيام .. وإنما الذى دخلها ملكاً وراكباً على حمار هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه .. ثم إن متى جعل دخول المسيح لأورشاليم أنه كان على حمارين مع أن سائر كتبة الأناجيل الأخرى جعلوه على حمار واحد .. فتأمل !! .

كذلك قول متى أن يسوع أتى وسكن فى مدينة يقال لها ناصرة لكى يتم ما قيل بالأنبياء أنه سيدعى ناصرياً . (ذكر ذلك فى إصحاح ٢ : ٢٣) لكن لم يشر إلى مصدره . وعبثا حاول النقاد معرفة المصدر الذى أخذ منه متى فلم يصلوا إلى شيء .

ونترك متى وسوء استشهاداته بكتب العهد القديم . وننتقل إلى يوحنا .. فنجده هو الآخر فعل نفس الشيء ، حيث يستشهد بنصوص لا تتفق والغرض الذى يريده ، ومثال ذلك :

١ ـ أخذه نصاً ورد فى المزامير على أن قائله هو داود عليه السلام فى المزمور ٤١ وفيه يقول ما ملخصه إن هناك مسكيناً يتضرع إلى الله تعالى أن ينجيه من خيانة أعدائه ، وأن الله تعالى يقبل تضرعه وينجيه .. هكذا تقول النصوص فى المزامير .

لكن يوحنا يأبى إلا أن يجعلها نبوءة عما سيأتى ويحدث للمسيح من خيانة تلميذه له ودعائه إلى الله تعالى أن ينجيه .. وهنا لا يذكر يوحنا : أن الله نجى المسيح .

كما يقول نص المزمور بأن صاحب الدعاء نجاه الله تعالى فلماذا سكت عن هذه النتيجة وهى استجابة الله لدعاء هذا المسكين وإنجائه من كيد أعدائه ؟ لماذا سكت ؟ لأن ذلك إن اعترف به فإنما يعترف بإنجاء الله للمسيح من كيد اليهود ، أى أنه لم يصلب وهذه نتيجة لا يريدها يوحنا ولا غيره من كتبة الأناجيل .

وأخيراً : ثبت أن داود ـ رغم هذا كله ـ ليس هو كاتب ولا صاحب هذه النبوءة ـ فتأمل !! .

ونكتفى بهذه الإشارات عن سوء استخدام كتبة الأناجيل للاستشهاد بكتب العهد القديم ومن أراد المزيد فليرجع إلى ما كتبه الغربيون أنفسهم فى هذا الصدد وقد تكلم عن ذلك أيضاً المهندس أحمد عبد الوهاب فى كتابه (المسيح فى مصادر العقائد المسيحية) وأشار إلى أعلام الغربيين الذين كتبوا فى ذلك .

٧ ـ قصة الصلب ومناقشتها

يمكن تقسيم روايات الأناجيل عن أحداث الصلب إلى ستة غناصر سنناقشها واحداً واحداً .. وهى :

١ ـ مقدمة الأحداث .

٢ ـ العشاء الأخير .

٣ ـ الليلةالأخيرة .

٤ ـ المحاكمة .

٥ ـ الصلب .

٦ ـ الدفن .

وستجرى مناقشتنا على ذكر ما ورد عن كل منها فى إنجيل مرقس على اعتباره أنه أقدم الأناجيل ثم نبحث عما ورد فى الأناجيل الأخرى خاصاً بكل نقطة من المسائل الست السابق ذكرها :

١ ـ مقدمة الأحداث

مسح جسد المسيح بالطيب :

فى هذه النقطة يروى مرقس أن المسيح كان جالساً ذات يوم فى بيت سمعان الأبرص فى قرية تسمى بيت عنيا . وأن ذلك كان قبل الفصح وأيام الفطير بيومين . وقد حدث وهو جالس فى هذا البيت أن جاءت امرأة (لم يذكر اسمها لكن غيره قال إنها مريم المجدلية وسكبت على جسمه قارورة من عطر ناردين الغالى الثمن جداً . (إن بعض الحاضرين استكثر ذلك وكان يقول فى سره إن ثمن هذا العطر كان من الأولى أن يوزع على الفقراء .. أما يسوع فقال لهم اتركوها لأن الفقراء موجودون معكم فى كل حين .. وأما أنا فقد دهنت جسدى للتكفين [مرقس ١٤ : ١ ـ ٨] .

إن المناقشة هنا تدور حول :

إ هذه الرواية من مرقس تقول إن اليهود كانوا قرروا ألا يمسكوا يسوع فى عيد الفصح .. حتى لا يحدث شغب فى الشعب ـ لكن ما حدث فعلاً أنهم أمسكوه فى أيام العيد وحاكموه فى أيام العيد .. والسؤال هنا هو ما هو السبب الذى جعل سلطات اليهود تغير رأيها ؟.

نقطة أخرى هنا هى أنه قصة مسح (المسح بالطيب) يذكرها يوحنا فى مناسبة تبعد عن عيد الفصح ببضعة أيام [يوحنا ١٢ : ١] وكذلك يضعها القديس لوقا فى موقع مختلف تماماً من سيرة يسوع [لوقا ٧ : ٣٦] .

كذلك الاختلاف فى المكان .. فكما رأينا مرقص يحدده بأنه منزل

سمعان الأبرص من قرية بيت عنيا .. نجد يوحنا يقول إن البيت كان بيت مريم ومرثا ولعازر [٢ : ١ - ٢] .

كذلك نجد اختلافاً فى الأسماء والأوصاف المذكورة فى كل من يوحنا ١٢ : ٣ ومتى ٢٦ : ٨ ولوقا : ٧ : ٣٧ .

فارجع إليها لتعرف مدى الاختلافات بين ما ذكره الثلاثة الآخرون عما رواه مرقص .

٢ ـ العشاء الأخير :

ما ورد فى مرقس عن هذا الموضوع خلاصته أن المسيح فى يوم الأول من عيد الفطير حين كانوا يذبحون الفصح قال له تلاميذه أين تري أن نمضى ونعد لتأكل الفصح فأرسل اثنين منهم إلى المدينة حيث أعطاهما أمارة على إنسان يحمل جرة ماء وأن يتبعاه إلى منزله وأن يقولا له إن المعلم مع تلاميذه قادم لأكل الفصح وأن هذا الرجل عنده غرفة عليا فى منزله مفروشة معدة لذلك .

وبعد أن خرج التلميذان وأتيا المدينة وجدا كل شيء كما حكاه المسيح فأعدا الفصح . [مرقس ١٤ : ١٢ - ١٦] .

والملاحظ هنا أن العبارة رقم ١٧ تقول ولما كان المساء جاء مع الاثنى عشر والصواب أن يقول جاء مع العشرة لأن هناك اثنين من التلاميذ يعدان الفصح فى بيت الرجل صديق المسيح .

ويختلف متى عن مرقص فى قصة الإعداد للعشاء إذ يجعل التلاميذ يشتركون جميعاً فى هذا الإعداد [متى : ١٨ - ١٩] .

توقيت العشاء الأخير وأثره على قضية الصلب :

يتفق متى مع مرقص (وكذلك لوقا ٢٢ : ٨) فى أن العشاء الأخير كان هو الفصح ، وعلى العكس من ذلك نجد الإنجيل الرابع يجعل الفصح يؤكل فى المساء بعد موت يسوع [يوحنا ١٨ : ٢٨] ويرى أغلب العلماء أن توقيت كل من متى ومرقص (ولوقا) صحيح وأن يوحنا قد غير ذلك لأسباب عقائدية .

وكذلك يقرر يوحنا أنهم قبضوا على يسوع فى مساء اليوم السابق لأكل الفصح .

إن اختلاف الأناجيل فى توقيت العشاء الأخير ترتب عليه اختلافهم فى نقطة جوهرية تعتبر واحدة من أهم عناصر قضية الصلب ألا وهى تحديد يوم الصلب . فإذا أخذنا برواية مرقس ومتى ولوقا لكان يسوع قد أكل الفصح مع تلاميذه مساء الخميس ثم كان القبض بعد ذلك بقليل فى مساء ذاته وبذلك يكون الصلب قد حدث يوم الجمعة .

أما الأخذ برواية يوحنا فإنه يعنى أن القبض كان مساء الأربعاء وأن الصلب حدث يوم الخميس .

هل حدث الصلب يوم الخميس أم يوم الجمعة ؟ (١) :

٢٤ ـ فصل فيما حدث فى الكتب السابقة من تبديل

نحن المسلمين لا ندعى أن أهل الكتاب غيَّروا كل نسخ كتبهم التى فى يد الناس فى العالم ، بل ندعى أنهم غيروا بعض ألفاظ النسخ التى بأيدى علمائهم وكتب الناس من تلك النسخ المغيرة نسخاً كثيرة انتشرت فصار أكثر ما يوجد عند كثير من أهل الكتاب هو من تلك النسخ المغيرة . وفى العالم نسخ أخرى لم تغير ، وذكر كثير من الناس أنه رآها وقرأها وفى تلك النسخ ما ليس فى النسخ الأخرى ،ومما يدل على ذلك أنك فى هذا الزمان إذا أخذت نسخ التوراة الموجودة عند اليهود والنصارى والسامرة وجدت بينها اختلافاً فى مواضع متعددة .

ويؤيد هذا أن كتابة بل وقراءة الكتب المقدسة كانت من اختصاص القساوسة ولا يسمح بذلك لغيرهم ، ولذلك جاء مارتن لوثر زعيم البروتستانت واحتج على ذلك فى القرن ١٥ . ومن ثم فإذا أرادت الكنيسة تغيير شيء غيرته ، فإذا ما كتبوا نسخاً بعد ذلك كتبوها من المبدلة . وأما ما فى أيدى الناس فباق كما هو بلا تبديل .. وماتوا وفقدت نسخهم بعد

---

(١) انظر فى ذلك : جون فنتون : تفسير إنجيل متى ص ٤١٥ نقلاً عن : أحمد عبد الوهاب المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص ١٣٤ .

موتهم ـ وإن كانوا لايدرون من أمر هذا التبديل شيئاً ـ ومن هنا يحدث أن يعثر على نسخهم ومن المتوقع حدوث ذلك مستقبلًا [1] .

٢٥ ـ أسباب تأخير كتابة الأناجيل

إن أقدم إنجيل وهو إنجيل مرقص (وليس متى) قد كتب بعد رفع المسيح بـ ٢٥ عاماً وباقى الأناجيل كتبت فى مدة زمنية تعد بأكثر من ٦٠ عاماً بعد رفع المسيح ، والأسباب لذلك كثيرة ، إذ هى ليست سبباً واحداً ، منها :

١ ـ المسيحيون الأوائل لم يكونوا ـ طائفة مثقفة ، أو هكذا معظمهم على الأقل .

٢ ـ جرت العادة فى تلك العصور على نقل التعاليم الدينية شفوياً .

٣ ـ ثمن التكاليف (من الورق والمداد) كان عائقاً لمعظم المسيحيين فى ذلك الوقت .

٤ ـ تَفَشِّى فكرة المجىء الثانى للمسيح وعودته إلى الأرض فى مجده ، أى ، وما دام كل شىء . وشيكاً للنهاية ، وأى يوم يأتى قد يكون هو اليوم الأخير ، فلابد وأن يكون ذلك داعياً لعدم الاهتمام بكتابة التعاليم الدينية ، وذلك راجع إلى وجود قصص تثبت أن المسيح سيجىء فى نفس العصر الذى عاش فيه تلاميذه .

٥ ـ كانت هناك صعوبات فى جمع البيانات والمعلومات اللازمة للكتابة بسبب الاضطهاد والاضطراب لكن بمضى الوقت ظهرت الحاجة الماسة إلى السجلات المكتوبة وذلك بعد موت أولئك الذين كانوا معاينين وخداماً للكلمة (كما يقول لوقا فى مفتتح إنجيله) وبعد أن انتشرت الكنيسة خارج حدود فلسطين .

ولكن بعد أن طال انتظار المسيحيين الأول للمجىء الثانى للمسيح (لأنه لم يجىء) وبعد أن فقدوا الأمل فى ذلك ، ظهرت الحاجة إلى تدوين

---

(١) الجواب الصحيح : جـ ٢ ص ٢٠ .

الذكريات ، وكان هذا العمل من نصيب الجيل الثانى فى المسيحية ، وهذا يعنى أنه قد مضت عشرات السنين على رفع المسيح قبل أن تكتب حياته على يد الكاتبين (١) .

٢٦ ـ بولس وما أحدثه

القول بألوهية المسيح ـ القول بالتثليث ـ القول بالصلب والقيامة والحساب بواسطة عيسى بعد صعوده وجلوسه عن يمين أبيه . فَصَل المسيحية عن اليهودية : ألغى حرمة السبت ـ أباح لحم الخنزير ـ ترك الختان وجعل المسيحية ديناً عالمياً وليس لبنى إسرائيل فقط .

اقتبس من الوثنيات : عيد رأس السنة ـ عيد القيامة ـ عيد الغطاس ، وأطلق عليها : مسميات جديدة فعيد الربيع أصبح عيداً لخروج عيسى من القبر وطقوس السر المقدس أخذت مكان معبد التضحية عند اليهود ـ احتلت صورة العذراء والمسيح مكاناً مقدساً احتلته قديماً صورتا حوروس وأوزيريس ووضعتا فى كل الكنائس وأقام المعابد ذات ـ الأعمدة الكثيرة لتكون تذكاراً للغابات ذات الأشجار الكثيفة (٢) .

ـ أباح الزواج للأساقفة [انظر تيموشاوس الأولى ـ إصحاح ٢] .

ـ الرجل أفضل من المرأة ـ والمرأة تغطى رأسها لأنها مجد الرجل ، والرجل لا يغطى رأسه لكونه صورة الله ومجده . الرجل ليس من المرأة بل المرأة بل المرأة من الرجل (٣) ـ يجب خضوع المرأة للرجل ويجب على المرأة أن تصمت فى الكنيسة (٤) .

* * *

---

(١) أحمد عبد الوهاب ـ المسيح فى مصادر العقائد المسيحية .

(٢) أحمد شلبى ـ المسيحية ص ٩٤ ـ ٩٥ ـ ١١٦ .

(٣) أحمد شلبى ـ المسيحية ـ ص ١٢٨ نقلًا عن رسالة بولس لأهل أفسس ٥ صح : ٢٢ ـ ٢٤ .

(٤) المصدر نفسه ـ من رسالة بولس إلى أهل كورنثوس الأولى ١٤ : ٣٤ ـ ٣٥ .

الباب السادس

المصادر الحقيقية للمعتقدات المسيحية

١ ـ مدخـــل :

فكرة التثليث وأن المسيح إله هى من اختراع بولس السابق ذكره ، كذلك فكرة صلب المسيح تكفيراً عن الخطيئة من صنعه هو ، وقد كان له تلميذ اسمه لوقا صاحب الإنجيل الذى يحمل اسمه أشاع هذه الأقوال فى إنجيله . ومن المعروف أن الثقافة التى كان يحملها بولس هى ثقافة عريضة ، لأنه كان واسع الاطلاع على الثقافة اليونانية ومنها الفلسفة ، وكانت اللغة اليونانية موجودة فى عصره وفى فلسطين كما كانت الوثنية الرومانية موجودة أيضاً ، لأن حكام فلسطين كانوا وثنيين ، كما أنه كان ذا اطلاع واسع على العقائد الوافدة على اليهود والتى أخذوها من الفرس والبابليين أو على الأقل عرفوها منذ كانوا فى الأسر البابلى .

ومن المعروف عن الديانات الفارسية أن هناك ديانة أو عقيدة اسمها (الميثرائية) نسبة إلى مثراس .

كما كان هناك فى بابل (بعل) إلهاً يعبد ، وله قصة يعرفها البابليون ويمثلونها على المسرح وشاهدها اليهود مرات كثيرة وهم فى الأسر البابلى ، وكذلك كان شائعة قصة بوذا ـ هذه القصص الثلاث سابقة على المسيح وتشبه قصته .

وسنتناول فى كلامنا التالى بيان هذه المصادر فى كل جانب من جوانب عقائد المسيحيين : مرة على وجه الإجمال . وأخرى على وجه التفصيل .

* * *

٢ ـ فصل فى بيان أن العقائد النصرانية كلها : مصدرها العقائد الوثنية

(أ) مصادر العقائد النصرانية ـ على وجه الإجمال :

إن الباحثين فى تاريخ الأديان قد استوقفهم هذا التشابه القوى بين العقائد النصرانية ونظيرها فى العقائد الوثنية . « حذو النعل بالنعل » مما جعلهم يرجعون الأولى إلى الثانية . وإليك بيان ذلك :

١ ـ التثليث الذى هو صلب العقيدة النصرانية : من أين عرفه النصارى ؟ الجواب نجده لدى الوثنيين القدماء فى أوربا ـ كما فى الهند ، والصين ، ومصر .. وكما لدى الآشوريين وسكان سيبريا والتتر .

فلدى كل أمة من هذه الأمم توجد عقيدة التثليث آى القول باللاهوت الثلاثى : الآب والابن والروح القدس ، بل والأغرب من هذا الهنود كانوا يسمون تثليثهم بالأقانيم الثلاثة ، تماماً كما فعل النصارى ، والدليل على ذلك أنهم (الهنود) كانوا يسمون تثليثهم باسم (ترى مورتى) وهى جملة مركبة من كلمتين سنسكرتيتين : (ترى) ومعناها ثلاثة و (مورتى) ومعناها هيئات أو أقانيم . وهذه الثلاثة هى :

برهما وفشنو وسيفا . وهى غير منفكة عن الوحدة إذ هى الرب المخلص المهلك . على الترتيب ومجموعها إله واحد .

ويوضحون هذا التثليث بقولهم : براهما الممثل لمبادىء التكوين والخلق هو الآب ، وفشنو الممثل لمبادىء الحماية والحفظ هو الابن ، وسيفا : المبدىء والمهلك والمبيد والمعيد هو روح القدس (١).

وعندهم أيضاً تثليث من نوع آخر هو :

١ ـ سافترى : أى الشمس .

٢ ـ آنى : أى النار .

---

(١) محمد بن طاهر التنير : العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية تحقيق د . محمد عبد الله الشرقاوى ـ القاهرة ١٩٨٩ ص ٥٦ .

٣ ـ وفايو : أى الروح المحيى ، والأستاذ مالفيرى يؤيد هذا التشابه بين الثالوث الهندى والثالوث المسيحى وقانون الإيمان المسيحى مأخوذ من عقيدة الهنود لأنها تقول (نؤمن بسافترى) . (أى الشمس) (١) (مرجان ـ الله واحد أم ثالوث ص ٨٢) .

وكان الرومانيون الوثنيون القدماء يعتقدون بالتثليث وهو أولًا الله ثم الكلمة ثم الروح القدس تثليثهم هو : أورمزد ومتراث وأهرمان . الأول الخالق . والثانى ابن الله المخلص والوسيط والثالث المهلك . كما كان التثليث فى مصر عبارة عن الله ثم الكلمة والروح القدس .. وأحياناً أخرى كان التثليث عندهم عبارة عن أوزوريس ـ ايزيس ـ حورس ومن أراد المزيد فليرجع إلى هذا الكتاب .

٢ ـ أما العقيدة النصرانية الخاصة بصلب الإله (وهو المسيح) ليكون ذبيحة فداء عن الخطيئة الأولى ، فيوجد لها سوابق تاريخية عند الوثنيين والهنود والرومان واليونان والمصريين . وغيرهم .. وعلى سبيل المثال : يعتقد الهنود أن كرشنا المولود البكر الذى هو نفس الإله فشنو الذى لا ابتداء له ولا انتهاء على رأيهم قد ترك شفقة وحنوا ـ كى يخلص الأرض من ثقل حملها فأتاها وخلص الإنسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه .

بل ويحددون وسيلة الذبح بأنه الصلب .. وكذلك قالوا عن بوذا أنه إنسان وإله معاً وأنه مخلص الناس .

وعند المصريين القدماء يعتبر أوزيريس : أعظم مثال لتقديم النفس ذبيحة لينال الناس الحياة .. وهو أحد الثالوث المصرى ايزيس ـ أوزوريس ـ حورس .

ولدى الفرس (مترا) هو الكلمة وهو المخلص وهو الفادى وانظر التفاصيل فى المرجع السابق ص ٧٤ وما بعدها .

٣ ـ ويقول النصارى إن المسيح لما صلبه اليهود عمت الدنيا ظلمة وهذا ما سبق أن قاله قبلهم الهنود عند صلب كرشنا .. وعند الحرب بين بوذا والشياطين .. ونفس الشيء قاله الرومانيون واليونان عندهم ولادة أحد العظماء أو موته .. فقد أظلمت الدنيا عند موت (روملوس) مؤسس روما (١) .

---

(١) محمد مرجان ـ المرجع السابق ـ ص ٨١ ، ٨٨ .

٣ ـ وعقيدة تجسد الإله

التى تقول بها النصارى قد سبقهم إليها الهنود حيث قالوا إن كرشنا هو فشنو بعد أن صار جسداً وظهر بالناسوت بعد أن حل فى رحم ديفاكى فولدت كرشنا .. وبوذا عند اتباعه إلهاً تجسد وولدته أمه العذراء مايا .

ونفس فكرة التجسد اعتقد بها الصينيون حيث قالوا بآلهة تجسدت منها : (فوهى وستين نونك وهو انكتى) وغيرهم .. وفى مصر يقولون إن الإله « رع » ولد من جنب أمه لا كما يولد الناس .

وقال اليونان إن الأسكندر المقدونى الذى ولد قبل المسيح بـ ٣٥٦ سنة أنه إله على الأرض وأنه ابن المشترى من الأم البشرية أولمبياس وغير هؤلاء وأولئك كثيرون قالوا بتجسد الإله (١) .

٥ ـ يقول النصارى إنه عند ولادة المسيح ظهرت نجوم فى السماء وحضر المجوس إلى أورشاليم للبحث عن الإله المولود .. والسجود له .

نفس هذه الأفكار موجوده لدى البوذيين ولدى أتباع كرشنا . ولدى الصينيين فى ولادة (يو) (٢) .

٦ ـ كذلك ما يعتقده النصارى من ظهور ملائكة تسبح الله وتقدسه عند ولادة المسيح يوجد له نظير بين الوثنيين (٣) .

٧ ـ ويقول النصارى أيضاً أن المجوس (جماعة منهم) قدموا من الشرق عقب مولد يسوع المسيح لما رأوا نجماً لامعاً فى السماء دلهم على وقت ومكان مولده فقدموا إلى أورشاليم بقصد البحث عنه وتقديم الهدايا الثمينة له [متى : ٢ : ١ ـ ١٣] .

ولوقا يقول إنهم رعاة وليسوا مجوساً .. ومهما كان الأمر .. فالمهم قدوم أناس ومعهم هدايا يريدون تقديمها لمولود له شأن كبير أو سيكون له شأن كبير .

---

(١) العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية ص ٩٣ وما بعدها .
(٢) نفس المصدر ص ١١١ .
(٣) نفس المصدر ص ١١٥ .

هذا ما يقوله النصارى عن يسوع المسيح عيسى بن مريم .

لكنا إذا فتشنا فى عقائد الوثنيين السابقين على مولد المسيح وجدنا عندهم نفس الأفكار فـ « كرشنا وبوذا وسقراط وغيرهم » كل أولئك حدث لهم قصص تشبه ما يحكيه المسيحيون عن المسيح . وهم الأسبق على ميلاد المسيح فكيف يفسر المسيحيون ذلك ؟ (١) .

٨ ـ وما يقوله المسيحيون أيضاً عن أن المسيح عيسى بن مريم قد ولد فى (مذود) وهو المكان الذى يوضع فيه التين للبقر والبهائم .

وهذا أيضاً قال به الوثنيون عن آلهتهم .. مثل كرشنا عند الهنود وهوتسى عند الصينيين ومتراس عند العجم وأتيس إله الفريجيين وغيرهم (٢) .

٩ ـ وما يقوله النصارى كذلك من أن المسيح من نسل الملك داود .. وبذلك يكون من نسل ملوك .. نفس الشيء سبق وقاله الوثنيون عن آلهتهم وأنهم من نسل ملوك كذلك . وهاهم الهنود ينسبون كرشنا مخلصهم إلى سلالة ملوكية . وبوذا ينسبه أتباعه كذلك إلى سلالة ملوكية . وكونفوشيوس عند الصين وهركلوس وباخوس وغيرهم .. كل أولئك ينسبهم أتباعهم إلى سلالة ملوكية والكل سابق على المسيح .. ولا تعليق لنا وعلى القارىء أن يفهم ما يريد (٣) .

١٠ ـ وكما يعتقد النصارى بأن هيرودس أراد قتل المسيح .. ولكنه نجا من ذلك .. سبق وقال مثله الوثنيون عن آلهتهم مثل ما قاله الهنود عن كرشنا وبوذا . وما قاله الفرس عن زورستر مؤسس المجوسية فى بلاد فارس .. وغيرهم (٤) .

١١ ـ وليس هذا فحسب بل إن ما يقوله النصارى عن مجىء إلههم متجسداً فى شخص المسيح وصلبه وقيامته من بين الأموات ومجيئه إلى العالم مرة ثانية ليدينه .

---

(١) انظر التفاصيل كاملة فى المصدر السابق العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية ص ١٢٣ .
(٢) المصدر السابق ص ١٢٩ .
(٣) المصدر السابق ص ١٣٥ .
(٤) المصدر السابق ص ١٣٩ .

١٢ ـ كذلك قولهم بنزول المسيح إلى جهنم بعد قيامه من القبر ـ من أجل خلاص الأموات .

١٣ ـ واعتقادهم فى المسيح أيضاً بأنه هو ابن الإله وأنه هو الخالق والمصور للكائنات .

١٤ ـ وكذا ما يعتقده النصارى فى العماد لإزالة الخطيئة . كل هذه المعتقدات النصرانية تجد لها نظيراً لدى الوثنيين سواء بسواء .. ومن أراد مزيداً من التفاصيل عن هذه المسائل كلها فليرجع إلى نفس المصدر الذى أشرنا إليه وفيه سيجد التفاصيل الكاملة علاوة على ما سيجده من مصادر أخرى كثيرة رجع إليها المؤلف .. ونكتفى نحن هنا بإيراد مقابلة تفصيلية بين ما يقوله الهنود الوثنيون عن كرشنا ـ والهنود الوثنيون عن بوذا .. والبابليون الوثنيون عن بعل . ليرى القارىء بنفسه مقدار التشابه لدرجة التطابق . وليحكم بعد ذلك بما يشاء فى المصدر الذى أخذت منه هذه العقائد النصرانية أهى الوحى السماوى أم المصدر البشرى الوثنى ؟ .

من هذا نرى أن الأثر الوثنى فى العقائد النصرانية يرجع إلى تأثير دعاة المسيحية الأول ، وبولس بالذات على وجه الخصوص هو صاحب هذا التأثير الوثنى فى العقائد النصرانية وشعائرها وأمامنا فى هذا الخصوص شهادة واحد من أئمة المتخصصين فى علم اللاهوت المسيحي وتاريخ المسيحية وتطورها . ألا وهو المسيو شارل جينيبر الذى كان أستاذاً لتاريخ المسيحية فى جامعة باريس ثم رئيساً لقسم الأديان فى نفس هذه الجامعة .

وقد اعترف صراحة بأن البيئة التى نشأ فيها بولس كانت تموج بعبادات موجهة لآلهة كثيرين لهم صفات أن يتعذبوا ويموتوا وأن يقام لهم احتفالات تذكارية بهذه المناسبات ، كما أثبت أيضاً أن لهم شعائر يؤديها أتباع هذه الديانات مثل شعائر العماد والقربان .

كما ذكر أسماء هذه الآلهة وأنها أتيس فى بلاد الفريجيين وأدونيس فى الشام وملكارت فى فينيقيا ، ثم تموز ومردوك فى ربوع ما بين النهرين وأوزوريس وإيزيس بمصر .. ومثيرا فى الفرس ، وسيبيل وابنها أتيس وتوصف بأنها الأم الكبرى سيبيل عند الرومان وقد ذكر لنا أيضاً وصفاً لأحد هذه

الاحتفالات نقله عن (فرميكوس ماترنوس) أحد الكتاب المسيحيين فى القرن الرابع ـ وليس هذا فحسب بل إنهم كانوا يعتقدون أيضاً أن آلهتهم هذه (آلهة منقذة) ـ وبعل بالذات ـ وهو إله سورى ـ كانت عبادته منتشرة فى مسقط رأس بولس أعنى طرطوس كما كانت منتشرة فى بلاد أخرى أيضاً . وهذا بالطبع أمر بالغ الأهمية للباحث عن تأثر بولس بالبيئة التى كانت تحيط به خاصة وأن طرطوس كانت ملتقى للطرق العالمية التى يتجمع فيها بسبب ذلك ديانات وعبادات كثير من الشعوب الشرقية والغربية .. مثل بعل طرز أى سيد طرطوس وهو إله شرق ـ ومثل ساندان الذى قرنه أهل اليونان بهرقل وإذا عرفنا أن طرطوس قامت بنزعة تأليفية بواسطتها تمزج أو تزاوج بين الآلهة ذات الصفات المتشابهة وأن هذه الصفة قد ظهرت فى طرطوس منذ زمن بعيد .. نقول إذا عرفنا هذا عرفنا كيف تأثر بولس بهذا كل ونقله إلى المسيحيين (١) .

وسنتاول هنا عرض أفكار هذه الديانات التى سبقت عصر المسيح مباشرة والتى عاش فيها بولس لنعرف مقدار التشابه الكبير بينها وبين المسيحية .

ومن المدهش أن كبار رجال الكنيسة من القديس بولس ـ إلى القديس أوغسطين ـ كما يقول شارل جينيبير نفسه ـ أنهم كانوا يفسرون هذا التشابه بأن الشيطان أراد أن يتشبه بالمسيح .

* * *

بعض مصادر العقائد النصرانية بالتفصيل :

ذكر بعض الديانات التى سبقت ظهور المسيح عيسى بن مريم وأنها تحمل نفس الأفكار التى أدخلها بولس فى النصرانية فأفسدها .

كان بولس كما سبق القول مطلعاً على ثقافات عصره ، وقد قرأ بلا شك عن مترا معبود الفرس ، وبعل معبود البابليين ، والفرس وبابل بوجه خاص لهما شأن كبير عند اليهود ، لأنهم أى اليهود قد كانوا أسرى فى بابل

---

(١) انظر فى هذا كتاب شارل جينيبير : المسيحية نشأتها وتطورها ترجمة الشيخ عبد الحليم محمود ص ٩٢ ـ ١٠٥ .

لمدة تقرب من خمسين عاماً بعد أن أسرهم نبوخذ نصر وقضى على مملكتهم يهوذا سنة ٥٨٦ ق . م . وبعد مدة جاء الفرس وأطلقوا سراحهم من الأسر وأعادوهم إلى فلسطين عودة جموع لا عودة سياسية وذلك عام سنة ٥٣٨ ق . م بواسطة قورش كما سبق القول فى كتابنا عن اليهودية .

فاطلع اليهود على عادات ونظم وعقائد كل من البابليين والفرس ، كما كانوا على علم بأديان المصريين واليونانيين والهنود . واليونانيون عاشوا فى فلسطين وثقافتهم كانت منتشرة ومشهورة فى فلسطين حتى عصر المسيح نفسه ، وكذلك عادات الرومان وعقائدهم ، وصلة اليهود بمصر معروفة . هذه العقائد عرفها بولس وطعَّم بها العقيدة النصرانية .

وسنقف عند ثلاث من هذه العقائد ليتبين لنا وجه الشبه الكبير بينها وبين العقيدة التى أدخلها بولس فى النصرانية وصارت بعد ذلك هى الغالبة على التعاليم التى جاء بها عيسى المسيح بن مريم عليه السلام .

وهذه العقائد الثلاث هى :

عقيدة مثرا عند الفرس ، وعقيدة بعل عند البابليين ـ وعقيدة بوذا عند الهنود .

أولًا عقيدة مثرا

(أ) المثراوية :

هى ديانة فارسية الأصل ، ازدهرت [1] فى بلاد فارس قبل الميلاد بحوالى ستة قرون ، ثم انتقلت إلى روما حوالى سنة ٧٠ ق . م ، وانتشرت فى بلاد الرومان ، وصعدت إلى الشمال حتى وصلت بريطانيا .

وقد اكتشفت بعض آثارها فى مدينة (يورك) ومدينة (شستر) وغيرهما من مدن انجلترا ـ وتذكر هذه الديانة أن :

ـ مثرا كان وسيطاً بين الله والبشر .

ـ وأن مولده كان فى كهف أو زاوية من الأرض فى ٢٥ ديسمبر .

---

(١) أى صارت مشهورة .

ـ كان له اثنا عشر حوارياً .

ـ مات ليخلص البشر من خطاياهم .

ـ دفن ولكنه عاد للحياة وقام من قبره .

ـ صعد إلى السماء : أمام تلاميذه وهم يبتهلون له ويركعون .

ـ كان يدعى مخلصاً ومنقذاً .

ـ ومن أوصافه أنه كان كالحمل الوديع .

ـ كان أتباعه يعمِّدون باسمه .

ـ وفى ذكراه كل عام يقام عشاء مقدس (١) .

ويقول : **Ropertson** إن ديانة مثراس لم تنته فى روما إلا بعد أن انتقلت عناصرها الأساسية إلى المسيحية (٢) .

هذا عن أثر عقيدة مثرا فى عقائد المسيحيين .

فماذا عن أثر ديانة بعل إله البابليين ؟ .

(ب) ديانة بعل إله البابليين وأثرها على المسيحية :

البابليون هم قوم سكنوا العراق قبل الميلاد بقرون طويلة ، وكانوا يعبدون إلهاً اسمه : (بعل) وكانوا يعتقدون أن بعل هذا قد حوكم بعد أن أخذ أسيراً وجرح بعد المحاكمة ـ واقتيد لتنفيذ الحكم على الجبل ـ وكان معه مذنب حكم عليه بالإعدام . وجرت العادة أن يعفى كل عام عن شخص حكم عليه بالموت ، وقد طلب الشعب إعدام بعل والعفو عن المذنب الآخر ـ وبعد تنفيذ الحكم على بعل عم الظلام وانطلق الرعد ـ وحرس بعل فى قبره حتى لا يسرق أتباعه جثمانه ـ والإلهات جلسن حول مقبرة بعل يبكينه .

(وهذه كلها تشبه تماماً القصة التى رواها كتبة الأناجيل عن سيرة المسيح ، وفيها أن مريم ـ أمه ومريم المجدلية ومريم أخرى جلسن عند مقبرته تبكين عليه) وهذا يشبه بكاء الآلهات فى قصة بعل .

---

(١) أحمد شلبى : المسيحية ص ١٣٤ .

(٢) المصدر السابق : نفس الصفحة .

وأخيراً تقول قصة بعل أنه قام من الموت وعاد إلى الحياة مع مطلع الربيع وصعد إلى السماء وكذلك تقول قصة عيسى بن مريم أنه قام من مقبرته فى يوم أحد ، وفى مطلع الربيع أيضاً وصعد إلى السماء .

فإذا علمنا أن قصة بعل هذه كانت تمثل فى تمثيلية مؤثرة كل عام قبل ميلاد المسيح ، بقرون عديدة ، وأنه قد اكتشف فى مطلع هذاالقرن بأرض بابل لوحتان يرجع تاريخهما إلى القرن التاسع قبل الميلاد وسجلت عليهما قصة محاكمة بعل ونهايته على النحو الذى أوردناه ، وإذا علمنا أيضاً أن اليهود وقد أخذوا إلى سجن بابل منذ عهد بختنصر ، وهناك رأوا هذه التمثيلية تعرض كل عام فى فصل الربيع ، وعندما عاد اليهود إلى ديارهم كانت هذه القصة عالقة بأذهانهم ومؤثرة فى حياتهم ، فانعكست على آدابهم وعلى حياتهم العامة . وعقب نهاية المسيح ظهرت تمثيلية (بعل) بنفس عناصرها مع اسم جديد ، وضع مكان بعل وهذا الاسم هو المسيح ، حتى ليمكن القول (إن قصة المسيح كما توردها الأناجيل قصة منتحلة ، (أى مكذوبة) تماماً (١) .

(جـ) أما عن أوجه الشبه بين حياة بوذا وحياة المسيح كما رواها كتبة الأناجيل فتتضح من الآتى :

بـــوذا :

١ ـ عند مولد بوذا ظهر نجم فى السماء يبشر به ، وقد رئى هذا النجم يسير نحو مكان مولده ، وتبعه من رآه ليسجدوا للوليد .

٢ ـ ولد بوذا فى اليوم الخامس والعشرين من ديسمبر كما تذكر الأساطير الهندية .

عيسى :

ـ وعند مولد عيسى ظهر هذا النجم أيضاً يبشر بمولد المخلص وقاد جماعات المجوس نحو مكان ولادته ، فرأوا الطفل وسجدوا له .

ـ ولد عيسى فى الخامس والعشرين من ديسمبر أيضاً .

---

(١) أحمد شلبى : المسيحية ص ١٣٥ .

بـــوذا :

٣ ـ عند مولد بوذا احتفلت الملائكة بولادته ، وسبحت بحمده قائلة : إن المبارك قد ولد اليوم ليمنح السلام للناس ، والمسرة للأرض .

٤ ـ كان مولد بوذا خطراً على الملك والسلطان ، فهدده ملك بنباسارا وأراد قتله ،حتى لا يكون سبباً فى القضاء على سلطانه .

٥ ـ وعندما كان بوذا على وشك أن يبدأ دعوته ظهر له الشيطان (مارا) ليحاول تضليله .

٦ ـ قال (مارا) لبوذا : ابتعد عن الدعوة الدينية وتصبح امبراطور العالم .

٧ ـ ولم يهتم بوذا بمارا وصاح به : ابتعد عنى .

٨ ـ وبعد أن انتصر بوذا على مارا ، أمطرت السماء زهوراً وعبق الهواء بعبير طيب .

٩ ـ وصام بوذا فترة طويلة .

١٠ ـ وتعمد بوذا بالماء المقدس وفى أثناء تعميده كانت روح الله حاضرة ، وكذلك روح القدس .

* * *

عيسى :

ـ وعند مولد عيسى ظهرت الملائكة فى الجو مسبحة فى الحقول بالقرب من بيت لحم ، وكانت تسبح بحمد (المبارك) وتقول للناس المسرة وعلى الأرض السلام .

ـ وكان عيسى خطراً كذلك على ملك هيرودس ، ولذلك أراد هيرودس قتله لولا أنه فر إلى مصر مع أمه .

ـ وعن بدء دعوة عيسى ظهر له الشيطان **The devil** محاولًا تضليله .

ـ وقال الشيطان لعيسى : إذا عبدتنى سأجعلك ملكاً للعالم كله .

٧ ــ ولم يهتم بوذا بمارا وصاح به : ابتعد عنى .

٨ ــ وبعد أن انتصر بوذا على مارا ، أمطرت السماء زهوراً وعبق الهواء بعبير طيب .

٩ ــ وصام بوذا فترة طويلة .

١٠ ــ وتعمد بوذا بالماء المقدس وفى أثناء تعميده كانت روح الله حاضرة ، وكذلك روح القدس .

١١ ــ وتقبل صلاة البوذيين وتقودهم إلى الفردوس ما دامت تقدم باسم بوذا .

١٢ ــ وعندما مات بوذا ودفن ، شقّ قبره بقوة من قوى ما فوق الطبيعة ، وعاد للحياة .

١٣ ــ وصعد بوذا إلى السماء بعد أن أتم دعوته على الأرض .

١٤ ــ وسيعود بوذا إلى الأرض فى آخر الزمان ليواصل دعوته ويستعيد مجده ، ويملأ الأرض سعادة ونعيماً .

١٥ ــ وسيوكل حساب الناس إلى بوذا بعد البعث .

١٦ ــ وبوذا لا أول له ولا نهاية ، وهو خالد .

١٧ ــ ويروى عن بوذا أنه قال : أننى أحمل سيئات البشر ليصلوا إلى السلامة .

١٨ ــ ويروى عن بوذا قوله : اخف أعمالك الطيبة ، وأعلن على الناس سيئاتك التى ترتكبها .

١٩ ــ وأوصى بوذا أتباعه بالشفقة والحب حتى مع أعدائهم .

٢٠ ــ ونصح بوذا جواريه وأتباعه أن يطرحوا الدنيا جانباً ويتنازلوا عن غناهم ويؤثروا الفقر ليقبلوا فى الدعوة .

٢١ ــ وكان هدف بوذا الأسمى أن يكون ما سمته الفلسفة البوذية ملكوت السماء .

٢٢ ــ ونادى بوذا بعدم الزواج ،وشبه الزواج بالاحتراق فى الفحم ولم يجزه إلا عند خوف الزنى .

عيسى :

ولم يسمع عيسى لكلمات الشيطان وصاح به : أخسأ أيها الشيطان .

وبعد أن انتصر عيسى على الشيطان هبطت الملائكة لعيسى وكرمته .

وصام عيسى أربعين يوماً بلياليها .

وعمد يحيى بن زكريا عيسى فى نـهر الأردن ، وكان ذلك أيضاً فى حضرة روح الله وروح القدس .

وتقبل صلاة المسيحيين ما دامت باسم عيسى ، وينالون بسببها الفردوس .

وعندما مات عيسى ودفن أزاحت قوة من قوى ما فوق الطبيعة الحجارة عن قبره وعاد عيسى إلى الحياة .

وصعد عيسى كذلك بعد انتهاء دعوته على الأرض .

وسيعود عيسى كذلك ليحكم الأرض من جديد ، وينشر دعوته ويعم الأرض بالخير والسلام .

وسيوكل لعيسى أن يحاسب الناس أيضاً فى الدار الآخرة .

وعيسى لا أول له ولا نهاية وهو خالد خلود الأب .

وعيسى مخلص البشر الذى قدم نفسه فداء ليكفر عن خطيئة أبيهم آدم .

ومما علمه عيسى لأصحابه أن يخفوا أعمالهم الطيبة ويعلنوا مساوئهم وخطاياهم .

وقال عيسى لأتباعه : أحبوا أعداءكم وباركوا لاعنيكم ، وأحسنوا لمن يبغضكم .

واشترط عيسى على من يريد دخول الدعوة أن يتصدق بماله ويؤثر الفقر ليدخل ملكوت الله .

ودعا عيسى منذ مطلع رسالته أتباعه ليدخلوا ملكوت الله .

وروى عن عيسى قوله أنه من الأفضل للرجل ألا يمس امرأة ولكن إذا خاف الزنى جاز له أن يتزوج ـ فالزواج خير من الاحتراق بالنار .

هذه الأحداث التى انتهينا من ذكرها الآن ، تكشف لنا مدى الصلة الوثيقة لحياة المسيح كما رواها أتباعه : بحياة بوذا ، كما تعرف منه : وليس هذا فقط ، بل أنه من الأشياء المدهشة أن نرى المسيحية الحالية تذكر الأيام

والتواريخ الهامة فى سيرة المسيح بما يتوافق تماماً مع تلك الأيام والتواريخ المنسوبة لبوذا ، فمولد عيسى وصلبه وعودته للحياة تقع فى أيام تتفق تماماً مع أحداث وثنية ترتبط بمثل هذه الأيام كما سبق القول (١) .

أما حادثة العشاء الربانى التى سبق أن أوردناها فهى بتفاصيلها الدقيقة واردة فى ديانة متراس بشكل مطابق تماماً (٢) .

ولعلنا قد لاحظنا أيضاً العناصر المشتركة بين هذه الديانات والمسيحية ، ومنها :

ـ كل هذه الآلهة ينسب لها أنها ولدت فى نفس الفترة (الشهر أو الموسم) التى ينسب لعيسى أنه ولد فيها .

ـ كل هذه الآلهة ولدت فى كهف أو فى حجرة تحت الأرض .

ـ كلهم عاشوا من أجل تحمل معاناة الجنس البشرى .

ـ كلهم كانوا ينعتون بالمخلص ـ المنقذ ـ الوسيط .

ـ كلهم قهروا بقوى الشر والظلام .

ـ ألقى بهم بعد هزيمتهم فى المدافن أو النيران السفلى .

ـ هبوا جميعاً من مدافنهم بعد الموت وصعدوا إلى عالم السماء .

ـ أسسوا جميعاً خلفاء لهم ورسلًا ومعابد .

ومن ذلك يتضح صلة المعتقدات المسيحية التى يعتقدونها بالعقائد الوثنية .

أما الإسلام : فهو لا يقر بشىء من هذا وإنما المعبود الحق فى الإسلام هو الله ـ جل جلاله ـ جل عن أن يشبه المخلوقات أو تشبهه المخلوقات ، وهو واحد أزلى أبدى ، قادر على كل شىء ، وهو المعبود الذى كان يعبده إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب أجداد بنى إسرائيل وأصولهم .

---

(١) أحمد شلبى : المصدر السابق ص ١٣٩ نقلاً عن : خواجه كمال الدين : مصادر المسيحية ص ١٠ .

(٢) هذا وقد رجع الدكتور شلبى أيضاً إلى الكتب الآتية :

١ ـ حياة بوذا للمؤلف إدوارد توماس .

٢ ـ وثنية المسحاء للمؤلف روبرتسون وكلا الكتابين بالانجليزية .

فالإسلام إذن هو دين كل الأنبياء والرسل الذين جاءوا بالحق ودعوا إليه .

فلننظر إذن إلى الفرق الكبير بينه وبين ما عند غيره ، وبذلك يتبين وجه الحق ، الذى لا مرية ولا شبهة فيه .

٤ ـ قصص لأناس ولدوا بدون أب

هناك فى كتب النصارى أنفسهم ما يشهد بوجود رجل غير المسيح ولد بطريقة تشبه آدم ، أبو البشر ـ عليه السلام ـ : أعنى أنه وجد بدون أب ولا أم ، واسم هذا الرجل ملكى صادق ، ملك ساليم وكاهن الله العلى ، كما يذكر ذلك صراحة بولس القديس فى رسالته إلى العبرانيين إصحاح ٧ فقرات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ويقول عقب ذكر اسم هذا الرجل (ملكى صادق) هو ملك السلام بلا أب ولا أم ، بلا نسب ، لا بداية أيام له ، ولا نهاية حياة) .

فلماذا لم يعتبره النصارى إلهاً كذلك بناء على هذا ؟ كما اعتبروا المسيح المولود ـ بدون أب فقط ، أم الأمر تحكم وتعصب ؟! .

كذلك ذكر الكاتب الإنجليزى الشهير (دراير) فى كتابه التعارض بين العلم والدين ، ما يلى : « إن الحكيم اليونانى أفلاطون كانت أمه باركشين حبلى من (أبولو) إله الطب عند اليونانيين . وأنها كانت قبل ذلك مخطوبة لرجل يدعى (آرس) وقد رأى آرس (قبل الزواج) فى منامه أبولو يتهدده ويقول له : لا تقربن خطيبتك ، لأن فى أحشائها ابناً لى ، وعليك أن تكرم فيه روح أبولو المقدسة . ولهذا السبب اعتقد تلاميذ أفلاطون فى مصر أنه ابن الله .

وكان قسطنطين حاكم اليونان يؤمن هو الآخر بأن أبولو هو إله الشمس ، وأن أفلاطون ابن الله ، ولما دخل فى النصرانية قسطنطين وجعلها ديناً رسمياً للدولة راح يروج أن عيسى ابن الله .

وكان أهل اليونان والروم يعتقدون أيضاً بأن « هركيلوس » ليس من نسل آدم ، بل إنه ابن قديس يدعى (ذيوس) وكانوا يعتبرونه نائباً لروح القدس .

وهناك قصة أخرى اشتهرت لدى اليونانيين ، فحواها أن القديس (باتر) نفخ بروحه فى ابنة (كيداس) حاكم (نيبس) وتدعى (سميلى) فحملت منه ووضعت القديس (كاس) ويسميه الفلاسفة اليونانيون (كاس إله الخمر) وحرفها الإنجليز فأطلقوا على مدمن الخمر باللغة الإنجليزية (بكانالين) .

وذكر الكاتب (درابر) فى كتابه سابق الذكر : أنه كانت هناك عذراء تدعى (سكويا) وهبها الله ابناً من عنده بواسطة الروح القدس سمته (روموس) وهو الذى أنشأ مدينة روما ولذلك سميت على اسمه .

كما سجل المؤرخ الغربى الشهير (جين) فى كتابه : « سقوط وزوال دولة روما » : أن زوجة الاسكندر الأكبر وهى ابنة (دارا) ملك الفرس كانت أمها الروح القدس عند اليونانيين .

وكذلك اعتقد اليونانيون فى (فيثاغورس) الذى ولد قبل ظهور المسيح بحوالى ٥٧٥ سنة بأنه ابن الله ، لأنه جاء بغير أب [١] .

والمقصود هنا من ذكر هذه الأمثلة جميعها هو الاستشهاد بالتاريخ القديم لإثبات أن ــ ولادة المسيح ــ عليه السلام ــ لم تكن الأولى من نوعها فى تاريخ المعتقدات الدينية ، بل طالما توهم أهل اليونان فى كثير من حكامهم وملوكهم وعقلائهم أنهم أبناء الله . لذلك لم يكن غريباً أن يؤمن النصارى بأن المسيح ــ عليه السلام ــ هو الآخر ابن الله .

* * *

٥ ــ التثليث فى الأديان القديمة الوثنية

البابليون عرفوا التثليث فى الألف الرابع قبل الميلاد ، وذلك لأنهم نظموا الآلهة المتعددة فى نظام ثلاثى ، فجعلوها مجموعات هى :

إله السماء ــ إله الأرض ــ إله البحر : هذه مجموعة .

إله القمر ــ إله الشمس ــ إله العدالة : هذه مجموعة .

والمصريون عرفوا التثليث فى قصة ايزيس وأوزوريس وحورس .

---

(١) مولانا كوثر نيازى ــ التثليث فى المرآة . طبعة باكستان بدون تاريخ ص ٢٧/٢٦ .

والهنود عرفوا التثليث فى : براهما ــ فشنو ــ سيفا ــ وهى ثلاثة فى واحد .

كما عرف المصريون أيضاً التوحيد فى : آمون ــ وآتون .

وأعلن ذلك الملك آخناتون .

فى الاسكندرية أقام بطليموس الأول معبداً عظيماً هو معبد السرابيوم ، كان يعبد فيه نوع ما من الثالوث مكون فيه أرباب ثلاثة هى : ما سبق ذكره من أوزوريس وإيزيس وحورس ، وهى ثلاثة فى واحد .

بعد الميلاد جاء أفلوطين (٢٠٥ ــ ٢٧٠ م) وجدد مذهب أفلاطون ونادى بتثليث هو :

١ ــ الواحد أو الأول .

٢ ــ العقل : الذى فاض عن الأول .

٣ ــ النفس : التى تفيض فيصدر عنها الكواكب والبشر [١] .

٦ ــ الصلب فى الأديان السابقة الوثنية

إن فكرة الصلب للتكفير ليست من المسيحية فى شىء ، ويبدو أنها وردت للمسيحية من عقائد أخرى وبخاصة عقيدة الهنود ، إذ أننا نجد هذه الفكرة من عقائد الهنود قبل أن يأتى المسيح بمئات السنين .

فهم يعتقدون أن كرشنا المولود البكر الذى هو نفس الإله (فشنو) الذى لا ابتداء له ولا انتهاء ، تحرك حنواً كى يخلص الأرض من ثقل حملها فأتاها ، وقدم نفسه ذبيحة عن الإنسان ، ويصورونه مصلوباً مثقوب اليدين والرجلين ، ويصفون كرشنا لذلك بالبطل الوديع المملوء لاهوتاً ، لأنه قدم نفسه ذبيحة من أجل البشر .

وفى بلاد النيبال والتبت يعتقدون أن إلههم (أندرا) سفك دمه بالصلب وثقب بالمسامير لكى يخلص البشرية من ذنوبهم وأن صور الصلب موجودة فى كتبهم [٢] .

---

(١) أحمد شلبى : المسيحية ص ١٣٥ .

(٢) أحمد شلبى : المسيحية ص ١٦٧ .

وإذا كانت كل هذه الشواهد تدل على أن العقائد المسيحية مصدرها وثنى وليس إلهياً .. بدليل ورودها هكذا كما هى على النحو الذى رأينا ـ فى وثنية الأقوام السابقين وليس فيها أبداً ما يمت بصلة إلى الأديان السماوية ، ولا إلى ما دعا إليه أبو الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام ولا إسماعيل ولا إسحق ولا يعقوب ولا يوسف ولا موسى .. فما بال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً ؟.

الجواب نجده فى تلك الكلمة الجامعة التى ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية فى سبب ضلال النصارى وأمثالهم من الغالية .. وإليك نص تلك الكلمة :

أسباب ضلال النصارى وأمثالهم من الغالية ثلاثة :

أحدها : ألفاظ متشابهة مشكلة منقولة عن الأنبياء وعدلوا عن الألفاظ الصريحة المحكمة وتمسكوا بها ، وهم كلما سمعوا لفظاً لهم فيه شبهة تمسكوا به وحملوه على مذهبهم ، وإن لم يكن دليلًا على ذلك .

والألفاظ الصريحة المخالفة لذلك إما أن يرفضوها ، وإما أن يتأولوها كما يصنع أهل الضلال . يثبتون المتشابه من الأدلة العقلية والسمعية ويعدلون عن المحكم الصريح من القسمين :

والثانى : خوارق ظنوها من الآيات وهى من أحوال الشياطين ، وهذا مما ضل به كثير من الضلال المشركين وغيرهم مثل دخول الشياطين فى الأصنام وتكليمهم . ومثل أخبار الشياطين للكهان بأمور غائبة ولابد لهم مع ذلك من كذب ، ومثل تصرفات تقع من شياطين .

والثالث : أخبار منقولة إليهم ظنوها صدقاً وهى كذب .

* * *

---

(١) ابن تيمية الجواب الصحيح جـ ١ ص ٣١٧ .

الباب السابع

الشريعة فى المسيحية

تكلمنا فيما مضى عن العقيدة فى المسيحية ، ونريد الآن أن نتكلم عن الشريعة فيها ، فهل فى المسيحية شريعة ؟ خاصة بعد ما تكلم المسيح نفسه (عليه السلام) وقال : (ما جئت لأنقض الناموس) (أى التوراة) بل لأتمم ؟.

الجواب : فى الحقيقة لا يوجد فى المسيحية شريعة بالمعنى التام : بل الموجود فى كتب النصارى بعض الأحكام فى العبادات والمعاملات مما يدخل تحت كلمة شريعة ، لكن هذا البعض قليل جداً ، ولا يتناول فروع الشريعة كلها .

وهنا يأتى سؤال ، وما هى فروع الشريعة ؟ .

١ ـ فروع الشريعة

الشريعة هى الأحكام العملية المتصلة بالعمل (لا) بالاعتقاد ، لأن ما يخص الجانب الاعتقادى هو المسمى بـ (الإيمان) وهو شىء فى القلب ، أما ما يتصل بخارج القلب وهو العمل الذى بالجوارح ، وأحكام هذا العمل هو ما يسمى شريعة ، وقد قسمت هذه الأعمال وأحكامها إلى الأقسام والفروع التالية :

(أ) عبادات .

(ب) معاملات .

(جـ) أخلاقيات .

والعبادات أمرها معروف ، إذ هى تنظم العلاقة بين الإنسان والله .

وكذلك المعاملات أمرها معروف ، إذ هى التى تنظم العلاقات بين الإنسان والإنسان ، ويدخل فى ذلك أحكام البيع والشراء والتجارة والشفعة والرهن .. إلخ المعاملات المالية . كذلك يدخل فيها أيضاً شئون الأسرة مثل الزواج والطلاق والميراث .

أما النوع الثالث فهو الخاص بالجنايات والحدود : فالجنايات مثل القتل وأحكام الشريعة فيه مع بيان أنواعه ، وأما الحدود فمثل حد الزنى وحد شارب الخمر وحد القذف .

أما الجانب الأخلاقى فأمره معروف .

فهل نجد فى الديانة النصرانية أحكاماً شرعية تمس هذه الموضوعات ؟ .

الواقع أننا لا نجد كل هذه الفروع ، والبعض الموجود قليل كما قلنا آنفاً .

وإليك تفصيل ذلك :

بالنسبة للصلاة : يوجد وسيأتى تفصيل الكلام فيها .

بالنسبة للزكاة : لا يوجد تحديد لنصاب ولا لمقدار محدد ، وإنما الموجود حث على التصدق وإعطاء المال تطوعاً وترغيب فى البذل وحض على ترك الدنيا بالكلية .

بالنسبة للصوم : يوجد وسيأتى تفصيل القول فيه .

أما بالنسبة للحج : فهو زيارة الأماكن التى كان يعيش فيها المسيح فى فلسطين .

أما بالنسبة للمعاملات المالية : فلا شىء فيها ، لأن المسيح رفض أن يقسم مالًا بين اثنين (١) .

وأما بالنسبة لشئون الأسرة فيوجد الآتى :

٢ - الزواج وتكوين الأسرة فى المسيحية .

فيما يتعلق بالزواج وتكوين الأسرة ، فإن الفكرة السائدة فى المسيحية هى تفضيل العزوبة وجعلها فى مكانة أسمى من الزواج وأن الشخص الحصور (أى الذى لا يقرب النساء) أفضل عند الله ممن يقرب النساء .

---

(١) القصة تقول : جاء رجلان من اليهود فقالا له: يا يسوع اقسم بيننا ، فقال : ومن الذى أقامنى عليكما قاسماً .

وهذا هو اتجاه بولس ، فى خطبه ورسائله ، وهو ينصح فى هذه الرسائل من لا يستطيعون العيش فى حالة عزوبة أن يتزوجوا إذا خافوا الوقوع فى الزنى ، سواء كانوا رجالًا أم نساء ، فإن الزواج فى هذه الحالة يكون أفضل من الوقوع فى النار بسبب الزنى .

ويضرب علماء النصارى أمثله كثيرة على أفضلية العزوبة أو البتولة على الزواج ، من ذلك مثـلا : المسيح نفسه لم يتزوج ـ ويوحنا المعمدان (أى سيدنا يحيى عليه السلام) ـ لم يتزوج ، وكذلك بولس نفسه ، وكذلك مريم أخت سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ وكذلك القديسة البتول تكلا [thé cla] التى ألقى بها الكفار إلى الأسود الجائعة ، فلم يقربوا منها ووجموا أمامها خاضعين لها بسبب تقواها وبتوليتها ، ويروون كذلك أن السيد المسيح ـ عليه السلام ـ فتح أبواب السماء للخصيان ، أى من يمتنعون عن النساء .

وكثير من فقهاء المسيحية ينظرون إلى ذلك على أنه حقائق معلومة من الدين بالضرورة ، ولا يجوز الشك فيها ، وقد حدث أن الراهب جوفنيسان عارض مبدأ التبتل هذا ، فطردته الكنيسة .

وإذا تزوج المسيحى لخوف الزنى ، فعليه أن يكتفى فى الزواج بما يحقق الذرية ولا يسرف فى المتعة الحسية ، ليكون شأنه شأن الزارع الذى إذا بذر البذرة وانتظر الحصاد ، دون أن يلقى فى الأرض بذوراً أخرى .

ومن الفرق المسيحية التى حرمت الزواج كلية : فرقة المارسينيين أصحاب مرسيون . ولم تقبل فى عضويتها من يكون متزوجاً سواء كان رجلًا أم امرأة .

هذه النظرة إلى الزواج هى التى أوجبت نظام العزوبة المفروض على القساوسة والرهبان فى المذهب الكاثوليكى .

وفى موضوع رجم الزانية : روى يوحنا فى إنجيله أن جماعة من فقهاء اليهود المنتسبين إلى فرقة الفريسيين جاءوا يوماً إلى المسيح بامرأة قد قبض عليها ، وهى متلبسة بجريمة الزنى ، وذكروا له أن موسى قد قرر فى شريعته حد الرجم على الزانية ، وطلبوا إليه أن يبين لهم رأيه فى هذا الموضوع ،

قاصدين بذلك امتحانه ، واستدراجه لعله يحكم بغير ما أنزل الله فيعطيهم بذلك سلاحاً لمحاربته والقضاء عليه وعلى دعوته ، فأطرق قليلًا وأخذ يخط بيده على الأرض ، وظلوا هم يكررون سؤالهم ، فرفع بصره وقال لهم : ليبدأ برجمها من لم يرتكب منكم خطيئة ، ثم أطرق برأسه وأخذ يخط بيده على الأرض ، ثم بعد فترة رفع رأسه فلم يجد أحداً منهم سوى المرأة ، لأنهم تسللوا حيث لم يكن واحد منهم مبرءاً من الخطيئة ، عندئذ قال للمرأة : أين هؤلاء الذين يتهمونك ؟ ألم يبدأ أحدهم برجمك ؟ فقالت : لا يا سيدى ، فقال لها : وأنا أيضاً لا أعاقبك ! اذهبى لسبيلك ولا ترجعى لما اقترفته (١) .

ومعنى ذلك أن المسيح قد ألغى حد الزنى مكتفياً بأخذ العهد على مقترفه ألا يعود إليه مرة أخرى .

وفى باب القصاص من الجانى : قاتلا أو تالفا للسن أو العين .. إلخ رفض المسيح ذلك مشيراً إلى أن شريعة موسى فيها « العين بالعين والسن بالسن » ، أما أنا (أى ـ المسيح) فأقول : إنه لا ينبغى أن تقاوموا من يتصدى لكم بالأذى ، وأنه إذا ضربك أحد على خدك الأيمن ، فأدر له الأيسر ، وإذا نازعك أحد فى إزارك وادعى ظلماً أنه له فأعطه إزارك ورداءك (٢) .

* * *

٣ ـ الأخلاق فى النصرانية

فى الإنجيل دعوة حارة إلى أن تقوم العلاقات بين الناس على أسس التسامح والعفو ودفع السيئة بالحسنة ، حتى أنها لتكاد تجعل ذلك واجباً من الواجبات ، وتبدو هذه القواعد أوضح ما تكون فى كثير من الفقرات الواردة فى خطبة الجبل الآتى ذكرها .

فمن ذلك قول المسيح فى هذه الوصية أو الخطبة : (لقد كان يقال لكم : (يشير إلى بعض التعاليم الواردة فى أسفار اليهود) « أحبوا أبناء

---

(١) إنجيل يوحنا فقرات ١ ـ ١١ من الإصحاح الثامن .
(٢) متى ـ إصحاح ٥ فقرات ٣٨ ـ ٤٠

شعبكم وابغضوا أعداءكم) وأما أنا فأقول لكم : أحبوا أعداءكم وباركوا الذين يلعنونكم ، وقدموا الخير لمن يكرهونكم ، وادعوا بخير لهؤلاء الذين يضطهدونكم ويعذبونكم ، حتى تستحقوا أن تكونوا أبناء لأبيكم الذى فى السموات [1] .

وغنى عن البيان أن تطبيق هذه المبادىء تطبيقاً حرفياً يؤدى فى النهاية إلى إلغاء العقوبات .

٤ ـ تعليق على ما جاء فى شرائع النصارى

هذه الأحكام من تحريم الطلاق ، وتحريم الزواج على من يطلق أو تطلق هو من باب العنت والحرج والتضييق على الناس ، وهو أيضاً يوحى بعدم الاهتمام بضرورات الحياة وشؤون الاجتماع .

بل إن بعض أحكامها يترتب عليه انقراض النوع الإنسانى ويعجل بفناء الكون من عالمنا الأرضى كنظرتها إلى العزوبة التى سبق ذكرها .

والقرآن يحث على التسامح والعفو عن الأذى ويجعل ذلك مثلًا أعلى ، ويعظم من أجر فاعله ، ولكن لا يوجبه على الناس لأن هذه المنزلة لا تتاح إلا للصفوة من الخلق ، وهم الذين وصلت نفوسهم إلى درجة كبيرة من الصفاء .

ولذلك يقرر مسئولية البادىء ، ويقيم جزاءه على أساس القصاص والمقابلة بالمثل حتى لا يرهق الناس من أمرهم عسراً ، وحتى يحيط أرواحهم بسياج من القدسية والحماية ، وحتى لا يستهين الفرد بانتهاك حقوق الآخرين وتعدى حدود الله .

٥ ـ خلاصة شريعة المسيح كما جاءت فى موعظة الجبل

قد أفصح المسيح فى موعظة الجبل أولى مواعظه ـ عن خلاصة ما جاء به ، وهى فى الحق تعتبر موعظة جامعة ، وها نحن نورد موجزاً لها بحسب رواية متى .

---

(١) إنجيل متى إصحاح ٥ فقرات ٤٣ ـ ٤٥ .

بشارة بالجنة للودعاء وللجياع وللرحماء وللأتقياء القلب ولصانعى السلام وللمطرودين من أجل البر ، ووصف صانعى السلام بأنهم أبناء الله يدعون .

ثم بين - عليه السلام - بأنه ما جاء لينقض الناموس (التوراة) بل ليكمل ، وأن الناموس لا يزول حرف منه حتى يأتى الكل .

ثم شرع يقارن بين ما جاء فى التوراة فقال :

- التوراة تقول : لا تقتل ومن قتل يكون مستوجب الحكم (أى يقتل) .

وأما أنا فأقول : كل من يغضب على أخيه باطلًا يكون مستوجب الحكم ، وكذلك من قال لأخيه يا أحمق أو يا أبله فإنه يكون مستوجب الحكم ، ويوصى بمراعاة رضا الأقارب والخصوم .

- التوراة تقول : لا تزن أما أنا (أى المسيح) فأقول : كل من نظر إلى امرأة وهو يشتهيها فإنه يزنى بها فى قلبه .

- التوراة تقول : من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق .

- أما أنا فأقول : من طلق امرأته إلا لعلة الزنى فإنه يجعلها تزنى ، ومن يتزوج مطلقة فإنه يزنى .

- التوراة تقول : لا تحنث بل أوف للرب أقسامك .

- **أما أنا فأقول** : لا تحلفوا البتَّة .

- التوراة تقول : عين بعين وسن بسن .

- **أما أنا فأقول** : (لا تقاوموا الشر ، بل من لطمك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر ، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً . ومن سخرك ميلًا فاذهب معه اثنين .

من سألك فأعطه ، ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده .

- التوراة تقول : تحب قريبك وتبغض عدوك .

ـ **أما أنا فأقول** : أحبوا أعداءكم وباركوا لاعنيكم ، أحسنوا إلى مبغضيكم ، لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات ، كونوا كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل .

ـ ثم يوصيهم بإخفاء الصدقة خوفاً من الرياء ، وكذلك بإخفاء الصلاة ، وبعدم الغضب أثناء الصوم .

ـ ثم يوصى بعدم كنز المال ، بل الوصية أن يكنزوا الأعمال الصالحة ، وبأن خدمة الله أفضل من خدمة المال .

ويدعو إلى التوكل على الله حق التوكل ، وبعدم الاهتمام بالمأكل والمشرب والملبس ، وبعدم الاهتمام بالغد ، وبعدم إظهار عيوب الناس ـ بل الأفضل أن ينظر الإنسان فى عيوب نفسه .. وبأن يسألوا الله دائماً ويلحوا فى السؤال حتى يعطيهم .

ـ ثم يحذرهم من الأنبياء الكذبة ، وعلامتهم أن أعمالهم لا تعطى ثمرة طيبة .

ـ وأن الذى يستحق الدخول فى ملكوت الله هو الذى يسمع أقوال المسيح ويعمل بها .

انتهت الموعظة .

وفى مكان آخر أورد متى إصحاح ١٩ ، كلاماً للمسيح فى شأن الطلاق وكيف أن موسى سمح به ، فقال المسيح : (إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم ، ولكن من البدء لم يكن هكذا) ثم كرر كلامه الأول بأن من طلق امرأته إلا لعلة الزنى ، وتزوج بأخرى فإنه يزنى ، والذى يتزوج بمطلقة يزنى .

وقد ورد مثل ذلك أيضاً فى مرقص ص ١٠ (٩ ـ ١٢) .

٦ ـ الصوم عند النصارى

مفهوم الصوم عندهم : هو الامتناع عن الطعام وقتاً معينا من النهار ثم اقتصاره بعد ذلك على مأكولات خالية من الدسم إضعافاً للشهوة وتقوية للعواطف الروحية وتمكيناً للإنسان من التذرع بوسائل النجاة من تجارب الحياة وضيقاتها وينقسم إلى :

(أ) الصوم المقـــدس :

وعدد أيامه خمسة وخمسون هى عبارة عن الأربعين يوماً التى صامها المسيح ، مضافاً إليها أسبوع الاستعداد ـ أى السابق على الصوم ،وأسبوع الآلام يمتنع فى هذا الصوم عن أكل الحيوان أو ما يتولد عنه . أو ما سيخرج من أصله ويقتصر على أكل البقول .

(ب) صوم الميلاد :

وعدد أيامه ثلاثة وأربعون ينتهى بعيد الميلاد .

(جـ) صوم الرسل :

وعدد أيامه يزيد وينقص حسب التقاليد المتفق عليها فى المجامع المسكونية ـ لضبط عيد الفصح وتتراوح مدته بين ١٥٠ وتسعين يوماً .

(د) صوم السيدة العذراء مريم :

ومدته ١٥ يوماً يبدأ مع أول شهر مسرى .

(هـ) صوم أهل نينوى :

ومدته ثلاثة أيام ويبدأ عادة بيوم الاثنين وينتهى يوم الأربعاء .

(و) صوم يوم الأربعاء والجمعة على مدار السنة :

ما عدا أيام الخميس وعيدى الميلاد والظهور إذا اتفقا فيهما ، وعلة صوم هذين اليومين أنهما تذكار المؤامرة ويوم الجمعة تذكار الصلب .

(ز) صوم البرامون :

ومعناه الاستعداد ويقع قبل عيدى الميلاد والظهور وتتراوح مدته بين يوم واحد وسبعة أيام .

(راجع تاريخ الأقباط ـ زكى شنوده جـ ١ نقلًا عن : الأجوبة الفاخرة هامش ص ١٢١ تحقيق د ـ بكر زكى عوض) .

* * *

٧ ـ بين النصرانية واليهودية :

(أ) نهت شريعة موسى عن القتل ، أما المسيح فقد ذهب إلى أبعد من ذلك فنهى عن التفكير فى الإساءة عموماً : (إن كل من غضب على أخيه يستوجب الدينونة) [١] .

(ب) نهت شريعة موسى عن الزنى : أما المسيح فقد نهى عن كل فكرة دنس تداعب الحس والخيال ، فقال : (إن كل من نظر إلى امرأة وهو يشتهيها فقد زنى بها فى قلبه) [٢] .

(جـ) وأباحت شريعة موسى الطلاق : أما المسيح فقد ألغى الطلاق [٣] .

(د) نهت شريعة موسى عن الحنث بالعهود والحلف بالله ، أما المسيح فقد نهى عن الحنث على الإطلاق [٤] .

(هـ) تساهلت شريعة موسى فاعترفت بالانتقام ، وعملت بسنة العين بالعين ، أما المسيح فقد نصح بقبول الإهانة برباطة الجأش : (لا تقاوموا الشرير ، بل من لطمك على خدك الأيمن .. إلخ) [٥] .

(و) نصت شريعة موسى على محبة الأحياء وبغض الأعداء ، أما المسيح فقد قال بمحبة الأحباء والأعداء (أحبوا أعداءكم وأحسنوا إلى من يبغضكم ..) [٦] .

(ز) اكتفى الإسرائيليون بإتمام واجبات العدل لينال الإنسان النجاة ـ أما المسيح فأفهم الناس أن العدل وحده لا يكفى بل لابد معه من المحبة [٧] .

---

(١) متى : إصحاح ٥ : ٢١ .
(٢) متى : إصحاح ٥ : ١٧ .
(٣) موعظة الجبل .
(٤) متى : ٥ : ٣٣ ـ ٣٧ .
(٥) متى : ٥ ـ ٣٩ .
(٦) متى ٥ : ٤٣ ـ ٤٤ .
(٧) لوقا : ١٦ : ١٩ ـ ٢٠ ـ أحمد شلبى .

النسخ فى المسيحية :

ينكر المسيحيون حدوث أى نسخ فى التوراة أو عندهم ، ولكن هذا غير صحيح ، وإليك البيان :

٨ ـ أمثلة لثبوت النسخ من الإنجيل

ذكر الشيخ رحمت الله الهندى فى كتابه « إظهار الحق » الأمثلة الآتية لوقوع النسخ فى الإنجيل وهى :

(أ) بالنسبة للعهد القديم :

ـ تحريم الطلاق (عكس شريعة موسى) وتحريم الزواج للمطلق والمطلقة (عكس شريعة موسى) .

ـ إباحة الحيوانات الكثيرة بفتوى بولس ، وقد كانت محرمة فى الشريعة الموسوية .

ـ أحكام الأعياد نسخها بولس مثل نسخه لحرمة السبت والختان .

ـ أحكام الذبائح كانت كثيرة وأبدية فى شريعة موسى ، فنسخت فى الشريعة العيسوية .

ـ ومن ذلك ذبيحة الصنم والدم والمخنوق ، بل وحتى حكم الزنى ، نسخ .

ـ الكهانة لما بدلت ـ بدل الناموس أيضاً .

ـ أحكام التوراة كانت ضعيفة ، وبلا فائدة ومعيبة وقابلة للنسخ لكونها عتيقة .

(ب) بالنسبة للأناجيل وحدوث النسخ فيها :

ـ المسيح قال بأن رسالته لبنى إسرائيل ، فجعلها بولس عالمية .

ـ المسيح أوصى بالعمل بما يقوله الكتبة والفريسيون ، كل هذا نسخ فى الشريعة العيسوية .

ـ الحواريون نسخوا جميع أحكام التوراة العملية كما سبق القول .

ـ المسيح قال إنه لم يأت ليهلك أنفس الناس بل ليخلص ، ولكن ورد عكس ذلك فى رسالة بولس إلى أهل تسالونيكى .

وإليك الأدلة على ذلك :

٩ ـ أدلة ثبوت النسخ من الإنجيل

ـ يجوز فى الشريعة الموسوية أن يطلق الرجل امرأته بكل علة ، وأن يتزوج رجل آخر بتلك المطلقة بعدما خرجت من بيت الأول ، كما هو مصرح به فى الباب الرابع والعشرين من كتاب الاستثناء .

ولا يجوز فى الشريعة العيسوية إلا بعلة الزنى ، هكذا لا يجوز لرجل آخر نكاح المطلقة ، بل هو بمنزلة الزنى كما صرح به فى الباب الخامس والتاسع عشر من إنجيل متى .

ـ كانت الحيوانات الكثيرة محرمة فى الشريعة الموسوية ونسخت حرمتها فى الشريعة العيسوية ، وثبتت الإباحة بفتوى بولس : الآية الرابعة عشرة من الباب الرابع عشر من رسالته إلى أهل رومية هكذا : (فإنى أعلم وأعتقد بالرب عيسى أن لا شيء نجس العين ، بل إن كل شيء نجس لمن يحسبه نجساً) .

والآية الخامسة عشرة من الباب الأول : من رسالته إلى طيطوس هكذا : (فإن جميع الأشياء طاهرة للطاهرين ، وليس شيء بطاهر للنجسين والمنافقين ، لأنهم كلهم نجسون حتى عقلهم وضميرهم) .

ـ أحكام الأعياد التى فصلت فى الباب الثالث والعشرين من كتاب الأخبار كانت واجبة أبدية فى الشريعة الموسوية ووقعت فى حقها الآيات ١٤ ، ٢١ ، ٣١ ، ٤١ من الباب المذكور ألفاظ تدل على كونها أبدية .

ـ وتعظيم يوم السبت حكم أبدى فى الشريعة الموسوية ، وما كان لأحد أن يعمل فيه أدنى عمل ، وكان من عمل فيه عملًا ومن لم يحافظ عليه واجب القتل .

وقد تكرر بيان هذا الحكم والتأكيد عليه فى كتب العهد العتيق فى مواضع كثيرة :

مثلًا : فى الآية ٣ من الباب ٢ من سفر التكوين .

وفى الباب العشرين من سفر الخروج آية ٨ ـ ١١ .

وفى الآية ١٢ من الباب ٢٣ من سفر الخروج .

وفى الآية ٢١ من الباب ٣٤ من سفر الخروج .

وفى الآية ٣ من الباب ١٩ ، وكذا من الباب الثالث والعشرين من سفر الأخبار .

وفى الباب الخامس من كتاب الاستثناء من الآية ١٢ ـ ١٥ ، وفى الباب ١٧ من كتاب أرمياء .

وفى الباب ٥٦ ـ ٥٨ من كتاب أشعياء ، وفى الباب ٩ من كتاب نحميا ، وفى الباب ٢٠ من كتاب ـ حزقيال ، إلى كثير غير ذلك .

وكان اليهود المعاصرون للمسيح ـ عليه السلام ـ يؤذونه ويريدون قتله لأجل عدم تعظيم يوم السبت ، وكان هذا أيضاً من أدلة إنكارهم .

أقــول : إن مقدسهم بولس نسخ هذه الأحكام المذكورة (أكل الحيوانات ـ والأعياد ـ وحرمة يوم السبت) وبين أن هذه الأشياء كانت إضلالًا) .

فقد جاء فى الباب الثامن من رسالته إلى أهل قولاسايس ١٦ (فلا يدينكم أحد بالمأكول أو المشروب أو بالنظر إلى الأعياد ، أو الأهلة أو السبوت ١٧ ، فإن هذه الأشياء ضلال ، للأمور المزمعة بالاتيان وأما الجسد فإنه للمسيح) .

والمفسرون للكتب النصرانية صرحوا بالنسخ ، عند تفسيرهم لهذا النص ،ومنهم :

بركت والدكتور وت بى ـ وبشب هارسلى وهنرى واسكات صاحب التفسير المشهور وياسويسروليا .

ـ مثال آخر وهو : حكم الختان كان أبدياً فى شريعة إبراهيم ـ عليه السلام ـ كما هو مصرح به فى الباب ١٧ من سفر التكوين ، ولذلك بقى هذا الحكم فى أولاد إسماعيل وإسحق ـ عليهما السلام ـ وبقى فى شريعة

موسى ـ عليه السلام ـ أيضاً . الآية الثالثة من الباب ١٢ من سفر الأخبار ، هكذا : (وفى اليوم الثامن يختن الصبى) . وختن عيسى ـ عليه السلام ـ أيضاً كما هو مصرح به فى الآية الحادية والعشرين من الباب ٢ من إنجيل لوقا .

وعند المسيحيين فى أيامنا هذه صلاة معينة يؤدونها فى يوم ختان عيسى ـ عليه السلام ـ تذكرة لهذا اليوم ، وكان هذا الحكم باقياً إلى عروج عيسى ـ عليه السلام ـ وما نسخ ، بل نسخه الحواريون فى عهدهم كما هو مشروح فى الباب الخامس عشر من أعمال الحواريين ـ ويشدد مقدسهم بولس فى نسخ هذا الحكم تشديداً بليغاً فى الباب الخامس من رسالته إلى غلاطية هكذا : (وها أنذا بولس أقول لكم إن اختتنتم لن ينفعكم المسيح بشىء ـ ٣ ـ لأنى أشهد أن كل مختون ملزم بإقامة جميع أعمال الناموس ـ ٤ ـ إنكم إن تزكيتم بالناموس فلا فائدة لكم من المسيح وسقطتم عن نيل النعمة ـ ٦ ـ فإن الختانة لا منفعة لها فى المسيح ولا للقلفة ، بل الإيمان الذى يعمل بالمحبة) .

والآية الخامسة عشرة من الباب السادس من الرسالة المذكورة هكذا : (لا منفعة للختان فى المسيح عيسى ولا للقلفة بل الخلق الجديد) .

مثال آخر : أحكام الذبائح كانت كثيرة وأبدية فى شريعة موسى وقد نسخت كلها فى الشريعة العيسوية (١) .

مثال آخر : الأحكام الكثيرة المختصة بآل هارون من الكهانة واللباس وقت الحضور للخدمة وغيرها كانت أبدية وقد نسخت كلها فى الشريعة العيسوية (٢) .

مثال آخر : نسخ الحواريون بعد المشاورة التامة جميع الأحكام العملية للتوراة إلا أربعة : ذبيحة الصنم ، والدم ، والمخنوق ، والزنى ـ فأبقوا حرمتها وأرسلوا كتاباً إلى الكنائس ، وهو منقول فى الباب الخامس من أعمال الحواريين (٣) .

---

(١) رحمت الله الهندى ـ إظهار الحق ـ طبعة قطر جـ ١ ص ٥٢٤ .

(٢) المصدر نفسه ـ نفس المكان .

(٣) المصدر نفسه ـ نفس المكان .

ـ ثم بعد ذلك رأى مقدسهم بولس أن هذه الأربعة حرمتها كلها ليست ضرورية فنسخها عدا حرمة الزنى . بفتوى الإباحة العامة . وعلى اتفاق جمهور البروتستانت . ولكن إذا علمنا أن الزنى ليس له حد فى الشريعة العيسوية عكس الموسوية ـ مما يدلنا أن حكم الزنى منسوخ أيضاً .

وإذن فالشريعة العيسوية نسخت الأحكام العملية التى كانت فى الشريعة الموسوية ، أبدية كانت أو غير أبدية .

وقد بين بولس ذلك صراحة فى رسالته إلى أهل غلاطية عدد ٢٠ ، ٢١ الباب الثانى منها ، وكذا الباب الثالث من الرسالة المذكورة .

وقال « لارد » المفسر المشهور : فى الصفحة ٤٨٧ من المجلد التاسع من تفسيره بعد نقل هذه الآيات : (نسخت شريعة موسى أو صارت بلا فائدة بموت المسيح أو صلبه).

وكذا ورد مثله فى تفسير (دوالى ورجردينت) : (نسخ رسومات الشريعة بموت عيسى وشيوع إنجيله) .

مثـــال آخر : الآية الثانية عشرة من الباب السابع من الرسالة العبرانية هكذا : (لأن الكهانة لما بدلت بدل الناموس أيضاً بالضرورة) .

ففى هذه الآية إثبات التلازم بين تبدل الإمامة وتبدل الشريعة ، فإن قال المسلمون أيضاً نظراً إلى هذا التلازم بنسخ الشريعة العيسوية فهم مصيبون فى قولهم لا مخطئون .

ـ فى الباب السابع : الآية الثامنة عشرة من الرسالة العبرانية تصريح بأن نسخ أحكام التوراة كان لأجل أنها كانت ضعيفة بلا فائدة .

ـ وفى الباب الثامن من الرسالة العبرانية تصريح بأن أحكام التوراة كانت معيبة وقابلة للنسخ لكونها عتيقة بالية .

١٠ ـ إثبات النسخ فى الأناجيل

فى الباب العاشر من إنجيل متى ورد أن المسيح أوصى الحواريين الاثنى عشر بأن لا يمضوا إلى طريق أمم ، ولا إلى مدينة السامريين ، ولكن عليهم أن يمضوا إلى خراف بنى إسرائيل خاصة .

وكذلك ورد فى الباب الخامس عشر من إنجيل متى قول المسيح ـ عليه السلام ـ فى حق نفسه : (لم أرسل إلا إلى خراف بنى إسرائيل الضالة) فهو نفسه يعترف بأنه لم يرسل إلا إلى خراف بنى إسرائيل الضالة .

بينما نقل مرقص فى إنجيله فى الآية ١٥ من الباب ١٦ أن المسيح قال : (اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها) فنسخ الحكم الأول [١] .

ورد فى الباب ٢٣ من إنجيل متى ما معناه أن المسيح خاطب الجموع وتلاميذه بأن يفعلوا كل ما يقـوله لهم الكتبة والفريسيون من اليهود ، ولاشك أنهم يقولون لهم بحفظ جميع أحكام التوراة العملية سيما الأبدية على زعمهم .

ومع ذلك فكل هذه منسوخة فى الشريعة العيسوية كما سبق تفصيله [٢] .

سبق أن ذكرنا أن الحواريين بعد المشاورة نسخوا جميع أحكام التوراة العملية غير الأربعة ، ثم نسخ بولس حرمة الثلاثة منها وهى: ذبيحة الصنم والدم والمخنوق .

ورد فى الآية ٥٦ من الباب ٩ من إنجيل لوقا أن المسيح ـ عليه السلام ـ قال إنه لم يأت ليهلك أنفس الناس ، بل ليخلص ، ومثل ذلك ورد فى إنجيل يوحنا .

لكن وقع فى الآية ٨ من الباب الثانى من الرسالة ٢ إلى أهل تسالونيكى أن المسيح سيلعن الأثيم ويبيده بنفخة فمه ويبطله بظهوره . فالقول الثانى ناسخ للأول .

فعلم من هذه الأمثلة أن نسخ أحكام الإنجيل واقع بالفعل فضلًا عن الإمكان .

---

(١) إظهار الحق جـ ١ ص ٥٣٨ .

(٢) المصدر نفسه نفس المكان .

أما ما ورد على لسان المسيح ـ عليه السلام ـ فى الآية ٣٥ من الباب الرابع والعشرين من إنجيل متى ، والآية الثالثة والثلاثين من الباب الحادى والعشرين من إنجيل لوقا ، من أنه قال بأن السماء والأرض تزولان ولا يزول كلامى .

فالمراد به كلامه الذى هو أخبار عن حادثات تقع بعده وليس المراد به كلامه الذى هو عبارة عن أحكام ، لأن تلك حدث فيها تغيير منه ومن تلاميذه ومن بولس على نحو ما ذكرنا .

إذا عرفت هذا عرفت بدون أدنى شك وقوع النسخ بكلا قسميه فى الشريعة الموسوية والعيسوية . وظهر لك أن ما يدعيه أهل الكتاب من امتناع النسخ باطل ولا ريب فى ذلك .

كيف لا ، ومصالح الناس تختلف باختلاف الزمان والمكان والمكلفين .

والمسيح نفسه أشار إلى هذا فى قوله : (إن لى أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم لا تستطيعون الآن أن تحتملوا ، وأما متى جاء ذلك فإن الروح روح الحق يرشدكم إلى جميع الحق) كما هو مصرح به فى الباب ١٦ من إنجيل يوحنا (١) .

١١ ـ فصل فيما يعيبه النصارى على المسلمين والرد عليهم فى ذلك

يعيبون على الصالحين من المسلمين أن يتزوجوا ، بخلاف الرهبان عندهم فإنهم لا يتزوجون .

والرد على ذلك : جميع الأنبياء ـ عليهم السلام ـ تزوجوا وولد لهم أولاد ، عدا عيسى ويحيى ـ عليهما السلام ـ .

وفى التوراة التى تؤمنون بها ورد : (يحل للرجل أن يتزوج من النساء قدر ما يقدر عليه من نفقتهن وكسوتهن) وأنتم يا معشر النصارى لم تأذنوا

---

(١) إظهار الحق جـ ١ ص ٥٤١ .

فى التزويج بما شرعه الله فى التوراة والإنجيل ، وإنما تمسكتم فى ذلك بقول بولس الذى شرع الزواج بواحدة للرجل ، فإذا ماتت عوضها بأخرى إلى ثلاثة ،وأمر أن يتزوج القسيس بامرأة واحدة بكراً لاثيباً ، فإذا ماتت حرم عليه التزويج .

فعلم من ذلك أن الزواج حلال منصوص عليه فى الكتب .

واسألوا أنفسكم كم من القبائح والمعائب تلحق بالقساوسة من جراء عدم التزوج من شيوع الفاحشة بينهم وبين الراهبات وبينهم وبين أنفسهم (والعصور الوسطى مملوءة بقصص كثيرة عن اعتداءات الرهبان على الراهبات ــ ولا يزال ذلك ينشر فى صحف الغرب الآن) .

ــ ومما يعيبه النصارى على المسلمين : الاختتان :

والرد : عيسى ــ عليه السلام ــ ختن ، وتجعلون من يوم ختانه عيداً لكم من أكبر الأعياد ، فكيف تنكرون على المسلمين ذلك ، هذا فضلًا عن وجود شريعة الختان فى التوراة والتشديد فيها ، بما هو معلوم لكم . وإبراهيم ــ عليه السلام ــ ختن ، وكذلك أولاده .

فالعيب عندكم والإثم عليكم .

ــ كذلك يعيبون على المسلمين اعتقادهم فى أن أهل الجنة يأكلون ويشربون .

والرد : كيف تنكرون ذلك : ومتى يقول فى الفصل السادس والعشرين من إنجيله :

١ ــ أن عيسى ــ عليه السلام ــ قال للحواريين وهو يتعشى فى الليلة التى أخذته اليهود فيها ــ على زعمهم ــ « إنى ما بقيت أشرب بعد هذا إلا فى الجنة » .

وهكذا قال مرقص فى الفصل الرابع عشر من إنجيله عدد ٢٥ .

وقال لوقا نفس الكلام فى الفصل الثانى والعشرين عدد ٣٠ أن عيسى ــ عليه السلام ــ قال للحواريين : (إنكم تأكلون وتشربون معى على طابلة فى الجنة) .

ـ وعلماء النصارى يعلمون أن آدم ـ عليه السلام ـ أكل من الشجرة المنهى عنها فى الجنة هو وامرأته حواء ، وكان ذلك سبب هبوطهما إلى الأرض ، وهذا منصوص عليه فى التوراة والإنجيل ، فكيف تنكرونه ؟ .

وإذا قالوا : إن الأكل والشرب ينتج عنه البول والغائط ، فالجواب : بأن هذا فى الدنيا ، أما فى الجنة فإن أهلها يخرج عليهم رشح أى عرق رائحته كرائحة المسك ، وأنهم لا يبصقون فيها ولا يتمخطون فيها ، ومن باب أولى لا يبولون ولا يتغوطون .

ومما ينكرونه أيضاً على المسلمين : قول المسلمين أن فى الجنة قصوراً ويواقيت وغير ذلك .

فيقال لهم : إن عندكم فى الكتاب المسمى بنوار القديسين فى قصة جوان (يحيى) الإنجيلى : أنه مر ذات يوم بشابين عليهما ثياب الحرير ومعهما خدام ومركب كبير ، فذكرهما بالنار وهددهما حتى تركا ما كانا عليه وتبعا جوان (يحيى) المذكور ، وتصدقا بمالهما على خدامهما ، فلما كان بعد مدة ، مر خادمهما فى زى عظيم ومركب فخم وخدم ، فحزنا وندما على ما فاتهما ، من نعيم الدنيا واشتد ذلك عليهما ، ففهم جوان (يحيى) ذلك وقال لهما : ندمتما وحزنتما على ما فاتكما من نعيم الدنيا ؟ فقالا : نعم ما وجدنا عن ذلك صبراً ، فقال لهما : اذهبا فأتيانى بحجرين من الوادى ، فأتياه فأدخلهما تحت ثوبه ثم أخرجهما وهى كلها يواقيت نفيسة . فقال لهما : اذهبا إلى السوق ، فبيعاها ثم اشتريا أكثر مما كان لكما ، ولكن لا نصيب لكما فى الجنة ، فإنكما بعتما نصيبكما منها بهذا العاجل الفانى ، وبينما هما كذلك وإذا بميت يحمله أهله ، وقد رغبوا أن يحييه لهم جوان (يحيى) فأحياه لهم ثم قال له : أخبر هذين الرجلين عما فاتهما من نعيم الجنة : فقال لهما ذلك الميت : (قد كانت لكما فى الجنة قصور مبنية باليواقيت على كل لون ، طول كل قصر منها كذا وكذا ..) .

فلما سمع الشابان ذلك تابا وتركا كل شىء [١] .

---

(١) تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب ص ٥٤ .

الباب الثامن

المذاهب المسيحية

أولًا : طبيعة المسيح والآراء حولها :

إن تقرير ألوهية المسيح لم يكن عملًا سهلًا ، بل كان عملًا معقداً ، ولذلك سبب مشاكل كثيرة بين المؤمنين به . ومن هنا نشأت فرق وطوائف مختلفة بسبب هذا المبدأ ، فلنلق نظرة على هذه الطوائف والفرق لنتعرف على أسسها وأسمائها وأسماء الداعين إليها .

بداية نقرر أن مصدر الاختلاف وأساسه هو أن : المسيح نفسه كان بشراً وابن إنسان ، أى أنه يجرى عليه كل ما يجرى على البشر من حاجة إلى الطعام والشراب والنوم والراحة ، والفرح والحزن والجوع والعطش والخوف ، إلى آخر هذه الصفات ، وهو فى الوقت نفسه إله عند المؤمنين بذلك من أتباعه ، فكيف يكون التوفيق بين هاتين النظرتين : نظرة أنه إنسان ونظرة أنه إله : الأولى تقول إنه محتاج ، والثانية تقول إنه غنى عن كل شىء ولا يحتاج لشىء بحكم كونه إلهـا ، هنا وجدنا الاتجاهات التالية :

١ ـ أصحاب الطبيعتين : أى أولئك الذين يرون أن للمسيح طبيعتين : طبيعة بشرية ، وأخرى إلهية ، وهؤلاء يمثلهم : آريوس ـ ونسطوريوس والكاثوليك على تفصيل بينهم فى ذلك .

٢ ـ أصحاب الطبيعة الواحدة ، وأولئك يمثلهم : اثناسيوس (٢٩٧ ـ ٣٧٣) أسقف الأسكندرية ـ وكيرلس **Cyril** بطريك الأسكندرية [١] ويعقوب البرادعى .

---

(١) أحمد شلبى (دكتور) : مقارنة الأديان ـ المسيحية ـ طبعة ثانية ـ القاهرة سنة ١٩٨٤ ، ص ١٩٢ .

أما تفاصيل الآراء عن كل منهم فإليك البيان :

آريوس : قسيس مصرى من الأسكندرية ، كان داعية قوى التأثير ، واضح الحجة ، أخذ على نفسه فى أوائل القرن الرابع مقاومة كنيسة الأسكندرية فيما تذهب إليه من القول بألوهية المسيح وبنوته للأب ، فقام يقرر أن المسيح ليس إلهاً ولا ابناً لله ، وإنما هو بشر مخلوق .

وأنكر جميع ما جاء فى الأناجيل من العبارات التى توهم ألوهية المسيح (١) .

ومريم لم تلد إلهاً وإنما ولدت بشراً ، وأن طبيعة المسيح ليست من طبيعة الأب ، لأن الأب متقدم على الابن ، والابن متأخر عنه ، فلا تتساوى طبيعتهما (٢) .

وقد مالت العناصر اليونانية أو المتأثرة بالفلسفة اليونانية إلى مذهب آريوس .

لكن اثنا سيوس [Athanasius] ٢٩٧ ـ ٣٧٣ أسقف الأسكندرية ذهب إلى معارضته وقال بأن المسيح له طبيعة واحدة [Monophy site] وأنه إله ابن إله (٣) .

ثانياً : الآراء حول أم المسيح ، وهل ولدت إلهاً أم إنساناً ؟ :

غير أن النقاش استمر فى القرن الخامس أيضاً ، فعاد البحث إلى أم المسيح ، هل يمكن أن تلقب باسم أم الإله [Theo Tokos] أم هل كانت أماً للطبيعة البشرية فقط ، وليس للطبيعة الإلهية ؟ .

فذهب نسطوريوس [Nestorius] بطريرك القسطنطينية سنة ٤٢٨ م إلى سلب العذراء لقب أم الإله ، حيث أن للمسيح طبيعتين .

---

(١) على عبد الواحد وافى (دكتور) : الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ص ١٠٨ .

(٢) أميرة حلمى مطر (دكتوراه) : الفلسفة عند اليونان جـ ٢ ، ص ٤٢٨ .

(٣) المصدر السابق ص ٤٢٨ ـ ٤٢٩ .

وهذا فى الحقيقة فرع عن مشكلة فلسفية هى : هل النفس العاقلة تكون فى الجنين عند الولادة أم قبلها ، فإن كانت تكون قبل الولادة ، فالعذراء أم المسيح ولدت إلهاً ، وإن صح أن النفس لا تكون إلا حين الولادة تكون العذراء ولدت بدن المسيح .

لكن القديس كيرلس [st. cyril] بطريرك الأسكندرية حمل مجمع أفسس عام ٤٣١ على إدانة نسطوريوس وأتباعه وعدهم هراطقة .

لكن أتباع نسطوريوس من السوريين قاطعوا المجمع وأنشأوا مذهبهم فسموا بالنسطوريين .

وانتشرت آراؤهم فوصلت إلى الهند والصين .

فجاء البابا ليو [Leo] فى روما ودعا إلى مجمع آخر فى [chalons] ورفض فيه دعوة الطبيعة الواحدة ــ وعارض مجمع أفسس وقرر فى شالون أن للمسيح طبيعتين واحدة إنسانية ، وأخرى إلهية .

ومذهب الطبيعة الواحدة يسمى بالمذهب اليعقوبى نسبة إلى يعقوب البرادعى سالف الذكر .

ومذهب الطبيعتين يسمى مذهب الطبيعتين والمشيئتين وهو مذهب كنيسة روما ، الذى اتخذت به قراراً فى مجمع خلقيدونية عام ٤٥١ م . ويسمى أيضاً المذهب الملكانى نسبة إلى الملك أو الامبراطور فى روما ، وقد أخطأ الشهرستانى إذ قرر أن هذا المذهب ينسب إلى شخص اسمه (ملكا) (١) .

لكن مذهب الطبيعتين والمشيئتين هذا عارضه رجل اسمه يوحنا مارون الذى دعا سنة (٦٦٧) إلى أن للمسيح طبيعتين : ولكن له مشيئة واحدة . لالتقاء الطبيعتين فى أقنوم واحد .

---

(١) على عبد الواحد وافى : الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ص : ١١٦ ، ولكن الدكتور أحمد شلبى يقول إن التسمية بالملكانى راجعة إلى حضور زوج الملكة هذا المجمع . (انظر المسيحية : ص ١٩٤) .

لكن البطاركة لم يقبلوا بذلك وأشاروا على الامبراطور أن يعقد مجمعاً ، فعقد مجمع القسطنطينية سنة ٦٨٠ م وقرر أن للمسيح طبيعتين ومشيئتين وكان ذلك تأكيداً لمذهب الكاثوليك الذى لعن كل من يقول بغير ذلك ، أى أن يوحنا مارون يكون كافراً .

وقد نزلت بعد ذلك بأصحاب المذهب المارونى القائل بالمشيئة الواحدة اضطهادات شديدة فأخذوا يفرون بدينهم من بلد إلى بلد إلى أن انتهى بهم المطاف فى جبل لبنان واشتهروا بلقب المارون ، وظلوا مستقلين فى شؤونهم الدينية إلى أن قربتهم كنيسة روما ، فأعلنوا فى سنة ١١٨٢ الطاعة لها مع بقائهم على مذهبهم القائل بالمشيئة الواحدة ، وقد هاجر من هذه الطائفة عدد كبير إلى أمريكا . ولها بطريرك خاص ، وإن كان يقر بالرئاسة لبابا الكنيسة الكاثوليكية بروما (١) .

ثالثاً : انقسام الكنيسة إلى شرقية وغربية :

هذا وقد ظلت الطوائف القائلة بالطبيعتين والمشيئتين متفقة فى آرائها إلى أن نشب بينها فى منتصف القرن التاسع خلاف بشأن الأقنوم الذى انبثق منه روح القدس .

فذهب بعض الطوائف إلى أن انبثاق الروح القدس كان من الأب وحده ، وذهب بعضها الآخر إلى أن انبثاقه كان من الأب والابن معاً .

وقد أخذت كنيسة روما بالرأى الذى يقول بانبثاق الروح القدس من الأب والابن معاً وذلك فى مجمع القسطنطينية الذى عقد سنة ٨٦٩ م . واشتهر هذا المجمع باسم المجمع الغربى اللاتينى . (يقول د . شلبى : إنه عقد فى روما ـ انظر ص ٢٠٠ من المسيحية) .

وقد أخذ بالرأى الأول الذى يقول بانبثاق الروح القدس من الأب وحده بطريرك القسطنطينية الذى عقد بدوره مجمعاً فى القسطنطينية سنة ٨٧٩ وأصدر هذا المجمع قراراً بأن روح القدس منبثق من الأب وحده ، واشتهر هذا المجمع باسم المجمع الشرقى اليونانى .

---

(١) على عبد الواحد وافى ـ المصدر السابق ص ١١٧ .

وقد ترتب على ذلك انقسام الكنائس القائلة بالطبيعتين والمشيئتين إلى كنيستين رئيسيتين :

١ ـ **الكنيسة الشرقية اليونانية** : ويقال لها كذلك الكنيسة الشرقية فقط ، وكنيسة الروم الأرثوذوكس ، وهى التى تذهب إلى أن روح القدس منبثق عن الأب وحده ، والمشايعون لها أكثرهم فى الشرق وبلاد اليونان وتركيا وروسيا والصرب ، وغيرها . ولهم بطاركة أربعة هم :

(أ) بطريرك القسطنطينية وهو كبيرهم .

(ب) يليه بطريرك الأسكندرية للروم الأرثوذوكس .

(جـ) ثم بطريرك انطاكية .

(د) ثم بطريرك أورشاليم .

وثمة مناطق تخضع للكنيسة الشرقية وتخضع لمجامع وأسقفيات مستقلة كالمجمع الروسى وأسقفية أثينا وأسقفية قبرص .

٢ ـ **الكنيسة الغربية اللاتينية** : ويقال لها كذلك الكنيسة الغربية فقط ، وكنيسة روما ، والكنيسة الكاثوليكية ، وقد تسمى كذلك الكنيسة البطرسية أو كنيسة بطرس ، لأن اتباعها يعتقدون أن مؤسسها هو بطرس الرسول كبير الحواريين وأن بابواتها خلفاؤه من بعده .

ورئيسها فى الوقت نفسه رئيس دولة الفاتيكان ، وهى التى تذهب إلى أن الروح القدس منبثق عن الأب والابن معاً .

والمشايعون لهذه الكنيسة أكثرهم فى الغرب فى بلاد إيطاليا وفرنسا وبلجيكا وأسبانيا والبرتغال وأمريكا الجنوبية وبلاد أخرى كثيرة .

ويلاحظ أن فى البلاد التى يتبع معظم أهلها كنيسة الروم الأرثوذوكس يوجد مسيحيون كاثوليك يتبعون كنيسة روما ويرأسهم بطاركة كاثوليك خاضعون لرئاسة بابا روما ، ويوجد فى مصر منهم [١] .

---

(١) على عبد الواحد وافى ـ الأسفار المقدسة السابقة للإسلام ص ١١٨ .

وتؤمن الكنيسة القبطية فى مصر بأن روح القدس منبثق من الأب فقط . [أحمد شلبى ـ المسيحية ص ١٥٨] .

وكذلك تقسم الأرثوذوكس أصحاب القول بالطبيعة الواحدة إلى :

(أ) الكنيسة الأرثوذوكسية فى مصر والحبشة ، وتسمى نفسها كذلك باسم الكنيسة الأرثوذوكسية المرقصية نسبة إلى الرسول مرقص صاحب الإنجيل ، لأن بطاركتها يعتبرون أنفسهم خلفاء لهذا الرسول ، وقد استقل مسيحيو الحبشة أخيراً بعض الاستقلال فى شؤونهم الدينية .

(ب) الكنيسة الأرثوذوكسية السريانية : التى يرأسها بطريرك السريان ويتبعها كثير من مسيحيى آسيا .

(جـ) الكنيسة الأرثوذوكسية الأرمنية : وهى تتفق مع الكنيستين السابقتين فى القول بالطبيعة الواحدة ، لكن تختلف عنهما فى بعض التقاليد والطقوس .

٣ ـ **اليسوعيون والكاثوليك** : هم ليسوا مذهباً مستقلاً بل هم دعاة للمسيحية ، أسس دعوتهم فارس أسبانى اسمه أجناسيوس سنة ١٥٢٤ عقب أن جرح فى الحروب بين المسلمين والأسبان فى الأندلس ، وأخذ أتباعه يدعون للمسيحية فى ظل الكنيسة الكاثوليكية .

واعترف الباب بهم سنة ١٥٤٠ فكثر أعضاؤها وازدادت قوتهم وكانت لها نظم عسكرية وتربوية صارمة ، فهى تهتم بالتربية وتجعلها وسيلة لنشر المسيحية . ولذلك جذبت إليها أبناء الطبقة الراقية ، لأنها نشرت كليات ومعاهد كثيرة فى أنحاء العالم .

٤ ـ **البروتستانت** : وتسمى كنيستهم الكنيسة الإنجيلية أى أن أتباع المذهب يتبعون الإنجيل دون غيره ويفهمون بأنفسهم ولا يخضعون لفهم سواهم له . فالجميع متساوون ومسئولون أمام هذا الكتاب .

وهم بذلك يرفضون سلطة الكنيسة فى الاحتفاظ بتفسير الكتاب المقدس لنفسها فقط دون سواها . (أى الإنجيل) .

وقد ظهر هذا المذهب فى ألمانيا فى القرن السادس عشر على يد رجل اسمه مارتن لوثر ، وقد اعترض أيضاً على صكوك الغفران ، وفرض الضرائب والأتاوات وتحريم الزواج على القسس والرهبان والراهبات ورفض العشاء الربانى ، ومارتن لوثر هو صاحب هذا المذهب (١٤٨٣ – ١٥٤٦) وقد تبعه زونجلى السويسرى وكلفن الفرنسى .

ويعتنق هذا المذهب كثير من بلاد العالم : مثل أهل ألمانيا والدانمرك وسويسرا وهولندا والسويد والنرويج وانجلترا واسكتلندا وآيرلندا الشمالية والولايات المتحدة الأمريكية .

وتنتشر البروتستانتية فى السودان الجنوبى وأواسط أفريقيا (!!) والصين واليابان ، ولا تختلف عن المذاهب السابقة فى جوهر العقيدة من الإيمان بالتثليث وألوهية المسيح ، ولكنها تنكر الأمور السابق ذكرها ، بالإضافة إلى إنكارها لتقديس مريم وإلى تقديس الصور والتماثيل ، كما تحرم الصلاة بلغة غير مفهومة للشخص المتعبد .

الكنيسة الأرثوذوكسية تتبع نظام الاكليروس : ويبدأ من البطريرك ويليه فى المرتبة المطارنة ثم الأساقفة ثم القسس أصحاب الامتياز ويسمون القمامصة ، ثم القسس العاديون ويسمون القساوسة ، وهؤلاء جميعاً أصحاب الرأى والكلمة فى كل ما يدور فى الكنيسة (١) .

وفى الغرب استعارت الكنيسة من الرومان أوضاع رجال الدين وتوزيع السلطات مع أنها بدأت بداية عادية جداً لم يكن فيها سلطات على اعتبار أن المسيح سيأتى قريباً . ولكن بعد أن طال الانتظار صار لكل كنيسة نظام :

١ – أصبح للكنيسة رجال منقطعون ، كل منهم يسمى [**priest**] أى قسيس أو رجل دين .

٢ – أطلق على هؤلاء [**Clergy**] أى رجال دين للتمييز بينهم وبين العلمانيين .

---

(١) أحمد شلبى – المسيحية ص ٢٤١ .

٣ ـ كبير القسس فى كل مدينة يطلق عليه [Bishop] أى أسقف أو مطران .

٤ ـ الأساقفة فى المدن الرئيسية أطلق على كل منهم اسم [Archbishop] أى رئيس الأساقفة فى دائرته .

٥ ـ رؤساء الأساقفة بطريرك [patriarch] (١) :

٦ ـ قبل القرن الحادى عشر كان كل من الأساقفة ورؤساء الأساقفة يطلق عليه لقب : pope

ولكن فى القرن الحادى عشر فى عهد جريجورى السابع اختص بهذا اللقب رئيس أساقفة روما .

٥ ـ الكنيسة وطقوسها وأسرارها

الطقوس هى مجموع الصلوات والابتهالات التى تتم فى الاحتفالات الكنسية ، ويقوم بها الكاهن مع الذين يساعدونه فى أداء الأسرار المقدسة ، ومن هذه الطقوس السجود أمام الهيكل بمجرد دخول الكنيسة ، والبخور والقرابين وأداء الصلوات السبع وهى :

ـ صلاة البكور ـ صلاة الساعة الثالثة ـ والسادسة والتاسعة ـ والحادية عشرة ، والثانية عشرة ـ ثم صلاة منتصف الليل (!) .

٦ ـ أسرار الكنيسة

١ ـ سر المعمودية . وهى عند الأرثوذوكس بالتغطيس فى الماء وعند الكاثوليك بالرش .

٢ ـ سر المسح بالميرون المقدس (عقب الخروج من المعمودية) ويمسح به الكهنة .

٣ ـ سر العشاء الربانى .

٤ ـ سر التوبة والاعتراف أمام الكاهن .

---

(١) المصدر نفسه ص ٩٨ (أحمد شلبى ـ المسيحية ص ٢٤٣) .

٥ ـ سر الكهنوت (لرجال الدين عند التعيين فى مناصبهم) .

٦ ـ سر المسح على المريض ليشفى جسمياً وروحياً .

٧ ـ سر الزواج للربط بين الزوجين رباطاً مقدساً دائماً [١] .

٧ ـ عقيدة الكنائس المسيحية على اختلافها هى

بالنسبة للمسيح يعتقد الكاثوليك والأرثوذوكس والبروتستانت الأصول الخمسة التالية :

١ ـ الإيمان بيسوع المسيح أنه الإله المتجسد .

٢ ـ الإيمان بيسوع المسيح أنه ابن الله الحبيب .

٣ ـ الإيمان بيسوع المسيح أنه أقنوم الابن فى الثالوث .

٤ ـ الإيمان بخطيئة آدم التى ورثها أبناؤه .

٥ ـ الإيمان بأن يسوع المسيح فى طبيعته الناسوتية واللاهوتية قد بذل نفسه على الصليب تكفيراً للخطيئة الأصلية [٢] .

٨ ـ تلخيص مواقف الكنائس

الأرثوذوكس :

يقولون إن المعزى الروح القدس هو نفسه عيسى بن مريم لأن عيسى ـ فى نظرهم ـ هو الله متجسداً ، وقبل تجسده يلقب بلقب الآب . وبعد تجسده يلقب بلقب الابن ، وبعد قتله وصلبه وصعوده إلى السماء يلقب بلقب (الروح القدس) . [سفر أعمال الرسل] .

وهم الذين رد عليهم القرآن الكريم فى قوله : ﴿ **لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم** ﴾ [سورة المائدة : ٧٢] .

---

(١) القرطبى (الإمام) : الإعـلام بما فى دين النصـارى من الفساد والأوهام المقدمة ٨ .

(٢) إبراهيم خليل أحمد : الغفران بين الإسلام والمسيحية . القاهرة ـ دار المنار سنة ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م ص ٥ .

الكاثوليك :

قالوا الآلهة متعددة لا إلهاً واحداً متجسداً كما يقول الأرثوذوكس الآب إله مستقل بنفسه والابن إله مستقل بنفسه ، والروح القدس مستقل بنفسه ، ومع تعددهم هم واحد فى درجة اللاهوت . [مقدمة ناشر الإعلام للقرطبى ص : ١٩] .

وهم الذين رد عليهم القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ **لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة** .... ﴾ [سورة المائدة : ٧٢] .

قال نسطور :

إن مريم لم تلد إلهاً ، بل ما يولد من الجسد ليس إلا جسداً وما يولد من الروح هو روح ، إن الخليقة لم تلد الخالق ، بل ولدت إنساناً هو إله اللاهوت .

وإنه لما كان الجزء اللاهوتى من طبيعة المسيح لم يولد من العذراء ، فلا يحق أن تسمى والدة الإله ، بل والدة المسيح الإنسان ، وبذلك قال بالطبيعتين والأقنومين ونتيجة ذلك أن الطبيعة الإلهية لم تتحد بالإنسان .

آريوس :

قال : (نؤمن بإله واحد متعال ، يفوق حد التصور منطو على نفسه : وهو من العلو بحيث لا صلة له بتاتاً بأى شىء له نهاية ــ وهو فريد لا شبيه له ، أزلى لا بداية له ، لا يموت ، صالح ، وهو وحده سبحانه ينفرد بهذه الصفات) . [من مقدمة ناشر الإعلام للقرطبى ص ٢٢] .

٩ ــ نقض دعوى تجسد الله فى صورة المسيح

قال المسيحيون إن الله تعالى وهو غيب أراد أن يؤنس البشرية بصورة بشرية يتجلى فيها ، فجاء بعيسى عليه السلام لذلك :

ــ والرد على هذا هو : فى أى صورة من صور حياته المرحلية تمثل الله سبحانه وتعالى ليؤنس البشرية ؟ إن كانت صورته وهو طفل . فقد نسيتم صورته وهو فى دور الكهولة ، فالله على أى صورة من هاتين الصورتين إذن ؟ .

أم هو على كل الصور ؟ .

إن كان هو الله على كل هذه الصور ، فالله على هذا أغيار ، أى يتغير من طفل إلى فتى إلى كهل .

ثم نقول لهم : إذا كان الله أراد أن يجعل صورته فى بشر ليؤنس الناس بالإله .. فما هى المدة التى عاشها المسيح فى الدنيا بين البشر ؟ ثلاثون سنة . إذن الله قد أنس الناس بنفسه ثلاثين سنة فقط ، وكم عمر الكون قبل المسيح ؟ إنه ملايين السنين .

فى هذه الملايين من السنين الماضية ، ترك الله خلقه بلا إيناس وبدون أن يبدو لهم فى صورة .

ثم ترك خلقه بعد المسيح بلا صور وربٌّ مثل هذا ، رب ظالم ، ظالم لأنه آنس خلقه ثلاثين سنة ، وترك الناس قبل ذلك .. وبعد ذلك بدون إيناس ولا صورة بشرية (١) .

١٠ ـ نقض عقيدة الحلول والتجسد :

يريدون بها أن الابن كان من ذى قبل إلهاً فقط ، فصار بعد حلوله بعيسى عليه السلام إنساناً أيضاً ، وإذن فقد كان المسيح إلهاً وإنساناً فى وقت واحد ومعاً .

ويقول أوغسطينوس فى هذا : إن يسوع المسيح على صفته الإلهية أفضل من نفسه ، وعلى صفته البشرية أوضع من نفسه .

والسؤال هنا كيف يمكن أن يكون شخص واحد إلهاً وإنساناً وخالقاً ومخلوقاً وأفضل وأدنى ؟ .

إن الإجابة على هذا السؤال ظلت موضع جدل عبر القرون والإجابة عليه أنشأت علم المسيحية : **cristology**

ـ والآراء فى حل هذه المعضلة ترتب عليها انقسام الكنائس :

---

(١) الشعراوى ـ نفس المصدر ص ٨٠ .

١ ـ بولس الشمشاطي : بطريرك أنطاكيا فيما بين ٢٦٠ ـ ٢٧٢ م .
٢ ـ لوسيان : ت ٣١٢ م .
٣ ـ آريوس .
٤ ـ الفرقة البولسية .
٥ ـ الفرقة النسطورية .
٦ ـ الفرقة اليعقوبية .
٧ ـ التأويل الأخير (١) .

آراء بولس الشمشاطي :

المسيح مخلوق أى هو مجرد إنسان تجلى فيه العقل الإلهى غير الشخص ـ وليس هناك حلول ولا تجسد أصلًا ، ومعنى قولهم أن الله حل فى شخص المسيح هو أن الله قد حباه عقلًا خاصاً .

آراء لوسيان :

المسيح كائن سماوى : أخرجه الله من العدم إلى حيز الوجود ، وتجلى فيه العقل الإلهى فى كيفيته الشخصية . فكان يتمثل جسداً بشرياً لدى الحلول . ولكن روحه لم تكن بشرية وكانت مهمته أن يقوم بتبليغ رسالة الآب غير أنه لم يكن الإله على الإطلاق ، ولا القديم الخالد .

آراء آريوس :

الله وحده هو القديم الخالد ولا يشاركه فى ذلك أحد أنه خلق الابن بعد أن لم يكن ـ ولذلك فإن الابن ليس قديماً . وليس الله هو الآب منذ الأزل وذلك أنه قد مضى حين من الدهر لم يكن فيه (الابن) فى حيز الوجود ـ إن الابن يحمل حقيقة مستقلة عن الأب وبالإمكان أن تطرأ عليه تغييرات وليس إلهاً فى حقيقة المعنى . هو مخلوق مكتمل . هو شبه إله لأنه

---

(١) نقلًا من : ما هى النصرانية ص ٦٣ وما بعدها .

يحمل صفات كل من الألوهية والبشرية .. هو ما يمكن أن يقال عنه (أقدس موجود بعد الله) [1] .

آراء الفرقة البوليسية :

فى القرن الخامس .. ظهرت فى القرن الخامس وصرحت بأن المسيح لم يكن إلهاً .. وإنما كان ملكاً من الملائكة أرسله اللهُ فى الدنيا من أجل صلاحها . فولد من بطن مريم متمثلًا صورة إنسان وبما أن الله قد كساه جلالًا خاصاً من عنده فدعى (ابن الله) [2] .

آراء الفرقة النسطورية :

زعيمها نسطوريوس المتوفى ٤٥١ م وهو يقول المسيح إله حقاً وإنسان حقاً .. ولذلك كان له شخصيتان :

شخصية ابن الله ـ وشخصية ابن آدم ـ والابن إله محض بينما المسيح إنسان محض [3] .

آراء الكنيسة الكاثوليكية فى روما :

المسيح له شخصية واحدة وحقيقتان . أى طبيعتان واحدة إنسانية والأخرى إلهية .

وفى ٤٣١ م ، عقد مجمع أفسس وحرمت فيه هذه النظريات تحريماً قاطعاً . وقوبل (نسطوريوس) من أجل ذلك بعقوبات الجلاء والأسر .

الفرقة اليعقوبية :

زعيمها يعقوب البرادعى : وهو يقول : المسيح شخصية واحدة وحقيقة واحدة . وهى الألوهية . إنه لم يكن إلا إلهاً ، وإن كان يتراءى لنا فى هيئة إنسان .

---

(١) ما هى النصرانية ص ٦٤ ـ ٦٥ وانظر فى ذلك أيضاً ابن البطريق ـ التاريخ المجموع ص ١١٦ .

(٢) ما هى النصرانية ص ٦٦ .

(٣) ما هى النصرانية ص ٦٧ .

إنهم يثبتون أن الحقيقة الإلهية والحقيقة البشرية قد اتحدتا فى المسيح بحيث صارتا حقيقة واحدة .

وقد تبنت هذه النظرية فرقة أخرى تسمى فرقة نوفيسية وكانت موجودة حتى القرن السابع .

التأويل الآخر :

يؤيد مذهب الكنيسة الكاثوليكية ـ فى روما وقد تحدث عنه (مارس ريلتون) وإليك خلاصته :

ما دام الله تعالى خلق الإنسان الأول ـ آدم شبيهاً به ـ فهذا يدل على أن الله كان يوجد فيه منذ الأزل عنصر للإنسانية وهذا العنصر الإنسانى هو الذى عكس فى هيكل بنى آدم المخلوق على صورة ناقصة ، وإذن فالإنسانية الصحيحة هى إنسانية الله ـ وإن كانت الإنسانية المحضة لا توجد إلا فى الآدمى ـ لأنه مخلوق يحمل إنسانية ناقصة .

وعلى ذلك فإن الله لما تمثل إنساناً ، فإن الإنسانية التى اختارها لم تكن إنسانية مخلوقة توجد فينا ـ وإنما كانت إنسانية حقيقية لا يملكها إلا الله وحده وقد خلقنا أشباهاً لها .

فإنسانية يسوع لم تكن مثل إنسانيتنا وإنما كانت إنسانية الله التى تختلف عن إنسانيتنا اختلاف الخالق عن المخلوق (١) .

ولكن يعترض على هذه النظرية بسؤال هو : ما هى هذه الإنسانية الإلهية ؟ هل هى تحمل تلك العوارض البشرية التي توجد فينا نحن البشر ؟ من جوع وعطش وسرور وحزن وما إليه . أم لا ؟ .

لئن كانت تحمل هذه العوارض . فمعنى ذلك أن الله ـ تنزه وتعالى ـ يصيبه الجوع والعطش والتعب والراحة . إلى آخر هذه العوارض . ومن البين أن ذلك لا يصح بداهة ، وأن الكنيسة الكاثوليكية بدورها لا تعتقد ذلك .

---

(١) ما هى النصرانية ص ٧٠ .

لكن هذه العوارض كانت توجد فى المسيح .. فلماذا صاح من شدة الألم عند الصلب ـ فيما تزعم النصارى ؟ على حين أن إنسانيته فيما يقول (مارس ريلتون) لم تكن مثل إنسانيتنا وإنما كانت إنسانية إلهية [١] .

١١ ـ المجامع المقدسة عند النصارى

توطئـــــة :

عند النصارى نوعان من المجامع :

١ ـ مجامع يسمونها مسكونية نسبة إلى الجزء المسكون من الأرض يعنون بذلك أنها عالمية .

٢ ـ وأخرى محلية أو إقليمية . أما المجامع العامة (المسكونية) فيبحثون فيها المشاكل الكبرى التى تهم جميع الكنائس . وأما المحلية فيبحثون فيها مشاكل كنيسة كبرى فى مدينة كبيرة ، أو مجموع كنائس تابعة لكنيسة كبرى فى منطقة معينة ، وسنشير هنا إلى أشهر المجامع المسكونية أو العامة إذ هى التى لها صلة بموضوعنا .

١ ـ مجمع نيقية

عقد سنة ٣٢٥ فى مدينة تحمل هذا الاسم وقد كانت فى وقت انعقاده تابعة لآسيا الصغرى ، وهى الآن تابعة لتركيا . وقد عقد هذا المجمع للنظر فى بدعة آريوس : وهو قسيس مصرى كان ينادى بأن يسوع المسيح ليس أزلياً لأن الأزلى هو الآب فقط . وقد كان وقت لم يكن فيه الابن (المسيح) وبعد ذلك جاء وقت فيه الابن (المسيح) فهو إذن مخلوق من الآب .

انعقد هذا المجمع لبحث هذه المشكلة ومشاكل أخرى . لكن هذه المشكلة كانت أخطر المشاكل . وناقش اثنا سيوس بطريرك الأسكندرية هذا القسيس آريوس . ولما لم يتفقا قرر بطريرك الأسكندرية نفيه إلى الأليريكيون ، فوافق المجمع على ذلك لأن بطريرك الأسكندرية ، كانت له

---

(١) ن . م النصرانية ص ٧٢ .

كلمة عليا على من فى المجلس - فنفى آريوس إلى الاليريكيون بجوار بحر الأدرياتيك . وقد عقد هذا المجلس تحت رعاية الامبراطور قسطنطين الذى لم يكن قد دخل فى النصرانية بعد - ولكن نظراً لأنه كان فى موقف حرج أمام خصمه ومنافسه على كرسى الامبراطورية وهو المدعو ماكسنتيوس Makcentious الذى شغل أذهان العامة وكسبهم إلى صفه بتقديمه القرابين إلى آلهتهم الوثنية وإحيائه لذكريات هذه الآلهة .. فأراد قسطنطين أن يضم رجال الكنائس النصرانية تحت رعايته وأن يقربهم منه حتى يقوموا هم بعمل الدعاية له .. فتم له ما أراد .. وبذلك اعترف لهم بعقد هذا الإجتماع تحت رعايته وقد حضره ٢٠٤٨ أسقفاً من جميع الكنائس فى العالم آنذاك - وافق منهم (٣١٨) أسقفاً على القول بألوهية المسيح وأنه مساو للآب فى الجوهر وأنه مولود من الآب غير مخلوق . وبذلك صارت ألوهية المسيح منذ ذلك الوقت مفروضة على سائر رعايا الامبراطورية الرومانية المقدسة الشرقية بقرار من الامبراطور قسطنطين الذى أعلن دخوله فى النصرانية عقب فوزه على منافسه .. وبذلك صارت الامبراطورية الرومانية الشرقية مسيحية رسمياً منذ ذلك العهد .. حيث فرض هذا الامبراطور الدين المسيحى على الناس فرضاً وإلا قتلوا أو يهربون إلى مكان آخر .. ولكن لماذا يهربون . والكل يعبد الامبراطور فى روما .. وقد مات .. والكل يعبد التماثيل والأصنام فعبادتهم للمسيح إذن لا تكلفهم شيئاً وليست بدعاً فى ذلك الوقت فليعبدوه ويفوزوا برضا الامبراطور ورضا الدولة عليهم ويبقوا فى بلادهم حيث هم .. هذا هو ما أسفر عنه هذا المجمع الهام .

٢ - مجمع القسطنطينية

وعقد سنة ٣٨١ لإقرار عقيدة ألوهية الروح القدس ، وللنظر فى محاكمة أصحاب البدع التى ظهرت فى ذلك الحين ومنهم مكدونيوس ويوسابيوس وأبوليناريوس لأن مكدونيوس كان أسقفاً على القسطنطينية سنة ٣٤٣ ثم عزل فى سنة ٣٦٠ لإتيانه ببدعة جديدة هى إنكاره لاهوت الروح القدس إذ قال إن الروح القدس مخلوق كسائر المخلوقات ، وقد حرمه المجمع وأسقطه من رتبة الأسقفية .

وكان يوسابيوس : ينكر وجود الأقانيم الثلاثة ويقول إن الثالوث ذات واحدة . وأقنوم واحداً .

أما أبوليناريوس :

فكان أسقفاً على اللاذقية بالشام ، وقد أنكر وجود النفس البشرية فى المسيح وقال إن لاهوته يغنى عن النفس البشرية وأن لاهوته هو الذى تحمل الآلام كما اعتقد وجود تفاوت فى العظمة بين الأقانيم الثلاثة ، فالروح القدس العظيم والابن أعظم والآب هو الأعظم .

وقد حكم المجمع بحرمان أبوليناريوس وتحريم بدعته وإسقاطه من رتبته .

٣ ـ مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١ م

وذلك للنظر فى محاكمة أصحاب البدع فى ذلك الحين ومنهم : بيلاجيوس ونسطور ..

بيلاجيوس كان يعتقد أن خطيئة آدم مقصورة عليه ولم تتسرب منه إلى نسله ولذلك فإن الإنسان حين يولد يكون كآدم قبل الخطيئة ، ومن ثم يمكنه بمحض إرادته أن يبلغ أسمى درجات الكمال .

وكان نسطور ينادى بأن طبيعة السيد المسيح اللاهوتية منفصلة عن طبيعته الناسوتية . ورتب على ذلك أن اللاهوت لم يولد ولم يصلب ولم يقم مع الناسوت ، كما رتب على ذلك عدم جواز تسمية العذراء بوالدة الإله ، ونسميها أم يسوع فقط .

وقد حكم المجمع بتحريم نسطور .

٤ ـ مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ م :

وقد حضره أساقفة روما ، كما حضره البابا ديسقورس بطريرك الأسكندرية ومعه أساقفته . وفيه قرر أساقفة روما مع بعض أساقفة الشرق عزل ديسقورس ونفيه ، ونادوا بعقيدة الطبيعتين والمشيئتين .

وقد حضره الامبراطور مركيان وكان فى صف أساقفة روما .. وأمر بنفى دستورس إلى جزيرة (خلاغونيا) بآسيا الصغرى .

ولا تعترف الكنيسة القبطية (الأرثوذكس) بمجمع خلقيدونية ولا بقراراته .. كما لا تعترف بالمجامع التى عقدت بالقسطنطينية بعد ذلك فى سنة ٦٥٣ ، وسنة ٦١٠ ، وسنة ٧٨٦ لمخالفة المشتركين فيها لعقيدة الكنيسة القبطية فى الاعتقاد بأن المسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة .

ومنذ ذلك الوقت أى منذ مجمع خلقيدونية هذا تم الانفصال التام بين الكنائس الغربية وهى كنائس الكاثوليك (الملكانية) وبين الكنائس الشرقية كنائس الآرثوذكس (اليعاقبة) حيث نادى الكاثوليك بعقيدة تعدد الآلهة ، ونادى الأثوذوكس بعقيدة تجسد الإله .

وقد رد الله تعالى على الجميع فى القرآن الكريم بقوله لأتباع الكاثوليك والأرثوذكس :

﴿ **ولا تقولوا ثلاثة** ﴾ [النساء : ١٧١] .

أى ثلاثة آلهة متعددين .

أو ثلاثة مراحل للإله الواحد المتجسد .

ورد على الكاثوليك بقوله :﴿ **لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة** ﴾ [المائدة : ٧٣] .

ورد على الأرثوذكس بقوله : ﴿ **لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم** ﴾ [المائدة : ١٧ ، ٧٢] .

١٢ ـ نقض قول النصارى إن التثليث يرجع إلى صفات القدرة والعلم والحياة :

يرد عليهم فى ذلك الإمام القرطبى بقوله :

١ ـ إن إطلاق المسيح لفظ الآب على الله المراد به أنه ذو حظ له وذو حفظ وحنان عليه وعلى عباده الصالحين ، فهو لهم بمنزلة الأب الشفيق الرحيم ، وهم له فى القيام بحقوقه وعبادته بمنزلة الولد البار .

ويحتمل أن يكون تجوز بإطلاق هذا اللفظ على الله تعالى لأنه معلمه وهاديه ومرشده ، كما يقال : (المعلم أبو المتعلم) ومن هذا فى كتابنا : ﴿ **ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل** ﴾ [الحج : ٧٨] .

فهذا دلالة بينة على أن المسيح كان يطلق لفظ الآب على الله تعالى ، بالمعنى الذى يطلق على إبراهيم عليه السلام أنه أب .. وكذلك جاء فى اللفظ فى كتابنا : ﴿ **ملة أبيكم إبراهيم** ﴾ وبذلك المعنى تقول اليهود والنصارى فى إبراهيم وليس على حقيقة الأبوة .

بل إن المسيح نفسه أطلق لفظ الأبوة على الله بالنسبة لهم أيضاً فقال : « قال لكم أبوكم وقلت لأبى » .

فإن قلت إن صفة الابن يشبهها صفة العلم والأب يشبهه صفة القدرة فهذا باطل سواء أريد به الحقيقة أو المجاز .

وشرح ذلك [الإعلام ص ٦٧] .

١٣ ـ سؤال موجه للنصارى

إن كان قولكم بالتثليث لأنها أسماء أفعال الله ، فأسماء أفعاله أكثر من ثلاثة فقولوا بها كقولكم بالتثليث . لأن عزيز وقوى وغلوب وسميع وقاهر وبصير وغفور وراض وساخط ومعاقب وغيرها من أسماء أفعال . فقولوا بها أجمع كقولكم بالتثليث [الإعلام ص ٧١] .

يقال للنصارى لماذا سميتم خالقكم جوهراً ؟ وفى أى موضع من كتب الأنبياء وجدتم الأمر بذلك ؟ أو على لسان من بلغكم الأمر به ؟. [الإعلام ص ٧٨] .

سؤال آخر للنصارى :

أنتم تقولون إن علم الله تعالى الذى هو صفته ، ولازم له وقديم أزلى : حل فى جسد إنسان حادث بعد أن لم يكن حالًا فيه ومع أنه حال فيه فهو لم يفارق الله تعالى .

السؤال هنا هو : كيف يعقل ذلك ؟ [الإعلام ص ٩٩] .

* * *

الباب التاسع

مناقشـــــات

فصـــل

يقال لمن يزعم أن المسيح إله .. إن ذلك باطل من وجوه :

الوجه الأول : أن الإله عبارة عن موجود واجب الوجود لذاته ، بحيث لا يكون جسماً ولا متحيزاً ولا عرضاً ، وعيسى عليه السلام عبارة عن هذا الشخص الجسمانى البشرى ، الذى وجد بعد أن كان معدوماً وقتل بعد أن كان حياً على قولكم . وكان طفلًا أولًا ثم صار مترعرعاً ، ثم صار شاباً . وكان يأكل ويشرب ويحدث وينام ، وقد تقرر فى بداهة العقول أن المحدث لا يكون قديماً ، والمحتاج لا يكون غنياً ، والممكن لا يكون واجباً والمتغير لا يكون دائماً .

الوجه الثانى : فى إبطال ألوهية المسيح هو أنكم معشر النصارى تقولون بأن اليهود أخذوه ، وصلبوه وتركوه حياً على الخشبة وقد مزقوا ضلعه ، وأنه كان يحتال فى الهرب منهم وفى الاختفاء عنهم ، وحين عاملوه بتلك المعاملات أظهر الجزع الشديد ، فإن كان إلهاً أو كان الإله حالاً فيه أو كان جزءاً من الإله حالاً فيه ، فلماذا يدفعهم عن نفسه ؟ ولم يهلكهم بالكلية ؟ وأى حاجة به إلى إظهار الجزع منهم والاختفاء والفرار عنهم ؟ .

الوجه الثالث : وهو أنه إما أن يقال بأن الإله هو هذا الشخص الجسمانى المشاهد ، أو يقال حل الإله بكليته فيه أو حل بعض الإله وجزء منه فيه ، والأقسام الثلاثة باطلة .

أما الأول : فلأن الإله العالم لو كان هو هذا الجسم فحين قتله اليهود كان ذلك قولًا بأن اليهود قتلوا إله العالم ، فكيف بقى العالم بعد ذلك من غير إله ؟ .

ثم إن أشد الناس ذُلًّا ودناءة اليهود والإله الذى تقتله اليهود لإله فى غاية العجز .

أما الثانى : وهو أن الإله بكليته حل فى هذا الجسم فهو أيضاً باطل فاسد ، لأن الإله إن لم يكن جسماً ولا عرضاً امتنع حلوله فى الجسم ، وإن كان جسماً فحينئذ يكون حلوله فى جسم آخر عبارة عن اختلاف أجزائه بأجزاء ذلك الجسم وذلك يوجب وقوع التفرق فى أجـزاء ذلك الإلـه وإن كان عرضاً كان محتاجاً إلى المحل ، فكان الإله محتاجاً إلى غيره ، وكل ذلك سخف ومحض الكفر .

وأما الثالث : وهو أنه حل فيه بعض من أبعاض الإله وجزء من أجزائه ، فذلك أيضاً محال ، لأن ذلك الجزء إن كان معتبراً فى الآلهة فعند انفصاله عن الإله وجب ألا يبقى الإله إلهاً ، وإن لم يكن معتبراً فى الآلهية لم يكن جزءاً من الإله ، فثبت فساد هذه الأقسام ، فكان قول النصارى باطلًا .

الوجه الرابع : فى بطلان قول النصارى بألوهية المسيح هو ما يثبت بالتواتر من أن عيسى عليه السلام كان عظيم الرغبة فى العبادة والطاعة لله تعالى ، ولو كان إلهاً لاستحال ذلك ، لأن الإله لا يعبد نفسه ، فهذه وجوه فى غاية الجلاء والظهور دالة على فساد قولهم (١) .

* * *

فصـــل

يقال للمسيحيين : إن قلب العصا حيَّة (معجزة موسى عليه السلام) لهو أبعد فى العقل من إعادة الميت حياً ، لأن المشاكلة بين بدن الحى وبدن الميت أكثر من المشاكلة بين الخشبة وبين بدن الثعبان .

---

(١) الرازى (فخر الدين) : مناظرة فى الرد على النصارى ـ تحقيق عبد المجيد النجار ـ دار الغرب الإسلامى بيروت ـ ١٩٨٦ ص ٢١/٢٥ .

وإذا لم يوجب قلب العصا حية كون موسى إلهاً ، ولا ابناً للإله ، فإن إحياء الموتى لا يدل على الآلهية أولى [1] .

دفع شبهـــة :

يقال لمن يقول للمسلمين : ما المانع من نبوة محمد ﷺ فى حال الصغر حتى بقى معطلاً عن النبوة ونشر الرسالة أربعين سنة ؟ .

فالجواب أن ظهور المملكة على من لم يكن ملكاً بل كان راعياً وحراثاً أو تاجراً أكثر عمره لأبلغ فى إظهار القدرة ممن ورثها وراثة أو أوتيها من أول عمره ، ومبدأ زمانه ، وأبلغ فى التعجب من ذلك ، فكيف وقد كان نبياً وآدم بين الماء والطين ، وإنما لم تظهر نبوته للخلق إلا بعد الأربعين ومأخذ الحكمة فى ذلك ما قدمنا ذكره .

ثم لا يلزم من تأخر ظهورها عليه أن لا يكون متصفاً بها وبما هو أعظم منها ، ولا يلزم من أن من أوتى المملكة فى الصغر يكون أعظم وأفضل ممن أوتى فى الكبر ، بل قد يكون الثانى أعظم وأفضل وأقدر من الأول ، ما المانع من ذلك ؟ فكيف الحال فى معنى النبوة والعلم والحكمة والعقل والمعرفة ، فتقدم العطاء وتأخره لا يدل على الأفضلية ، فلله الحكم فى ذلك ، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن : ﴿ **لا يسأل عما يفعل وهم يسألون** ﴾ [2] .

فصـــل

يقال للمسيحى : إذا جوَّزت ظهور الله تعالى فى صورة حسنة مقرونة بالصلاح والصفات المرضية .. فما المانع من أن يعقل إبليس ذلك ويظهر فى تلك الصورة نفسها هو أو واحد من أعوانه .. فيجر بذلك إلى عبادة من دون الله تعالى وذلك عين الكفر ونحن لا ينبغى لنا أن نجوز ظهوره فى صورة

---

(1) الرازى (فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر) : مناظرة فى الرد عل النصارى ص ٢٧ .

(2) الرازى (فخر الدين بن الخطيب : مناظرة فى الرد على النصارى ص ٤٣ .

مخلوق لئلا يؤدى ذلك إلى السفسطة والتلبيس ، فكيف ينبغي لنا أن نجوز ظهور الحق تعالى فى صورة خلقه ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً (١) .

رد على شبهة :

يقول النصارى : ما المانع عندكم أيها المسلمون أن يكون المسيح إبناً لله .. على نحو ما تقولون إن إبراهيم خليل الله ومحمداً حبيب الله ، فإذا جازت الخلة والمحبة .. فلم لا يجوز الوصف بالوالدية والمولودية ؟ .

والجواب : إن بين الأمرين لفرقاً عظيماً .. لأن الله تعالى نزه نفسه عن الولدية .. بقوله : ﴿ **لم يلد ولم يولد** ﴾ ولم ينزه نفسه عن الخلة والمحبة ، فإن سائر أنبيائه وأوليائه أخلاؤه وأحباؤه بمعنى التشريف والتعظيم ، ولا يجوز أن يقال : إنهم أبناؤه وأولاده على معنى ذلك لالتباسه بالباطل فإن نسبته إلى الولدية لا يحتمل إلا الحقيقة فإنه لا يقال : فلان ولد فلان وابنه إلا بمعنى أنه ولده حقيقة .

وحتى إذا استعمل ذلك على سبيل المجاز .. فلم لا يكون كل الأنبياء كذلك ؟ ثم إن الولدية مشعرة بالجنسية ، ولا كذلك الخلة والمحبة ، وأيضاً فإن انفكاك الخلة والمحبة عن الخليل والمحبوب أمر محتمل ، عكس الولدية فإنها لا تنفك بل يظل الولد ولداً ، والوالد والداً .. فظهر الفرق (٢) .

فصـــــل

يقال النصارى : أنتم تقولون إن جسد عيسى عليه السلام هو الذى صلب دون روحه ، أو أن الناسوت هو الذى صلب دون اللاهوت نقول لكم إن هذا تحصيل حاصل .. لأنه لا يصلب أبداً إلا الجسد سواء كان كافراً أو مؤمناً ، مطيعاً أو عاصياً ، أو شيطاناً ، فإنه أبداً لا يصلب منه إلا الجسد ، وأما الروح فحية باقية يذهب بها عالمها إما إلى عليين أو إلى سجين ، فأى مزية تبقى لعيسى على غيره (٣) .

ثم يقال لهم أيضاً : إذا كان الصلب عندكم لازماً للتكفير عن خطيئة

---

(١) الرازى (فخر الدين)مناظرة فى الرد على النصارى ص ٤٥ .
(٢) الرازى (فخر الدين) مناظرة فى الرد على النصارى ص ٢٧ .
(٣) الرازى (فخر الدين) مناظرة فى الرد على النصارى ص ٤٨ .

آدم .. وأن المصلوب حتم أن يكون هو المسيح الإله .. وأن الذى صلب هو الناسوت لا اللاهوت .. فقد رجعنا إذن إلى أن الجسد ، الناسوت هو الذى صلب فلماذا إذن لم يصلب آدم نفسه ؟ .

فلما علم بأن جسد المسيح مأخوذ هو الآخر من مريم ومريم ترجع إلى آدم وحواء .. وهما عاصيان فتسرب إليها المعصية .. على أى وجه تكون ومنها إليه ؟.

رد على شبهات :

يقول النصارى للمسلمين : إن رفع عيسى عليه السلام إلى السماء ، وبقائه حيـا إلى اليوم ، وخلقه من غير نطفة تجرده عن علائق النفس ، وانشغاله بحضرة القدس ، وكونه روحاً وكلمة كل ذلك يدل علي الأفضلية لعيسى على محمد .

والجواب : إن قلتم بأنها تدل على أفضلية عيسى من حيث كونه نبياً .. فهذا مخالف لعقيدتكم فى أنه إله .. لكن إن رجعتم عن القول بالألوهية وقلتم إن عيسى عليه السلام نبى وأفضل من محمد . فنحن نرحب برجوعكم عن دينكم الدين الحق وهو القول بنبوة عيسى عليه السلام لا ألوهيته .

وأما مسألة أفضلية عيسى عليه السلام على محمد ﷺ .. فهذه ليست مهمة هنا الآن .. المهم هنا هو قولكم بنبوة عيسى عليه السلام .

وأما مسألة الأفضلية لعيسى عليه السلام على محمد ﷺ بهذه الأشياء ـ مع التسليم بنبوة عيسى عليه السلام ـ فالرد عليه هو :

ما دمت سلمت بنبوة محمد ﷺ فإن أفضليته هو يدل عليها بوجوه متعددة : وذلك أن أفضليته إنما تعتبر بالنفع المتعدى لا بالنفع القاصر ، فعيسى عليه السلام وإن كان فى ذلك المحل الرفيع (بعد رفعه) إلا أن نفعه قاصر على نفسه ثم إن ذلك الرفع كان سبباً لكفر النصارى حتى اتخذوه إلهاً . وأما حال نبينا عليه السلام فإن موته ودفنه فى الأرض فلا يأتى منه تأليه ولا كفر ، وأيضاً فإن دفنه فى الأرض لماذا لا يكون فيه رحمة للعالمين .. لأنه فى زيارة قبره فيها تبرك وحافز الهمم على الاقتداء به فى العلم

والعمل . كما أن فى وجود قبره فرصة دائمة للمعرضين للرجوع عن إعراضهم بما يشاهدون من حضور الرسول بينهم .

وأين ثمرة رفع عيسى عليه السلام إلى السماء فى حق أمته إلى ثمرة دفن النبى فى الأرض فى حق أمته ؟ انظر ما بين تلك التى كانت سبباً لكفر النصارى وبين هذه الثمرة التى كانت سبباً لكمال هداية المسلمين المؤمنين الموحدين وسببا لعلم العلماء الراسخين ، وسبباً لكمال صفات الصديقين المكاشفين .

ثم إن كان جسم محمد ﷺ مدفوناً فى الأرض فروحه فى أعلى عليين والاعتبار بالروح الذى هو الساكن لا الجسد الذى هو السكن .

ثم إن عيسى عليه السلام وإن كان بعروجه إلى السماء قد تجرد عن علائق الدنيا ، وحظوظ النفس إلا أن ذلك كان بعد صلبه وموته على الصليب كما تقولون أما نبينا محمد ﷺ فقد عرج به إلى السماوات العلا إلى سدرة المنتهى .. والحضرة الأسمى ثم نزل .. وأخبرعما رأى .. أما المسيح فمن الذى أخبر عن رفعه ؟ .

إن قلتم إنها رواية القرآن ، ورواية عن روى ذلك من أصحاب المسيح . قلنا كذلك روى القرضان أن النبى محمد ﷺ قد صعد إلى السماء .. وروى ذلك الرواة عن محمد ﷺ فما الفرق ؟ (١) .

ويقول النصارى أيضاً : إن عيسى ورد فى حقه أنه روح الله وكلمته ـ ولم يرد ذلك فى حق محمد ﷺ .

فالجواب عن ذلك : بأن هذا متروك الظاهرة عقلًا ، لأن من المحال أن يكون الجسد روحاً وكلمة ولاشك أن عيسى عليه السلام كان جسداً ومن المحال أن يكون الله تعالى مركباً من روح فتصير عيسى عليه السلام ، والأجزاء الأخرى تصير منها أشياء أخرى ، فيذهب الرب ويبقى المربوب

---

(١) قد وردت الإشارة إلى المعراج فى قوله تعالى : ﴿ علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى ما زاغ البصر وما طغى ﴾ (الآيات من سورة النجم ٥ ـ ١٧) .

رباً . وذلك محال . فكان القول بظاهر ذلك محالًا ، وإذا ثبت أنه متروك الظاهر حمل على التأويل .

وتأويل كون عيسى عليه السلام روح الله أنه إضافة تشريف ، كما يقال بيت الله ، وناقة الله فكونه روح الله أى روح شرفه الله تعالى ، أى روح أهل الله وروح صفوة الله ، وكذلك قوله : وكلمته ـ لاشتماله على معرفة الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ، فكان كلمة الله لذلك وكل الأنبياء يشاركونه فى ذلك ، فى كونه روح الله وفى كونه كلمة الله لاشتمال جميعهم على المعنى الذى اشتمل عليه عيسى عليه السلام ، أو بعضه ، أو أكثر منه .

وأيضاً فإن معنى أن عيسى كلمة الله ـ أنه خلق بواسطة الأمر الإلهى المباشر وهو قوله : ﴿ **كن** ﴾ دون واسطة أب من البشر .

ويقول النصارى أيضاً : إن عيسى عليه السلام خلق من غير نطفة ولا كذلك غيره من الأنبياء .

والرد على ذلك : إن قلتم إنه نبى مثلهم لكنه أفضل منهم لكونه خلق من غير نطفة ـ فنحن نرحب بذلك منكم وخير عندنا فى أن يكون أفضل ما دمتم رجعتم إلى الحق وتركتم القول بألوهيته فإن هذه عندنا أعز وأحب من تمسككم بالباطل .. لكنكم ويا للأسف لا تقولون بنبوته .. بل بألوهيته .

ثم فى النهاية سواء قلتم بنبوة عيسى عليه السلام أو لم تقولوا فليس الاعتبار بالأجساد بل بالمعانى فأصل الكل آدم ، وآدم خلق من تراب ، فالجسد لحق المعنى ، فقد يكون اللحق كثيفاً والجوهر الذى فيه لطيفاً شريفاً ، وقد يكون اللحق شريفاً ويكون فيه حجر ومدر فالاعتبار إذاً بالروح والمعنى لا بالجسد والصورة ، فما علينا حينئذ أن يكون جسده خلق من نطفة أو غير ذلك (١) .

ويقول النصارى : إن عيسى عليه السلام لم يشتغل بشىء من لذات البطن والفرج ، وليس كذلك محمد ﷺ .

---

(١) الرازى ـ المصدر السابق ص ٦٧ .

فالجواب : إن من اشتغل بالأزواج على قصد أن ينفى عنه تهمة الربوبية ـ ولم تنتف عن عيسى عليه السلام بسبب تركه ذلك ـ لهو أعظم وأفضل ممن ترك الزواج وصار معثرة حتى وقع فيه النصارى باتخاذه ربًّا وإلهاً وابن إله [1].

ويقول النصارى : إن محمداً ﷺ دعا الناس إلى الهدى بالسيف والقهر .

فالرد على ذلك : بأن استعمال السيف إنما كان لرد اعتداء أو لكسر الحصار الذى ضربه المتكبرون على الناس فى وجه تبليغ الدعوة إليهم . وكل ذلك كان مسبوقاً بالدعوة وإقامة الحجة .. وليت من يعترض بهذا الاعتراض يقرأ أول توجيه قرآنى للمسلمين يرد العدوان عليهم .. بالقوة ليته يقرأ قوله تعالى : ﴿ **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير** ﴾ أى أذن لهم بالقتال .. لأنهم ظلموا .

* * *

مســــائل :

يقال للنصارى : لم زعمتم أن الله تعالى جوهر ؟ [2] فإن قالوا الدليل على ذلك أنا وجدنا الأشياء على ضربين : شريف ، وهو الجوهر القائم بنفسه المستغنى فى الوجود عن غيره ، وخسيس قائم بغيره ومحتاج إليه وهو العرض . فلما لم يجز أن يكون القديم سبحانه من قبيل الخسيس ، فثبت أنه شريف وأنه قائم بنفسه . أو أى حجج أخرى تثبت هذه .

فيقال لهم : إن هذا الكلام منكم يصلح فى الأمور المشاهده ، أما الأمور الغائبة عنا ، فلم قلتم إنها ينطبق عليها ما ينطبق على ما نشاهده فى عالمنا هذا ؟ إنكم إن جوزتم على عالم الغيب ، والله تعالى على رأسه .. ما تجوزونه على عالمنا هذا وهو عالم الشهادة .. فقولوا إذن إن الفاعل

---

(١) الرازى المصدر السابق ص ٦٨ .

(٢) النصارى تقول فعلًا إن الله تعالى جوهر . وهو الآب عندهم ، وكذلك الابن جوهر .. وهو المسيح .

لأجسام العالم (وهو الله تعالى) لا يفعلها إلا بأدوات وآلات كما نعمل نحن .. وإذا بطل هذا بطل ذلك .. وإذن فعالم الغيب لا يجوز أن نطبق عليه ما نطبقه فى عالمنا هذا لأنه عالم مخصوص ، وبذلك يبطل قولكم إن الله تعالى جوهر .. وإن مثلكم فى قياس الغائب على الشاهد ، كمثل إنسان نشأ فى بلد الزنج فلم يشاهد ماء إلا عذباً ، ولا إنساناً إلا أسود ، ولا زرعاً إلا أخضر ، فقضى بأنه لا ماء ولا إنسان ولا زرع إلا كما وجد وشاهد وهذا فى غاية الجهل (١) .

ثم يقال لهم أيضاً : يجب عليكم إذا كان القديم تعالى جوهراً أن يكون كالجواهر المعقولة ومن جنسها وقابلًا كقبولها ؟ إنكم إن جوزتم ذلك تركتم دينكم (لأنه يقول إن الله لا يشبه شيئاً من الأشياء) وإن رفضتم ذلك ، يقال لكم : فما أنكرتم أن يكون القديم سبحانه موجوداً ليس بجوهر ولا عرض ، ولا كالموجودات فى الشاهد ، كما أنه ليس كالجواهر ؟ ولا فصل فى ذلك أبداً (٢) .

ويقال للنصارى : أيضاً لم زعمتم أن الله تعالى ثلاثة أقانيم دون أن تزعموا أنه أربعة وعشرة وأكثر من ذلك ؟ فإن قلتم إن ذلك من قبيل إنه موجود جوهر ، حى ، عالم .. فوجب أن جوهر واحد ثلاثة أقانيم .. منها الوجود ، ومنها العلم ، ومنها الحياة . فيقال لهم أما أنكرتم أن يكون الأقانيم أربعة هى : موجود ، حى ، عالم ، قادر .؟ .

إن قلتم إن القدرة هى الحياة فهما أقنوم واحد .. نقول لكم فما أنكرتم أن يكون العلم هو الحياة .. فوجب أن يكون البارى سبحانه أقنومين (٣) .

ويقال لهم أيضاً : خبرونا كيف اتحدت الكلمة التى هى الابن بجسد المسيح دون الآب والروح مع قولكم بأنه غير مباين لهما ولا منفصل عنهما ؟ .

---

(١) الباقلانى : (الإمام أبو بكر محمد بن الطيب) : التمهيد : نشر وتحقيق الأب رتشرد — بيروت ١٩٥٧ ص ٧٦ ، ٧٧ .

(٢) الباقلانى : التمهيد : ص ٧٧ .

(٣) المصدر نفسه ص ٧٩ .

وإن جاز ذلك فما أنكرتم من أن يكون الماء الممازج للخمر المختلط به مشروباً دون الخمر أو الخمر مشروباً دون الماء .. وإن كانا غير منفصلين ولا متباينين (١) .

* * *

(١) المصدر نفسه ص ٩٤ .

خاتمة

والآن وقد بلغ الكتاب أجله ـ وآن لنا أن نضع القلم تاركين الحكم على ما كتبناه لفطنة القارىء الكريم مسلماً كان أو مسيحياً .. ولكن قبل أن نفعل ذلك .. لابد من أن نقدم آخر ما توصل إليه علماء الغرب من المسيحيين المتخصصين فى دراسة الكتاب المقدس .. وهو يمثل آخر التطورات الهامة فى المسيحية ،وهى التطورات التى تلاحقت بسرعة خلال هذا العصر الذى نعيشه منذ اندفعت العقول والأقلام وراء حركة دراسة ونقد الكتاب المقدس .. فتوصلوا إلى نتائج بالغة ، الأهمية .. وهى ما تقدمها الآن .

وسنبدأ أولًا بتقديم خلاصة للبحوث التى قام بها سبعة من جهابذة الأساتذة الذين قاموا بدراسة وتدريس مادة الكتاب المقدس فى جامعاتهم ، ونشروا على القراء نتائج ما توصلوا إليه من بحوث .. فى كتاب يحمل اسم : (أسطورة تجسد المسيح) .

ثم نثنى بعد ذلك بتقديم شهادة من كلام أساتذة آخرين من رجال الدين فى أكسفورد .

ثم نختم (ثالثاً) : بتقديم ملخص سريع لما توصل إليه النقاد من آراء حول الكتاب المقدس بوجه عام والأناجيل وكتب النصارى بوجه خاص .

أولًا : خلاصة ما جاء فى كتاب أسطورة تجسد المسيح وقد ألفه سبعة من الأساتذة المتخصصين قالوا :

ـ الألقاب التى للمسيح كانت موجودة قبل أن يتبناها المسيحيون الأوائل ويمكن الإطلاع عليها فى وثائق غير مسيحية وتفسيرات غير مسيحية .

ـ وإن الألقاب التى جرى تداولها عن يسوع نسبت إليه من غيره ولم يدعها هو لنفسه ، وأن هذه الألقاب لها جذور يهودية ويونانية قديمة ، وأن الأناجيل لا توفر معلومات مباشرة من الوحى عن تأليه المسيح عليه السلام . [أسطورة تجسد المسيح مقالة : فرنسيس ينج] .

ادعوا أن المسيح هو ابن داود ، ولو كان من نسل داود ما كان باستطاعته أن يكون كاهناً حسب قوانين التوراة (إذ أن الكهانة مقصورة على سبط هارون) . [مقالة فرنسيس يونغ : أسطورة تجسد المسيح] .

ــ إن فكرة التجسد بمعناها المقبول تقليدياً لم ترد صراحة فى رسائل بولس بل وجدت فى أذهان قراء هذه الرسائل الذين فسروها على هذا النحو . [فرنسيس يونغ : المصدر السابق] .

ــ إن فكرة البنوة مستقاة من الأفلاطونية [فرنسيس يونغ : المصدر السابق] .

التجسد بمعناه الكامل غير مذكور بصورة مباشرة فى أسفار الكتاب المقدس ، وإنما بنى بطريق الاستدلال على أساس الأدلة المتنوعة المستقاة من المخطوطات القديمة .. وإن ازدياد المعلومات التاريخية فى وقتنا المعاصر كشف الحقيقة لهذا الجيل من الطريقة التى ظهرت بها دعوى التجسد مما لم يتح للأجيال السابقة وإن كتاب الأناجيل لم يكونوا فقط ناقلين لتعاليم المسيح بل إنهم أعطوا لأنفسهم حرية التفسير .

[مقالة : بروفيسر موريس وايلز أستاذ علم الإلهيات والكتاب المقدس بكلية المسيح بجامعة اكسفورد ــ من كتاب أسطورة تجسد المسيح] .

ــ الكتاب المقدس هل هو من عند الله ؟ إن كتاباً كثيرين ومفكرين كثيرين من داخل المسيحية نفسها أثبتوا أن هذه الأسفار غير مقدسة وغير إلهية وأنها كتابات بشر . [وايلز] .

ــ نجمت عقيدة الحلول والتجسد الإلهى فى جسد المسيح كنتيجة حتمية لمولد السيد المسيح بدون أب من البشر متجاهلة قدرات الله سبحانه وتعالى أن يفعل ما يشاء وقتما يشاء وكيفما يشاء [وايلز] .

ــ كثيرون من المسيحيين يحفظون لأسفار الكتاب المقدس مكانتها إلا أنهم يتنصلون فى ذات الوقت من عصمتها ، وبالتالى من قدسيتها كما ورد ذلك فى التقرير العقائدى للكنيسة الإنجليزية عام ١٩٣٨ م حيث اعترف هذا التقرير باختلاف وجهات النظر حيال هذه المسائل [وايلز] .

ــ بولس قد استوحى فكرة التجسد من أفكار السامريين (العبريين) وبذا تكون فكرة التجسد من أصل يهودى .. وهناك شيء أكيد وهو أن يسوع نفسه لم يكن يظن أنه الأقنوم الثانى فى ثلاثة التثليث [مقالة ميخائيل جولدر . المحاضرة فى اللاهوت فى جامعة برمنجهام (فى كتاب أسطورة تجسد المسيح)] .

والأصل اليهودى هو أنه يوجد فى عقيدة السامريين أكثر من إله .

إله قديم أزلى (أضاع قروناً منذ إيليا عابساً متجهماً) ويسمى أيضاً الرب الإلهى . ثم الرب (المجد) ثم الرب السماوى . وتظهر هذه الازدواجية فى سفر التكوين بتسمية الإله مرة باسم (الوهيم) ومرة باسم (يهوه) [جولدر ص ١٢٢ - ١٣٢] .

فالازدواجية وعقيدة التجسد كانتا من الأشياء المقبولة فى العقيدة السامرية لدى الذين دخلوا المسيحية فى العقد الأول من تاريخ الكنيسة [ميخائيل جولدر] .

- ويقول الأستاذ جولدر : إنه قد ورد فى إنجيل لوقا أن سمعان ادعى أنه قدرة الله التى تسمى كبيرة .. ومعنى هذا أن سمعان كان يعتقد أن الله قد تجسد فيه .

ويستفاد من هذا أن ادعاء التجسد الإلهى فى المسيحية لم يتناول المسيح فقط ولكن تعداه إلى غيره من التلاميذ .

إلى أن يقول : أما ظنون التجسد التى أدخلها للكنيسة سمعان ماغوس ورفاقه السامريون فيبدولى أنه يمكن الاستغناء عنها كلية [جولدر ص ١٤٤] .

- أما فرنسيس يانج الأستاذة بجامعة برمنجهام فتعترض على حصر مصادر التجسد فى مصدرين فقط هما اليهودية والوثنية على ما وصل إليه ميخائيل جولدر فى البحث السابق . وتقول إن مصادر التجسد أكثر من ذلك بكثير .. إذ لاشك أن تأليه المسيح قد جاء نتيجة مجموعة واسعة من الأفكار والصور والتخمينات الماضية التى كانت موجودة فى العصر الذى سبق ظهور المسيح والكنيسة وانتقل بالتالى إلى ذلك العصر . وضربت على ذلك أمثلة كثيرة هى :

١ - أسطورة نزول (الإله أبولو والإله اسكليبوس إلى الأرض بإعلانات إلهية وعجائب . فيشفى الناس ويعمل الخير ويتنبأ بالمستقبل .

٢ - إلهة تدعى (اميكسون) قد حملت من أبولو وولدت طفلاً .

وقد تكون هذه الأسطورة الوثنية هى التى أوحت إلى المسيحية بصفة بنوة المسيح لله .

٣ ـ كما نشرت أسطورة وثنية أخـرى هى قصة عمن يدعى (بورثيوس) الذى ألقى بنفسه فى النار لينقل من محيط البشر إلى عالم الآلهة وأنه صاحب ذلك حدوث هزة أرضية كبيرة رافقها انشقاق الأرض ثم طيران عقاب السنة اللهب ذاهباً إلى السماء قائلًا بلغة بشرية وبصوت عالى : (لقد انتهيت من الأرض أنا متوجه إلى الأولمب مقر الآلهة) .

٤ ـ هناك من يدعى (بريفرينوس) ادعى النبوة وزعامة لمذهب ورئاسة كنيسة وقد آمن به كثير من المسيحيين وكانوا يتعبدون له بعد ذهاب المسيح وأن بريفرينوس هذا جمع ثروة طائلة على حساب سذاجة أتباعه المسيحيين مما يؤيد أن المسيحيين الأوائل كانوا مستعدين لتصديق أى قصة تروى لهم ولو من مشعوذ إذ كانوا معروفين بالبر واستعدادهم للموت كشهداء .

٥ ـ هناك قصة لصعود (هرقلس) إلى الآلهة أيضاً عن طريق النار كما تردد تأليه (اسكليبوس) و (ديونيوس) برحمة من إله أطلق عليه اسم (لاقط الصواعق) .

٦ ـ هناك من كان يدعى (اسكندر الإلهى) الذى رتب ولادة أفعى صغيرة من بيضة نعامة .. وجاء بتنبؤات وصفات للشفاء ، وادعى أن موهبته التنبؤية صادرة عن عقل (الله الأب) الذى أرسله لمساعدة الناس الطيبين ، وستعود روحه عن طريق (لاقط الصواعق) الذى يخص الله .

وتقول المؤلفة إن هذه الروايات كانت رداً على ادعاء التجسد الإلهى فى المسيح وهى تتحدث عن أناس سابقين ادعوا أنهم آلهة وأبناء آلهة ومنها ما ذكر عن :

٧ ـ **أفلاطون** : من أن ولادته تمت بطريقة عجيبة ومعجزة ـ وقصة القرابة الإلهية لأفلاطون تاريخية قديمة وسابقة لمولد المسيح ، وظهور الأناجيل مما قد يكون إيماء لقصة التجسد الإلهى فى المسيح .

٨ ـ **والفيلسوفان** اللذان تجمعت حولهما أساطير التجسد والتألية كانا (فيثاغورس) و « أنباذ وقليس) قبل عصر سقراط . وفى إحدى الروايات أن (فيثاغورت) هو الابن المتجسد لـ (هرمس) وأن انبيدوكليس اختفى

فى إحدى الليالى ، وبعد ذلك ادعى أحدهم أنه سمع صوتاً عالياً فى منتصف الليل ينادى (انباذوكلس) وعندما قام رأى نوراً متوهجاً فى السماء وفسر ذلك بأنه أشياء أبعد من مستوى التوقع ، حدثت له . وأن الواجب أن يقدموا له القرابين حيث إنه الآن إله .

٩ ـ والاسكندر الأكبر هناك رواية تنسب لمولده تقول إنه فى الليلة السابقة لزفاف أبيه وأمه حلمت العروس أن اللاقط للصواعق والمفترض أن أصله من (زيوس) وقع على رحمها وأن الاسكندر على ذلك اعتبر نفسه . [ابن زيوس] .

١٠ ـ كما أن هناك رواية تتعلق بـ (روملوس) الذى سميت مدينة روما باسمه .. وهذه الرواية تقول إن العذراء (ديهيا سيلفيا) قد اغتصبت وولدت توأمين قيل إن أباهما كان (مارس) إله الحرب . وإنه أثناء عاصفة مفاجئة لفت الجميع بغيم كثيف وحين مر الغيم فوق رأس (رومولوس) اختفى ولم يعد على هذه الأرض . فاعتبر إلهاً وابن إله .

وتعلق صاحبة المقال على هذه القصص بقولها : وهكذا نجد أن الأساطير والخرافات الوثنية الرومانية واليونانية مليئة بأساطير نزول الآهة إلى الأرض واختلاطهم بالبشر واتصالهم بهم أحياناً اتصالًا لا تزاوجياً ، ثم صعودهم وعودتهم إلى مقارهم السماوية ولا تستبعد المؤلفة بل ترجح أن تكون هذه الأساطير هى التى أوحت للمسيحية بالتجسد الإلهى فى المسيح .

بل قد وجد قبل مولد المسيح بسنوات قليلة نشيد يتعلق بولد صاحب الآلهة ويحكم العالم بالسلام ويدعى الولد (سليل الآلهة العزيز) .

بل لقد نسب إلى الامبراطور (أغسطس) الذى ولد المسيح فى عهده ، أن الآلهة قد أرسلته أى أرسلت أوغسطس وأنه إله نزل إلى الأرض . ومن ثم فإن هناك دلائل على أن المسيحيين الجدد الناطقين باليونانية والمرموز لهم بالأمميين هم الذين حولوا يسوع المسيح المولود اليهودى فى فلسطين ـ إلى كائن إلهى متجسد .

* * *

بل إن هناك نقوشاً أسيوية يرجع تاريخها إلى عام ٤٨ قبل ميلاد المسيح تتحدث عن « يوليوس قيصر » على أنه إله ظاهر من نسل (آريس) و (افروديت) وأنه منقذ عام للإنسانية .

وهناك نقش على الرخام يقول : الامبراطور قيصر ابن الله ، والإله أوغسطس المشرق على الأرض . هى ذاتها التى كانت تطلق على هؤلاء الذين جرى تأليههم فى العصر السابق للمسيح . وأن كلمة تعنى إله أو إلهى ، أو الخالد ، أو الأبدى .. كانت تطلق خاصة على الحكام والفلاسفة والأشخاص الاستثنائيين .

هناك تشابه عام بين الإله الوثنى (روملوس) المسمى باسمه مدينة روما ـ وبين يسوع المسيح فيما يتعلق بالولادة العذرية والحمل عن طريق الإله وحياة بارزة واختفاء بلا أثر للجسد بعد الموت ، ثم ظهوره بعد الموت لتكليف خلفائه بتقديم الصلوات له .

وهكذا ترى المؤلفة أن ما نسب إلى المسيح مستقى من تلك الخلفية الوثنية التى كانت سائدة إلى ما قبل عصر المسيح بقليل .. وأن امتداد الكنيسة فى العالم غير اليهودى هو وحده السبب فى قيام عقيدة التجسد وأن بولس هو أول من أوعز أن (عميلاً لله فوق مستوى البشر قد دخل العالم فى شخص يسوع المسيح) (١) .

* * *

• ثانياً : شهادة أساتذة من رجال الدين فى أكسفورد :

١ ـ بشرية عيسى

فى سنة ١٩٢١ اجتمع عدد كبير من رجال الدين فى أكسفورد ورأس الاجتماع الدكتور راشدل أسقف كارليل الذى أذهل خطابه العالم المسيحى ، ذلك لأنه ذكر أن قراءاته للكتاب المقدس لا تجعله يعتقد أن

---

(١) انظر : أسطورة تجسد الإله فى السيد المسيح : ترجمة نبيل صبحى ـ دار القلم ـ كويت ـ طبعة أولى ١٩٨٥ م وانظر أيضاً صلاح العجماوى ـ نصرانية عيسى عليه السلام ـ الفصل العاشر أقوال علماء الغرب عن دعوى تجسد الله فى السيد المسيح ص ٢٠١ .

عيسى إله ، وأنه إنسان بكل ما يحتمل هذا اللفظ من معان ، ونجمل أقواله فى هذا المؤتمر فيما يلى :

قال يوجد ضغط متزايد يذهب إلى أنه يجب على رجال الدين المتحررين أن يحددوا أقوالهم وماذا يعنون على وجه الحقيقة حينما يستخدمون النصوص الموروثة عن ألوهية عيسى ، وها هى ذى بعض الأشياء التى لا تعنى ولا يمكن أن تعنى نسبة الألوهية إلى عيسى :

(أ) لم ينسب عيسى إلى نفسه الألوهية ، ومن الجائز أنه سمح لنفسه أن ينادى بالمسيح ، ولكنه لا يوجد مطلقاً فى أقواله الثابتة إلا ما يشير إلى أن صلته الشعورية بالله هى صلة إنسانية بربه ، أما أقوال الإنجيل الرابع التى تذهب إلى أبعد مما تذهب إليه أقوال الأناجيل الثلاثة فلا يمكن النظر إليها على أنها تاريخية .

(ب) يستتبع الاعتراف بأن عيسى إنسان بكل ما يدل عليه اللفظ ، وأنه ما هو إلا جسد بشرى ، أنه روح بشرية عقلاً وإرادة .

(جـ) الافتراض أن روح عيسى سابقة فى الوجود مماثل للزيغ ، لأنه ببساطة لا أساس لمثل هذه النظرية إلا إذا قلنا إن جميع أرواح البشر وجدت فى العالم قبل ميلادهم ، لكن هذا ليس هو الوضع المسيحى المقبول عادة .

(د) إن ألوهية المسيح لا تستنتج بالضرورة من مولده من عذراء من أية معجزة أخرى ، فالمولد من عذراء ــ إذا أمكن إثباته تاريخياً ــ لا يدل على ألوهية المسيح ، كما أن عدم إثباته لا يثير الشك فى هذه النظرية .

(هـ) لا يستنتج من تأليه يسوع إحاطته بكل شىء ، وليس هناك دليل يدعونا أن نفترض أن عيسى الناصرى عرف من البيانات العلمية فى الأمراض العقلية أكثر مما عرف معاصروه الذين يعتقدون نسبتها إلى المس الشيطانى ، وأن معرفته تجاوزت معرفتهم فى تأليف الأسفار الخمسة أو المزامير ، ومن العسير إنكار أنه توقع حدوث أشياء فى المستقبل لم تتحقق تاريخياً .

وفى انعقاد هذا المؤتمر افتتح هـ . د . أ . ميجر المناقشة بما يمكن تلخيصه فى السطور التالية :

ـ إن عيسى (عليه السلام) لم يدع فى الأناجيل أنه ابن الله بالمعنى الجسدى كما يوحى بذلك القصص عن مولده من عذراء . كما أنه لم يدع أنه ابن الله بالمعنى الميتافيزيقى كما ذهب إلى ذلك مجمع نيقية . ولكن يمكن اعتبار هذا الوصف (ابن الله) على أنه يدل على صلة روحية بالله وقدرة على العمل بالأسس الخلقية التى يأمر بها الله .

ـ فإذا تركنا كلام رجال الدين ومؤتمراتهم واجتماعاتهم وأتينا إلى الأبحاث العلمية وجدنا الأستاذ روبرتسون يحدثنا فى كتابه (وثنية المسيحيين) عن عبادة (مثرا) إله الفرس وامتصاص المسيحية لها .. وأنها وصلت إلى روما حوالى سنة ٧٠ ق . م وأنها انتشرت فى الامبراطورية الرومانية ، حتى وصلت إلى الجزيرة البريطانية واكتشفت آثارها فى يورك وتشسر وبعض الأماكن الأخرى .

ويشير المؤلف إلى نقاط التشابه بين ديانة ميثرا وما يناظرها فى العقائد المسيحية الحاضرة وينتهى فى النهاية إلى القول بأن ديانة مثرا لم تمت إلا بعد أن ذابت فى المسيحية وهذه النقاط سبق أن ذكرناها عند حديثنا عن المقارنة بين عقائد النصارى وعقائد الوثنيين فلا نعيدها هنا .

ـ كذلك ذهبت أبحاث العلماء إلى شعار الصليب الذى اتخذه المسيحيون علامة تدل عليهم فأثبتوا أنه لم يكن معروفاً كشعار لأتباع المسيح قبل القرن الرابع أى القرن الذى عاش فيه الامبراطور قسطنطين .. صاحب فكرة اتخاذ الصليب شعاراً لأتباع المسيح .. أما قبله فقد كان أتباع المسيح يتخذون شعاراً لهم رمز السمكة .. الذى وجد مرسوماً بكثرة على قبورهم .

وهكذا ذهب الذين يعارضون المسيحية الحاضرة من علماء مسيحيين إلى القول فى نهاية أبحاثهم إلى أن العقيدة المسيحية بوضعها الحالى لم تكن من تعاليم المسيح عليه السلام . لأنها فى رأيهم تأثرت بعقائد أخرى قوية كانت سائدة زمن ظهور عيسى عليه السلام .

أضف إلى ذلك أن كلمة مسيحى أو نصرانى لم تكن شائعة للدلالة على

معتنق هذا الدين قبل انعقاد مؤتمر نيقية فى بداية القرن الرابع الميلادى أى سنة ٣٢٥ م بالتحديد (١) .

● بل لقد ذهب هؤلاء الباحثون إلى ما هو أبعد من هذا وهو إنكار دعوى ألوهية المسيح من المسيح نفسه . وهذا ما يقدمه لنا الأستاذ شارل جينيبر مؤلف كتاب المسيحية نشأتها وتطورها : قال ما نلخص أهم ما توصل إليه : المسيح كان يعلن التوحيد وكان يعلن أنه عبد الله ورسوله ، وأنه بعث إلى خراف بنى إسرائيل الضالة ، وكان يعلن أنه محدد فى رسالته ببنى إسرائيل .. ودعوته تقوم على الخلق الكريم . ولم يتحدث عن شريعة وكان يؤمن أنه نبى من أنبياء بنى إسرائيل .. أما المسيحية الحاضرة بكل ما فيها من عقائد وطقوس وشعائر فإنها غريبة وبعيدة كل البعد عن رسالة السيد المسيح عليه السلام .

ولقد بين المؤلف أن المسيحية بدأت تنفصل عن اليهودية منذ أن دخلها القديس بولس ، وبين المؤلف أن عقيدة بنوة المسيح إنما هى عقيدة كانت خطأً فى ترجمة كلمة (عبد الله) التى كان يقولها السيد المسيح كثيراً . إذ ترجمها القديس بولس بكلمة (طفل) بدل كلمة خادم .

ومن هنا حدث التشويه والانزلاق نحو الخطر .. حيث تم تداولها بعد ذلك على أنها تعنى (ابن) وبدلًا من أن يكون المعنى الحقيقى الذى يجب أن يفهم هو المسيح عبد الله ورسوله .. صار المسيح ابن الله لأن الفرق بين كلمة طفل وكلمة ابن فرق دقيق .. كثيراً ما يتسامح فيه عادة بين البشر لكنه هنا فى هذه المرة .. كان وبالًا .. على تاريخ وعقيدة أمة بأسرها .. وهى الأمة المسيحية بعد مجىء بولس .

وإليك بعض الفقرات التى ذكرها هذا العالم (الأستاذ شارل جينبير) : يقول : (وتصفح الأناجيل وحده يكفى لاقناعنا بأن مؤلفيها قد توصلوا إلى (تركيبات) واضحة التعارض لنفس الأحداث والأحاديث مما يتحتم معه القول بأنهم لم يلتمسوا الحقيقة الواقعية ، ولم يستلهموا تاريخاً ثابتاً

---

(١) محمد جابر الحينى (الدكتور) : فى العقائد والأديان ص ٢٤٩/٢٥٣ .

يفرض تسلسل حوادثه عليهم ، بل على العكس من ذلك : اتبع كل هواه وخطته الخاصة فى تنسيق وترتيب مؤلفه (١) .

ويقول أيضاً : (وإننا لنلحظ فى ثنايا هذه السيرة الإنجيلية نقصاً كثيراً وفجوات خطيرة نلحظها حتى فى إنجيل مرقص الذى بلغ به الحرص أن تحاشى الحديث عن عيسى وطفولته) (٢) .

ويقول : (ولم يقل عن نفسه إنه (ابن الله) ، وذلك تعبير لم يكن فى الواقع ليمثل بالنسبة إلى اليهود ـ سوى خطأ لغوى فاحش وضرب من ضروب السفه فى الدين) (٣) .

كذلك لا يسمح لنا أى نص من نصوص الأناجيل بإطلاق تعبير « ابن الله » على عيسى ، فتلك لغة لم يبدأ فى استخدامها سوى المسيحيين الذين تأثروا بالثقافة اليونانية ، أنها اللغة التى استخدمها القديس بولس ، كما استخدمها مؤلف الإنجيل الرابع ، وقد وجد فيها معانى عميقة ، وعلى قدر كاف من الوضوح بالنسبة إليها) (٤) .

ويقول : (وهكذ فإن النصوص لا تقدم إلينا الخبر اليقين فيما يتعلق بتفكير عيسى الخاص بمبادئه ورسالته ، وبصفات شخصيته ، وبمدى دوره الذى لعبه ، إلا أننا لابد أن نقر واقعاً واضحاً للعيان ، وهو أنه لم ينجح فى دعوته ، وأن مواطنيه من أهل فلسطين لم يصدقوا بالرسالة التى نسبها إلى نفسه (٥) .

ويقول : (لذلك كله نستطيع وصف بولس بأنه كان منشىء المستقبل) (٦) .

ويقول : (إن المسيح لم ينشىء الكنيسة ولم يردها) .

---

(١) شارل جينبير : المسيحية نشأتها وتطورها ترجمة عربية : د . عبد الحليم محمود ـ دار المعارف ص ٣٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٨ .

(٣) المصدر السابق ص ٥٠ .

(٤) المصدر نفسه ـ نفس المكان .

(٥) المصدر نفسه ص ٥٦ .

(٦) المصدر نفسه ص ١٠٨ .

ويقول : (إن سر نشأة هذا الدين وطبيعته الأولى يجب الرجوع فى دراسة جوانب كثيرة منهما إلى حضارات سوريا وآسيا الصغرى ومصر وكذلك بلاد ما بين النهرين وكل هذه البيئة الشرقية التى ظهر فيها) .

ولقد أفاض الأستاذ شارل جينيبير وأجاد عند كلامه على بيئة بولس ، ونشأته وتلمذته على يد جمالئيل أكبر علماء اليهود فى القدس وأن بولس قد شاهد فى طرطوس التى ولد ونشأ فيها ثقافات مختلفة ما بين يونانية ورومانية وغير ذلك . وديانات شرقية وغربية مختلفة مثل :

١ ـ آتيس فى بلاد الفريجيين .

٢ ـ آدونيس فى الشام .

٣ ـ ملكارت فى فينيقيا .

٤ ـ تموز ومردوك فى بلاد النهرين .

٥ ـ أوزوريس بمصر .

٦ ـ ميثرا فى فارس .

كما عرف أيضاً أن هذه الآلهة لها خاصة مشتركة بها هى أنهم يموتون فى موسم معين من السنةثم يبعثون بعد ذلك فى موسم آخر . وأنهم آلهة من البشر : يموتون فى بدء الشتاء . ثم يبعثون على أبواب الربيع [١] .

وكانت نتيجة ذلك كله انصهار هذه الثقافة فى عقل بولس .. وكانت المحصلة لذلك هى التعلق بفكرة الخلاص عن طريق التضحية .. أى أن يضحى الإله بنفسه ليخلص المؤمنين به . تلك الفكرة كانت مشتركة بين الأديان السابق ذكرها .. وبناء على ذلك فلابد من أن يموت الإله ثم يبعث . وبعثه يعبر عن فكرة الخلاص .. وكان يمثل على هيئة قصة .. ويتخللها القيام بطقوس القربان (طعام وشراب وتناول أسرار) .. تماماً كما هو الحال فى المسيحية .

من الذى نقل كل هذا إلى المسيحية وأصبحت عقيدة وشعيرة لها ؟ إنه بولس .

---

(١) المصدر السابق ص ٩١ ـ ٩٣ والفصل الرابع كله خاص ببيان نشأة بولس وثقافته .

وإذن فقد صح القول بأن المسيح لم ينشيء الكنيسة ولم يردها إنه بولس .

وهذه شهادة رجل آخر : هو أيضاً عالم وحجة فى دراسة الكتب المقدسة .. وهو الأستاذ الدكتور موريس بوكاى مؤلف كتاب : القرآن والتوراة والإنجيل والعلم : دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة (١) .

إن هذا الكاتب يقرر بكل وضوح بأن الكتاب المسيحى المقدس (الإنجيل) يعتمد على شهادات بشرية متعددة وغير مباشرة .. وأننا لا نملك مثلاً أى شهادة لشاهد عيان لحياة عيسى وهذا خلافاً لما يتصور الكثير من المسيحيين (٢) .

ثم يكرر فى ثنايا الكتاب فى مناسبات مختلفة أوجه التناقض والاضطراب فى الكتاب المقدس : سواء ما يخص كتب اليهود أو ما يخص كتب النصارى ، ويؤكد أن رسائل بولس كتبت أولًا قبل أن تكتب الأناجيل ، وأن مجموعة الكتابات الإنجيلية لم تظهر قبل عام ١٤٠ م (٣) .

وأن الروايات الشفهية كانت هى السائدة قبل ذلك . ثم يعطى رسماً تخطيطياً للمصادر التى أخذ منها كل من متى ولوقا ومرقص (٤) وينتهى من مناقشة كثير من المشاكل الخاصة بتواريخ تدوين الأناجيل وأماكن هذا التدوين بل وشخصيات أصحابها .. بأن شيئاً من ذلك غير مؤكد ، وأن تاريخ الاعتراف بالأناجيل الأربعة كنسيا هو عام ١٧٠ م .

ويرتب على هذا بأن أحداث حياة المسيح المروية عن طريق هذه الأناجيل مضطربة وغير متماسكة ولا تعطى فكرة موحدة ، بل كل منهم رواها بطريقته وعلى حسب الظروف التى كان فيها . ص ٩٤ وأنه لم يعد واجباً الآخذ بحرفية الأحداث الواردة عن المسيح فى الأناجيل فهى (كتابات) ظرفية أو (خصامية) ص ٦٨ .

---

(١) ترجم إلى العربية ـ ونشرته دار المعارف بالقاهرة ـ والفتح للإعلام المصرى . القاهرة .

(٢) موريس بوكاى : القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم . ترجمة عربية طبعة الفتح للإعلام العربى ـ القاهرة ـ بدون تاريخ ص ١١ .

(٣) المصدر السابق ص ٧٥ .

(٤) المصدر السابق ص ١٩٥

ثالثاً :

المحصلة النهائية لما توصل إليه الباحثون المتخصصون فى الكتاب المقدس : وهى مقتبسة من كتاب الأستاذ أحمد عبد الوهاب « اختلافات فى تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة فى المسيحية » فليرجع إليه من يريد الوقوف على المزيد : قال على لسان المتخصصين فى نقد الكتاب المقدس نقلاً عنهم :

الصورة العامة للكتاب المقدس :

أسفار الكتاب المقدس هى عمل مؤلفين ومحررين ظل عدد كبير منهم مجهولًا .

● وهو يقصد بالكتاب المقدس كتب اليهود والنصارى معاً ـ وبعد أن يورد آراء النقاد فى محتويات الكتاب المقدس ومآخذهم عليه ـ وهم نقاد غربيون مسيحيون ـ ينتهى إلى القول على لسان النقاد فيما يختص بكتب النصارى المسماة بـ (العهد الجديد) إلى أن نصوصه قد نسخت طوال قرون كثيرة بيد نساخ صلاحهم للعمل متفاوت . وما من واحد منهم معصوم من مختلف الأخطاء .

● وأن ما أدخله هؤلاء النساخ من التبديل على مر القرون قد تراكم بعضه على بعض حتى وصل آخر الأمر إلى عهد الطباعة مثقلاً بمختلف ألوان التبديل التى ظهرت فى عدد كبير من القراءات .

ـ أضف إلى هذا أن الآباء كانوا لسوء طالعنا يستشهدون فى أغلب الأحيان بنصوص حفظوها دون أن يراعوا الدقة مراعاة كبيرة مما يجعلنا والحالة هذه لا نثق فى النصوص التى أمامنا ثقة جديرة بالاحترام .

● والنتيجة التى يمكن الوصول إليها من هذه الأقوال هى أن أسفار الكتاب المقدس ليست سوى أعمال أدبية بشرية حررها مؤلفون أغلبهم مجهول الأصل والهوية ، وهى ككل عمل أدبى يأتى نتيجة لمجهودات البشر تضم بين جنباتها هذا وذاك .. أى الردىء والحسن (١) .

---

(١) أحمد عبد الوهاب : اختلافات فى تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة فى المسيحية ـ مطبعة وهبة القاهرة ص ١٤٢ وما بعدها .

نتائج هذه الشهادات :

هذه الشهادات كلها التى ذكرتها أخذاً من كلام علماء النصارى المشهورين بالدراسة والتخصص فى الكتاب المقدس إنما سقتها لأبين أمرين :

الأول : إن الكتب المقدسة لدى النصارى .. هى كما أثبت ذلك هؤلاء العلماء من صنع بشر وليست موحى بها من السماء .. وبالتالى فإن ما تتضمنه من عقائد لا تتفق مع مقررات الأديان الصحيحة السابقة ، فإنه قطعاً يكون غير مسلم به .. والأديان السابقة على النصرانية مباشرة هى اليهودية وهى تعلن بأعلى صوت وبأوضح عبارة : بأن الرب إله واحد .. (اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد) وليس فيها أدنى إشارة لوراثة الخطيئة ولزوم أن يأتى مخلص ليخلص الناس منها وأنه يكون الله نفسه أو ابنه كل ذلك لا تجده فى كتب اليهود – ولا أشير إلى عقيدة المسلمين (لأن النصارى لا يصدقونها) كما لا نجده فى عقائد الأنبياء والرسل الأقدمين (عليهم السلام) مثل آدم نفسه (عليه السلام) ولا نوح عليه السلام الذى نجاه الله من الطوفان .. ولا إبراهيم عليه السلام ولا إسحق عليه السلام ولا يعقوب عليه السلام .

الكل يعترف ويعلن ويصرح بأن الله واحد .. وبأن كل إنسان مسئول عن عمله .

وإذاً فما تذكره كتب النصارى عن عقيدة التثليث وعن الخطيئة والكفارة .. إلى آخر هذه الأشياء .. يكون لا أساس له من الصحة .. وبالتالى يجب الرجوع إلى الحق الذى لا شبهة فيه وهو التوحيد الخالص الحاسم المباشر الذى لا يقبل التأويل ولا اللعب بالألفاظ .. وهذا هو توحيد الإسلام الذى يأمر به الناس جميعاً – وليس جنساً خاصاً كما هو شأن اليهودية حيث تقصر نفسها على بنى إسرائيل فقط – وأذن فرسول الإسلام صادق ويجب اتباعه . وهذا هو الأمر الثانى الذى يترتب على شهادات علماء النصارى المتخصصين الذين أوردت شهاداتهم فيما سبق .

وهو أمر أصبح لا مجال للشك فيه : أعنى صدق نبى الإسلام فى دعواه أنه رسول من عند الله حقاً وصدقاً – لا عند المسلمين فقط بل وعند المخلصين المنصفين لروح الحق والحقيقة .

فيا أخي القارىء الكريم ممن لست مسلماً : ألا ترى بعد هذا أنه قد آن الأوان . وجاء الوقت لتعيد النظر فيما تعتقده . وتسمع صوت الحق . وتستجيب لداعيته ؟ إنك إن فعلت ربحت نفسك والدنيا والآخرة .. ولا أظنك بعد هذا فى حاجة لأن أسرد عليك أدلة من البشارات بنبينا .. فهذا أمر شرحه يطول .. وأكتفى بأن أحيلك على ما ورد فى الإصحاح ١٨ عدد ١٨ من سفر التثنية حيث تقرأ فيه : (أقيم لهم من وسط أخوتهم نبياً مثلك وأجعل فى فمه كلامى . فيكلمهم بكل ما أوصيه . ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع كلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه فهذه بشارة بنبى الإسلام ـ نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه ـ ولا تنطبق على غيره وإليك بيان ذلك :

١ ـ تقول البشارة : « أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك » : هذه البشارة لا يجوز أن تنطبق على أى نبى من بنى إسرائيل .. لأن النبى المبشر به هنا شرط فيه أن يكون من وسط إخوة بنى إسرائيل وهم أبناء إسماعيل أخى إسحق .. ومنهم خرج نبى الإسلام عليه السلام ، إذ هو من نسل إسماعيل الذى تقول عنه كتب اليهود بأن الله تعالى يباركه ويثمره ويكثره كثيراً جداً ويجعله أمة كبيرة (بمأذ مأذ) أى بمحمد (١) .

فهذه الكلمة من (وسط إخوتهم) لا تنطبق إلا على نبى الإسلام نبينا إذ هو مأذ مأذ المشار إليه فى البشارة المذكورة أعلاه صراحة ـ وأيضاً لا يصح أن يكون المبشر به نبى من بنى إسرائيل لأن هناك نصاً آخر يقول : (ولم يقم بعد نبى فى إسرائيل مثل موسى) (٢) .

٢ ـ الشرط الثانى فى البشارة هو قولها : (مثلك) .. فهذه المماثلة لا تنطبق إلا على نبى الإسلام نبينا (عليه السلام) : لا غير إذ ليس يصح انطباقها على أى نبى من أنبياء بنى إسرائيل حتى ولا عيسى . فيما لو رجع أتباعه إلى الحق وقالوا إنه نبى لا إله .. وبيان ذلك :

---

(١) سفر التكوين : إصحاح ١٧ عدد ٢٠ .
(٢) تثنية : إصحاح ٣٤ فقرة ١٠ .

(أ) موسى صاحب شريعة : وكذلك نبينا .. أما عيسى المسيح فليس صاحب شريعة وإنما شريعته التوراة ولذلك قال : ما جئت لأنقض الناموس بل لأتمم .

(ب) موسى تزوج ـ وكذلك نبينا ـ والمسيح ما تزوج .

(ج) موسى مات طبيعية . والمسيح لم يمت طبيعياً .

(د) موسى دفن فى الأرض وكذلك نبينا ـ أما عيسى فأتباعه يقولون عكس ذلك عنه .

(هـ) حارب أعداءه وهو فى سيناء متوجهاً إلى فلسطين وأمرهم بذلك .. وكذلك نبينا حارب من حاربوه . والمسيح ليس كذلك .

٣ ـ الصفة الثالثة المشار إليها فى البشارة هى : (واجعل كلامى فى فمه ، فيكلمهم بكل ما أوصيه) .

فهذه الصفة واضحة جداً ناطقة بنفسها وأنها تعنى (القرآن) الذى هو معجزة نبينا عليه السلام .. وهو كلام .. وليس يصح أن يراد بها مجرد الكلام العادى . لأن هذا لا يحتاج إلى بشارة .. ولا إلى نبوءة .. فصح بذلك أن هذه البشارة منطبقة على نبينا (عليه السلام) لا غير .

وليس هذا فحسب بل هناك إلى جانب ذلك كثير من البشارات نكتفى بذكر واحدة منها فقط وهى مما جاء على لسان سيدنا موسى عليه السلام : (قال : جاء الرب من سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من جبل فاران ومعه ألوف الأطهار ، فى يمينه سنة من نار أحب الشعوب ، جميع الأطهار بيده) .

فهذه البشارة هى وصية من سيدنا موسى عن الله تعالى حتى وفاة سيدنا موسى عليه السلام وهى آخر وصاياه ، فلذا أخبرهم بالرسولين المعظمين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام . لأن سيدنا موسى نفسه جاءه الوحى من سيناء وسيدنا عيسى (عليه السلام) جاءه الوحى من ساعير وهو اسم جبل فى فلسطين ـ وسيدنا رسول الله ﷺ جاءه الوحى من جبل فاران . وهو بمكة ، وهو صاحب السنة ومعه آلاف الأطهار هم

الصحابة ، أما المسيح فليس كذلك لأن خلصاءه كانوا اثنى عشر تخلوا عنه فى وقت الشدة .

فهذه كلها دلائل واضحة على صحة رسالة نبى الإسلام نبينا عليه السلام .

وإن كنت لازلت فى شك أيها القارىء الكريم (غير المسلم) .. ولا زالت قضية نصوص الكتب عالقة بذهنك .. فأنصحك بالرجوع إلى كتاب الإمام الغزالى : (الرد الجميل لآلهية عيسى بصريح الإنجيل) ففيه تجد الرد الصحيح والجميل على ما جاء بالإنجيل .. آية آية .. وهو كتاب محقق ومطبوع ومتداول (١) ولا أطيل عليك بذكر كتب أخرى لعلماء المسلمين يمكنك الوقوف عليها بسهولة من النظر إلى أسمائها فى آخر هذا الكتاب .

والله أسأل لك ــ قارئ الكريم ــ التوفيق والسداد .. آمين .

* * *

إزالة عقبة فى الطريق :

فى الطريق المؤدى إلى تفهم ما جاء فى هذا الكتاب من براهين ساطعة ناصحة .. مرشدة إلى الحق فى العقيدة وإلى الخير فى السلوك .. واضعة النقط فوق الحروف ، حول الدين الحق .. الهادى إلى الحق وإلى الطريق المستقيم .

أقــول : قد تقف فى طريق هذا الفهم عقبة ربما تصد القارىء عن الاستجابة المنطقية اللازمة للنتائج التى تمخض عنها هذا الكتاب . فيجد فى نفسه توتراً فى الواقع من أمم متقدمة مادياً وصناعياً واقتصادياً ــ وهى لا تؤمن بالحق الذى أثبته هذا الكتاب .. أى لا تؤمن بالإسلام . ومع ذلك فهى متقدمة ــ فلماذا ؟ .

هذه العقبة .. لماذا يكون أصحاب العقيدة الحقة متأخرين مادياً وحضارياً ، بينما غيرهم متقدمون فى كل مضمار ؟ أليس تقدمهم دليلًا على

(١) قام بتحقيقه وطبعه الأستاذ الدكتور محمد عبد الله الشرقاوى ــ طبعة دار الهداية القاهرة ٨٦ م .

صحة عقيدتهم ، وأليس فى تأخر المتأخرين دليل على فساد عقيدتهم ؟ .

هذا السؤال .. ربما يقف عقبة فى الطريق .. ولكن الإجابة عليه ستزيل هذه العقبة بحول الله وقوته .. وهذه الإجابة هى :

ـ من الذى قال إنه توجد هناك رابطة بين تقدم هذه الدول وبين عقيدتها أياً كانت مسيحية كانت . أو يهودية أو حتى بوذية ؟ . أو غير ذلك ؟ .

ـ إن أياً من هذه الديانات لا يحمل ولا يرشد ولا يدل أبداً على أى اختراع من هذه الاختراعات الحديثة . مثل الطائرات ـ الدبابات ـ الراديو ـ التليفزيون ـ معدات الحرب ـ بل كل هذه الاختراعات جاءت نتيجة لتضافر جهود العلماء فى كل ميدان . وتعاونهم وعملهم الدائب وسهرهم المتواصل . فكان ما كان من هذه المخترعات سواء كانت عقيدتهم مسيحية أو يهودية أو بوذية ـ أو حتى لا يعترفون بالإله كما هو الحال فى روسيا والصين . مثلًا .

إذن التجارب والعمل الدائب هما السبيل للتقدم . وهذه الدول قد فعلت ذلك . والقرآن الكريم قد أرشد إلى ذلك أيضاً فى أجلى بيان حيث قال : ﴿ **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾ وهم قد غيروا .. فغير الله حالهم .

ولو كان الدين هو السبب فى تقدم النصارى واليهود . فلماذا إذن هزم النصارى فى الحروب الصليبية على تعددها وكثرة قواتهم واستعدادهم لها ؟ لماذا إذن هزموا فيها . وهم ما حاربوا فى هذه الحروب التى استمرت لمدة قرنين من الزمان إلا تحت راية الصليب . والدعوة الدينية الحارة لتخليص الأرض المقدسة فى فلسطين من أيدى الكفرة المسلمين (هكذا) .

فلماذا إذن لم ينصرهم المسيح الذى يعتقدون أنه إلههم وأنه قد حاربوا هذه الحروب لنصره ؟.

بل ولماذا لم يتقدموا هكذا من أول نشوئهم عند ظهور هذا الدين ـ دينهم ؟ .

أما اليهود وتقدمهم فى عصرنا فهو ناتج من البحث والدأب شأنهم فى ذلك شأن اليابانيين ـ وهم ليسوا نصارى ولا يهوداً ـ وشأن الصينيين والروس وهم كذلك ليسوا نصارى ولا يهوداً .. بل العمل الدائب هو سر النجاح والقرآن نفسه يقول للمؤمنين ويهيب بهم : ﴿ **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** ﴾ والعمل فى الإسلام يدخل فيه الدين والدنيا .

أظن بعد هذا نكون قد قضينا على العقبة الكئود فى طريق فهم ما جاء فى هذا الكتاب من إظهار الحق .. والإشارة إليه .. لمن يريد . والله بعد هذا وقبل هذا من وراء القصد ومنه التوفيق .

(انتهى الكتاب بحمد الله الوهاب)

* * *

المراجع

١ ـ **القرآن الكريم** .
٢ ـ **الكتاب المقدس** .
٣ ـ **الإمام القرطبى** : الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام . القاهرة دار التراث العربى بتحقيق د . أحمد السقا ـ بدون تاريخ .
٤ ـ **ابن تيمية (شيخ الإسلام)** : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح . نشر المدنى . بتقديم على السيد صبح المدنى .
٥ ـ **ابن قيم الجوزية (شمس الدين)** : هداية الحيارى فى أجوبة اليهوذ والنصارى ـ القاهرة المكتبة السفية سنة ١٤٠٧ هـ بتحقيق د . أحمد حجازى .
٦ ـ **إبراهيم خليل أحمد** : (محمد فى التوراة والإنجيل والقرآن) : دار المعارف القاهرة : سنة ١٩٨٩ م .
٧ ـ **إبراهيم خليل** : محاضرات فى مقارنة الأديان : القاهرة دار المنار ط أولى ١٩٨٩ م .
٨ ـ **أبو المعالى الجوينى** : شفاء العليل فى بيان ما وقع فى التوراة والإنجيل من التعديل ـ القاهرة سنة ١٩٧٩ م .
٩ ـ **إبراهيم خليل** الغفران بين الإسلام والمسيحية : دار المنار ـ الباب الأخضر سنة ١٩٨٨ م .
١٠ ـ **إبراهيم سليمان الجبهان** : معاول الهدم والتدمير فى النصرانية وفى التبشير ط : رابعة باكستان ـ الرياض ـ بدون تاريخ .
١١ ـ **أبو البقاء صالح بن الحسين الجعفرى (ق ٧)** : الرد على النصارى .

تابع مراجع الكتاب

١٢ ـ **أحمد عبد الوهاب** : دراسة فى الأديان : المسيح فى مصادر العقائد المسيحية . مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ ط . ثالثة سنة ١٩٨٨ م .

١٣ ـ **أحمد عبد الوهاب** دراسة فى الأديان : النبوة والأنبياء : فى اليهودية والمسيحية والإسلام ـ القاهرة ـ مكتبة وهبة سنة ١٩٧٩ م ط . أولى .

١٤ ـ **أحمد عبد الوهاب** : حقيقة التبشير بين الماضى والحاضر .

١٥ ـ **أحمد عبد الوهاب** : تعدد نساء الأنبياء ، ومكانة المرأة فى اليهودية والمسيحية والإسلام ـ القاهرة ـ مكتبة وهبة ـ ط . أولى سنة ١٩٨٩ م .

١٦ ـ **أحمد عبد الوهاب** : اختلافات فى تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة فى المسيحية ـ القاهرة ـ مكتبة وهبة ـ ط . أولى سنة ١٩٨٧ م .

١٧ ـ **أحمد شلبى** : مقارنة الأديان المسيحية ـ ط : ثامنة سنة ١٩٩٠ م .

١٨ ـ **أحمد حجازى السقا** : بير كليف اسم نبى الإسلام . مكتبة المطيعى ط . ثانية سنة ١٩٨٨ م .

١٩ ـ **حسن خالد** : موقف الإسلام من الوثنية واليهودية والنصرانية بيروت سنة ١٩٨٦ م .

٢٠ ـ **ألفت عزيز الصمد** : الإسلام والمسيحية ـ الاتحاد الإسلامى العالمى للمنظمات الطلابية سنة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

٢١ ـ **حسن عز الدين الجمل** : إن مثل عيسى عند الله ـ بيروت سنة ١٩٨٤ م .

٢٢ ـ **القرافى** : الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة : مكتبة وهبة ـ بدون تاريخ .

٢٣ ـ **المناظرة الحديثة فى علم مقارنة الأديان** : بين الشيخ ديدات والقسيس سوجارت ـ القاهرة مكتبة زهران خلف الأزهر ـ بدون تاريخ .

٢٤ ـ **مناظرة بين الإسلام والنصرانية** : الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية .. الرياض ـ السعودية سنة ١٤٠٧ هـ .

٢٥ ـ **إنجيل برنابا** : تحقيق سيف الله أحمد فاضل ـ دار الكويت سنة ١٩٨٣ م .

٢٦ ـ **سليمان مظهر** : الطريق إلى الله ـ مكتبة الفلاح ـ الكويت ـ سنة ١٩٧٨ م .

٢٧ ـ **عبد الله بن برى** : الإسلام والإنسان : مقارنة بين الأديان الثلاثة ـ بيروت ـ مؤسسة نوفل ط . أولى سنة ١٩٧٨ م .

٢٨ ـ **عبد المجيد الجندى** : ملكوت الله فى الأديان الثلاثة ـ الأسكندرية ـ بدون تاريخ .

٢٩ ـ **رءوف شلبى** : يا أهل الكتاب تعالوا .. القاهرة سنة ١٩٨٩ م .

٣٠ ـ **عبد الغنى عبود** : المسيح والمسيحية والإسلام ـ القاهرة ـ دار الفكر العربى ـ ١٩٨٤ م .

٣١ ـ **رحمت الله الهندى** : إظهار الحق . ط . دار الجيل ـ بيروت ط . أولى سنة ١٩٨٨ م ط . قطر . ط . السعودية .

ـ **زادة (الحاج عبد الرحمن أفندى باجه جى)** : الفارق بين المخلوق والخالق ـ طبعة أولى ـ القاهرة بدون تاريخ .

٣٢ ـ **صلاح العجماوى** : نصرانية عيسى فى التوراة والإنجيل والقرآن ـ الأسكندرية سنة ١٩٨٩ م .

٣٣ ـ **فتحى الزغبى** : القرآن بين البشرية والذبائح التلمودية .. طنطا ـ ١٩٩٠ م .

تابع مراجع الكتاب

٣٤ ـ عبد المجيد الشرفى : الفكر الإسلامى فى الرد على النصارى إلى نهاية ق ٤ هـ تونس ١٩٨٦ م .

٣٥ ـ فهمى الزغبى : غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام ـ القاهرة ـ سنة ١٤٠٩ هـ .

٣٦ ـ محمد تقى العثمانى : ما هى النصرانية ـ رابطة العالم الإسلام ـ بدون تاريخ .

٣٧ ـ محمد الأنوار أحمد البلتاجى : الله توحيد وليس وحدة ـ القاهرة وهبة ـ سنة ١٩٨٦ م .

٣٨ ـ محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية : ط . الرئاسة العامة للبحوث العلمية ـ السعودية ـ الرياض ١٤٠٤ هـ .

٣٩ ـ محمد متولى الشعراوى : مريم والمسيح ـ القاهرة ـ دار التراث الإسلامى ـ بدون تاريخ .

٤٠ ـ محمد أبو زهرة : مقارنات الأديان القديمة ـ القاهرة ـ دار الفكر العربى ـ بدون تاريخ .

٤١ ـ محمد مجدى مرجان : الله واحد أم ثالوث ـ القاهرة ـ دار النهضة العربية ـ بدون تاريخ .

٤٢ ـ محمد مجدى مرجان : المسيح إنسان أم إله ـ دار النهضة العربية ـ بدون تاريخ .

٤٣ ـ محمد على الصابونى : النبوة والأنبياء : مكتبة الغزالى ـ دمشق سنة : ١٩٨٥ م .

٤٤ ـ محمد شامة : بين الإسلام والمسيحية .. كتاب أبى عبيدة الخزرجى ت : ٥٨٢ .

٤٥ ـ محمد سيد طنطاوى (دكتور) : بنو إسرائيل فى القرآن والسنة ـ القاهرة ـ الزهراء للإعلام ١٩٨٧ م .

تابع مراجع الكتاب

٤٦ ـ قاسم عبده قاسم (دكتور) : اليهودية فى مصر من الفتح العربى حتى الغزو العثمانى ـ القاهرة ـ دار الفكر للدراسات والنشر ط . أولى سنة ١٩٨٧ م .

٤٧ ـ فؤاد حسنين : اليهود عبر التاريخ .

٤٨ ـ فؤاد حسنين : التوراة عرض وتحليل .

٤٩ ـ فؤاد حسنين : إسرائيل عبر التاريخ .

٥٠ ـ فؤاد حسنين : المجتمع الإسرائيلى منذ تشريده حتى اليوم .

٥١ ـ محمد عزت الطهطاوى : محمد نبى الإسلام فى التوراة والإنجيل والقرآن ـ القاهرة م . النصر ١٩٠٢ م .

٥٢ ـ المقريزى : الخطط التوفيقية ج ٢ .

٥٣ ـ دائرة المعارف البريطانية : (مادة بولس) .

٥٤ ـ دائرة المعارف الإسلامية : (مادة إبراهيم) .

٥٥ ـ دائرة معارف القرن العشرين : مادة : بابل ـ آشور .

٥٦ ـ محمد عبد الله الشرقاوى : محقق الرد الجميل لآلهية عيسى بصريح الإنجيل ـ الإمام الغزالى (دكتور) دار الهداية ـ سنة ١٩٨٦ م .

٥٧ ـ محمد عبد الله الشرقاوى (دكتور) : رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين : دراسة وتحقيق .. القاهرة ـ دار الصحوة سنة ١٩٨٦ م .

٥٨ ـ محمد عبد الله الشرقاوى (دكتور) : محقق إفحام اليهود .. القاهرة ـ دار الهداية ٨٦ م .

٥٩ ـ محمد عبد الله الشرقاوى (دكتور) : فى مقارنة الأديان : بحوث ودراسات : القاهرة ـ دار الصحوة ـ ٨٦ م .

٦٠ ـ محمد عبد الله الشرقاوى (دكتور) محقق : المختار فى الرد على النصارى للجاحظ ـ القاهرة ـ دار الصحوة ـ سنة ١٩٨٤ م .

٦١ ـ عبد الرحمن أفندى باجه جى (الحاج) : الفارق بين المخلوق والخالق ـ القاهرة ـ مطبعة الموسوعات ـ بدون تاريخ .

٦٢ ـ **أحمد ديدات** : ما اسمه ؟ .
٦٣ ـ **أحمد ديدات** : ماذا يقول الكتاب المقدس عن سيدنا محمد ﷺ .
٦٤ ـ **أحمد ديدات** : الإله لم يكن قط .
٦٥ ـ **أحمد ديدات** : بعث أم يقظة بعد غيبوبة .
٦٦ ـ **أحمد ديدات** : ماذا كانت معجزة يونان ؟ .
٦٧ ـ **أحمد ديدات** : الصلب حقيقة أم افتراء .
٦٨ ـ **أحمد ديدات** : هل الكتاب المقدس كلام الله ؟ .
٦٩ ـ **أحمد ديدات** : المسيح فى الإسلام .
٧٠ ـ **أحمد ديدات** : من حرك الحجر .
٧١ ـ **أحمد ديدات** : رد مختصر على المسيحية .
٧٢ ـ **أحمد ديدات** : نبى الإسلام .
٧٣ ـ **محمد عزت الطهطاوى** : النصرانية والإسلام ـ القاهرة مكتبة النور ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .
٧٤ ـ **عبد الحليم محمود** : مترجم كتاب المسيحية : نشأتها وتطورها للأستاذ شارل جينيبير ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ طبعة ثالثة .
٧٥ ـ **موريس بوكاى** : القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ـ ترجمة عربية ـ القاهرة ـ الفتح للإعلام العربى ـ بدون تاريخ .
٧٦ ـ **العقاد** : **عباس محمود** : حياة المسيح : دار الهلال ـ القاهرة بدون تاريخ .
٧٧ ـ **العقاد** : **كتاب الله** : ضمن موسوعة العقاد : مجموعة توحيد وأنبياء .
٧٨ ـ **الباقلانى** : **أبو بكر محمد بن الطيب** : التمهيد .. نشر وتحقيق الأب رتشر ـ المكتبة الشرقية ـ بيروت سنة ١٩٥٧ م .
٧٩ ـ **ابن حزم** : الفصل فى الملل والأهواء والنحل وبهامشه الملل والنحل للشهرستانى ـ مكتبة المثنى ـ بغداد ـ بدون تاريخ .

٨٠ ـ **العقاد** : موسوعة العقاد توحيد وأنبياء ـ دار الكتاب العربى ـ بيروت .

٨١ ـ **محمد عبد السلام محمد** : بنو إسرائيل فى القرآن الكريم ـ مكتبة الفلاح ـ الكويت .

٨٢ ـ **على عبد الواحد وافى** : الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ـ القاهرة ـ مكتبة النهضة .

٨٣ ـ **عبد الأحد داود** : محمد فى الكتاب المقدس : ترجمة فهمى شما ـ طبعة رئاسة المحاكم الشرعية فى دولة قطر ـ طبعة أولى ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م .

٨٤ ـ **منصور حسين** : دعوة الحق أو الحقيقة بين المسيحية والإسلام ـ القاهرة ـ مكتبة علاء الدين ـ سنة ١٩٧٢ م .

٨٥ ـ **نبيل صبحى ـ مترجم** : أسطورة فى المسيح ـ دار القلم ـ كويت ١٩٨٥ م .

٨٦ ـ **عبد الوهاب النجار** : قصص الأنبياء .

٨٧ ـ **أميرة حلمى مطر** : الفلسفة عند اليونان ـ طبعة ـ القاهرة ـ دار الثقافة للنشر والتوزيع الجزء الثانى .

٨٨ ـ **ابن البطريق (أفتيشيوس)** : المكنى بسعيد ابن البطريق : كتاب التاريخ المجموع طبعة بيروت سنة ١٩٠٥ .

كتب للمؤلف

١ ـ **تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام** ـ القاهرة ـ دار الثقافه للنشر والتوزيع .

٢ ـ **علم الاجتماع والمجتمع الإسلامى** : القاهرة : دار إحياء التراث للطباعة .

٣ ـ **علم الاجتماع الدينى** : القاهرة ـ دار نشر التراث .

٤ ـ **الأصوات المجهولة** : ترجمة من الانجليزية ، وهو كتاب يصور الظلم الواقع على المسلمين فى الهند .

٥ ـ **بحث فى** : شباب الجامعات فى العالم الإسلامى وكيفية تربيتهم وصنقلهم من منشورات رابطة العالم الإسلامى ضمن كتاب أصدرته خاصاً بهذا الموضوع .

٦ ـ **كتاب اليهودية دراسة وتحليل ومناقشة** .

ـ جملة مقالات فى الدين والاجتماع منشورة فى الصحف والمجلات العربية .

ـ منها مقالات فى الرد على الدكتور خلف الله فى موضوع رسالة الإسلام عامة وليست للعرب .

ـ ومقالة فى الرد على خالد محمد خالد فى موضوع الحكم فى باكستان .

ـ ومقالة : خطاب مفتوح موجه للمسز تاتشر وزعماء العالم المسيحى بمناسبة صدور كتاب آيات شيطانية .

ـ ومقالة : حول تبرئة اليهود من دم المسيح .

ـ ومقالة : حول « المجتمع الإسلامى كما صوره القرآن الكريم » نشر فى مجلة الأزهر .

٧ ـ **الإسلام والتغيير الحضارى** :

دراسة اجتماعية دينية فى الحضارة الإسلامية ـ الماضى والحاضر .

* * *

تحت الطبـــع :

١ ـ الإسلام : دراسة وتحليل ومناقشة .

٢ ـ الأديان الوضعية قديماً وحديثاً فى الشرق والغرب وفلسفتها .

٣ ـ الحياة الروحية فى الإسلام .

٤ ـ الدين والتغيير الاجتماعى .

* * *

فهرس الكتاب

الموضـــــوع	الصفحة

البـــاب الثانى

البـــاب الثالث

البـــاب الرابع

البـــاب الخامس

البـــاب السادس

البـــاب السابع

البـــاب الثامن

الباب التاسع

* * *

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٩٢/٨٣٤٧

الترقيم الدولى ٦-٠٤٦-٢١١-٩٧٧

دار النصر للطباعة الاسلامية
٢ - شارع نشاطى شبرا القاهرة
الرقم البريدى ــ ١١٢٣١